

عبدالرزاق الجبران

لصوص الله

إنقاذ اليوتوبيا الإسلامية



حقوق النشر الالكتروني محفوظة
لدى صفحة (جمهورية النبي) على الفيس بوك

انتبه الى يسارك انه يمين!!.

.. إليك يا حافي القلب، فوحده لا تكذب؛ انتبه الى المؤمنين انهم كفار. انتبه الى المتزوجين ليسوا ازواجا. انتبه الى الصلاة لاتصلي. انتبه الى الاسماء انها غيرها... انتبه الى الفقهاء انهم يكتبون الله وهم لا يعرفون قرأته.. انتبه الى العشاق انهم يلهون، والقلب لا يلهو بعشقه يا حافي القلب، انه يموت به فحسب. لم يمت عاشق بعيدا عن قلبه قط، انه يموت بعيدا عن قبره فحسب.. لم يبقَ عاشقٌ ولا مؤمنٌ. كلنا نكذب، في عشقتنا وفي إيماننا.. لاسماء هنالك ولا قلوب..

انتبه للتاريخ إما انبياء الله، او لصوص الله.. هذه حيرة الوجود.

لُصُوصُ الله

في إنقاذ اليوتوبيا الاسلامية

كُفِرُ المعبد..

(علموني الكفر بكل شيء..)

خليل الكافر¹

(إن الكفر ليضحك من إسلامنا..)

محمد إقبال

1

2

فإن تموت مع الله بدون دين، هو غيره أن تموت مع دين بدون الله. أعتقد ان هذه الحيرة قد حلها من ارتضى ان يُسمى كافراً، لانه بقي دون دين الكاهن، هو والله وحده. ولأنه وجد أنَّ الحقيقة الأكثر وجودياً والاهم تاريخياً، هي أن الانسان عبد لكهنوته وليس للاهوته.. إذ لم يتبع متدينٌ الله يوماً، يتبعون رجال الدين فحسب. تماماً كما لم يتبع متدينٌ يوماً كتاب الله، وانما كتبهم فحسب. فالحقيقة المهمة وسط المعبد هي ان الكهنوت استعبد الله ولم يعبد.

.. أقطعُ ان هذا الكفر هو عينه منحى العصا الاولى لأبي ذر، كأبرز كافر بأمتة ودينها. بل إن عظمتها كانت فقط لاجل كفره ذاك لاغير، لا لتصوف او صحبة للنبي او تقوى. وكأن بودلير كان ينظر اليه، حينما قال: (لن يكون المرء عظيماً إلا اذا انتصر على أمتة).. وأقطع ان هذا الكفر هو السيف الاخير لعلي، ضد الايمان اللينيم الذي لايعبأ أن يصلي، وفي نفس الحين يدوس على بطون اليتامى في جوعهم، وعلى عرض الجواني في سبيلهن. لان منطق علي كما ابو ذر في الدين، هو مارده لهما عين خليل الكافر ذاك بأن : (التعزية التي نقولها على مسامع الضعيف والمجرم والساقطة هي اشرف من الصلاة الطويلة التي نردها في المعبد). وهو عين منطق وقوف عيسى مع الساقطة ضد المجتمع الديني في حادثة مقولة : (من لم يكن له خطيئة، فليرمها بحجر). لذا كرر علي عين تلك الكلمة وموقفها في زمنه. فكان ضد المتدينين مع الزانية، في منطق إعابتهم لها. الامر الذي تناغم تماماً مع عمقه لاحقاً البيركامو : (علينا ان نفتح السجون، أو نقيم الدليل على فضيلتنا، وهذا امر مستحيل..). لذلك شَرَطَ عيسى وعلي العقاب بـ(من لم يكن له خطيئة..). والجميل في الحادثة هو أن التاريخ يقول؛

يوم كان للفروسية حكمتها، كان ممن منحها اسما، يتنهد مع كل ضربة سيف، مردداً مفارقة كبرى، لايمكن ان تعقلها الفلسفات الاخلاقية؛ (كم عليّ ان أقتل حتى اصبح ظاهراً؟)

ولكن تنهيدتي كانت أكبر، ومفارقتي ابعد؛ (كم علي أن أكفر حتى أصبح مؤمناً؟).

..أقطع امام الله نفسه ، واقسم بكل تهاون السماء في صخب التاريخ، وبكل زعلي في ذلك، انه ؛ (كي تكون مؤمناً بالله، فعليك ان تكفر بالمعبد). و أن تنكّر كل فقهه واحكامه وسلوكه وتاريخه. بل الأمر بالمطلق، كي تكون مع الحقيقة فعليك أن تكفر بما أتفقت عليه البشرية من اشياء مازالت تُسمى الحقيقة سواء كانت تاريخاً او ديناً او قيماً.

¹ خليل الكافر هو الزاهد المنتمد على الكهنوت في القطعة القصصية المشهورة لجبران خليل جبران في نص أدبي فلسفي، والتي مثلت الانقلاب الوجودي الاكبر له على الكهنوت.. اعتقد ان ما فعله الكهنة بالتاريخ وماكانوا عليه جعلنا نشك بكل شي يأتي عن الدين والتاريخ. يشكرون على ذلك تحديداً. كما اشكر الاقدار انها بدأتني راهبا حتى اُعرف بكفرهم.

انه لم يبقَ احد ليرجمها². بل ان علي وعيسى في هذا الموقف، يحيلون خطيئتها على ملامات الحياة ومصائبها واقدارها وليس على ذاتها فقط. وان اسم الزنا اسم اجتماعي، وليس اسماً للحقيقة، فقد يكون هو زنا الاقدار وليس زنا تلك المرأة، ولكن المجتمع تلك اسماؤه التي علمها اياه الكهنوت.

عقيدتهم هو ان على الناس ان يُعزّوا تلك المرأة، لا ان يغيروها. لذا واضح جدا ان عيسى وعلي كانا صديقين للانسان داخلها مهما كانت خطيئتها، وهذا مانفهمه بوضوح في حادثة ثانية، مع (لمس) عيسى ليد المجدلية حينما التقاها اول مرة وهي غانية ايضا. الموقف الذي شكك حينها المتدينون بنبوته، على اعتبار ان النبي لا يمس نجسا. والغانية نجسة في عرفهم واسمائهم. بينما كل القصة هو ان عيسى كان يريد ان يمس الانسان في داخلها مهما كانت في وجودها الخارجي. والغريب ان مفهوم الانسان الذي لم يبرز بحقيقة اسمه الا قليلا في التاريخ، كان قليله هذا ظهر مع عين المجدلية لاحقا حين ثباتها تحت صليب عيسى بعد ان تبرأ منه كل اصحابه. بل انها الوحيدة التي لمست صليبه بكل دمائه، اكثر مما هو لمس يدها بكل أسيلها.

3

² تشي القصة هنا بشيء مفارق في فلسفة القانون، ودخول المنحى الاخلاقي عليه على خلاف المتعاقد عليه، بانه منطبق بلا عاطفة. فعلي هنا يرفض فكرة الحد، والعقاب الديني للخطيئة الشخصية من جهة. كما يمنح مركزية لكرامة الانسان، واعتباره رجم الكرامة اكثر وجعا من رجم الجسد. سيما من اناس يخطؤون أيضا وليس من ملائكة. إذن كلمته هنا هي عن خطيئة المشاهدين وليس عن خطيئة الزانية، وهنا يفتح افق لدى علي ضد عين بنية القانون، والدخول فيه على عناوين معنوية لا يعبأ بها القانون عالميا ليس محلها هنا. بالتأكيد الفقه الاسلامي خلاف ذلك تماما. لذه هذا الفقه خلاف جمهورية النبي دائما. علما ان هذا المنحى العلوي وجودي بكل وضوح، كما هو منحى عيسى أيضا.

عيسى³ ومحمد وابو ذر وعلي وصاحب الزنج، وغيرهم، كل قصة دينهم وطريقهم، هو انه لم يكن لاهوتهم الا الناس فحسب⁴. فكل شي خاطئ لديهم، إن كان ضد الناس، مهما وقّعت عليه السماء وجبريلها. لذا كان الامر بديها لدى ابي ذر في صحة رأيه مع آية الإكناز. بحيث لم يكن الامر معه فقهاً او معرفة دينية. وانما مبدأ داخلي بعيداً حتى عن وصية لنبيه او حديث سمعه منه. كل مآلديه هو ان ماهية هذا الدين هي ان يكون من اجل الناس فحسب، ان يكون انسانيا فحسب. لذا هو يشكك بكل شي ولا يشك برأيه هذا، تماما بمقاس سيكولوجية كلمة عمار بن ياسر مع مسلمي معاوية، يوم صفين؛ (والله لو رددتمونا الى نخلات هجر، لما شككت اننا على حق وانكم على باطل). فالعرب يرون الانكسار دليلا على ضدية السماء لهم. بينما عمار بن ياسر في كلمته يصر على انه لن يشك ان جماعته على حق حتى وان ظن بان السماء ضدهم.. كل هذا ويحير المسلمون يوم صفين ايهما "الفئة الباغية". والاغرب ان اسلاموي التنوير عينهم ليوثنا هذا، ليس فقط يحIRON ايهما اصح؛ ابو ذر ام الأمة. بل يقولون برأي الامة وفقهائها دون ابي ذر.. مضحكة هي حماقتنا، لآن تجربنا.

³ في هذه اللحظة يصدف اني في المقهى وحيدا باوراقى ويؤسي، احدهما يغذي الاخر. ارى عجوزا مسيحية تدور طالبة مالا باسم مريم العذراء.. المقهى فيه مسلمين فقط. اشاهد بسعادة ان الكل اعطاها بشكل لم اره من قبل حينما تمر عجوز مسلمة.. فرحت كثيرا وانا ارى الذات البرية كيف تنتفض نخوة الى ديانة اخرى. ولعنت بنفس الحين الكهنوت لانه يعلم المسلم كراهية المسيحي وانه كافر ونجس ولا يجوز الزواج منه ولا الثقة به ولا ولا ولا... اه... اصرخ في داخلي؛ إن جمهورية النبي ليس مسجدا ولا مسلمين اطلاقا. فمحمد هو عيسى عينه وهو موسى وهو غاندي وهو كل من يكون نبيلاً وليس من يكون مسلماً..

⁴ نسيب ان اول شي فعله عيسى حين دخوله اورشليم، هو اعلان كفره بالهيكل والكهنة والوجهاء بصراحة. حتى تروى انها بلغت حد السب. لسبب بسيط هو انهم ضد الانسان فحسب. وليس لانهم غيروا حكما شرعيا كان لموسى او ليعقوب.

مبدأ ابي ذر - المرفوض من الكهنوت ليوثنا هذا- بان (يؤخذ المال بالقوة من كدس الاغنياء، لاجل جوع الفقراء) لايحتاج الى مفكر ليقتنع به. العجوز تقوله بداهة، وتحلف عليه بماعزها الاعز لديها من اولئك المفكرين، والاجدى بكثير منهم. لانها اصلا لاتصدق دينا يرضى بجوع الناس، أو بعبوديتهم، ناهيك عن ان يعتبره شرعا. فكيف والكهنوت جعل شرعية العبيد والاستعباد من بديهيّات الرسالة الالهية...!! مايبهم هو ان تلك المرأة ترى رأي ابي ذر انسانويا لايقبل ان يجوع فقير الى جنب غني بحجة ان الغني دفع ماعليه من زكاة.. وانما من الضمير الانساني ان يجبر ذلك الغني ويؤخذ مالدیه بالقوة لاطعام الجائع، وهو مالم يقبله الخليفة انذاك، ولم يقبله الفقهاء الى يومنا هذا بكل طوائفهم.

إذن، من هو الافضل للوجود؟. العجوز وماعزها أم ذلك الكهنوت؟. الان أبرر، لماذا فضل غاندي الانشغال بتطبيب ماعزه، على تطبيب كهنوت الاحزاب.

4

لدى الله عينه؛ الاديان الحقيقية ليس تلك التي تملك إلها حقيقيا، وانما تلك التي تملك انسانية حقيقية. وان قيمة الانسان ليس بنوع الهه، وانما بنوع انسانيته.

إذ كثيرون تركوا اللات والعزى وهبل وانتقلوا الى الإله الجديد مع النبي، ولكنهم بقوا هم عينهم، في قبحهم القيمي، فلم ينفع معهم اللاهوت الجديد. فقط اسم الله ولكن بلاهوت ابي سفيان. ولهذا لا غير، كفر ابو ذر بذلك اللاهوت. ولهذا السبب ايضا كان يقول النبي حديثه؛ (خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام.)

لذا مفهوم (الكفر) في الجمهورية ليس هو التخلي عن المعبد الصحيح وطاعة معبد اخر او إلها اخر. وانما هو التخلي عن القيم الانسانية، وطاعة القيم المتوحشة لاغير.

ليس التخلي عن الاله وانما التخلي عن الانسانية. لان قيم الله والهويته هي الانسانية عينها، بل صفات الله هي صفات الانسانية، ولاوجود لاي لاهوتية في الصفات. لكن يمكن ان توضح بان صفات الالهية هي ذروة الصفات الانسانية تلك التي تحل بأشخاص قلائل او مواقف قليلة في التاريخ سمتها الشعوب بالمثالية. واعتقد ان كلمة الله نفسه في القرآن (قُتل الانسان ماأكفره) صريحة جدا في ذلك. فهنا الكفر لم يرتبط بنفي ونكران الله وانما يقتل الانسان. القتل للانسان جعله كافرا وليس النفي لله. قُتلت الانسانية وليس الالهية. لذا، مع الله؛ الاحاد به هو الاحاد بالانسان فحسب.

تحديد مفهوم الكفر قضية وجودية وليس لاهوتية، قضية انسان وليس إله. لذا فهي دلالة منافية بالتاكيد للدلالة الكهنوتية مع مفهوم الكفر، بقيامها على البنية العصابية، بتحميلها إلى كل من لا يحمل الاسلام دينا، من اهل الاديان الاخرى. بل حتى بتحميلها الى اعداء الجماعة الاسلامية عموما؛ اذ أنّ كثيراً من المسلمين أُعتبروا كفره بمجرد خروجهم على السلطة الاتفاقية للمعبد المركزي وسلطانه قبل كهنوته. كما هو الامر مع تكفير القرامطة وجماعة الزنج والخوارج وآخرين كثر. وهكذا سرقوا حتى مفهوم الكفر، حينما جعلوه كل ماعداهم. وضاع التفريق بين الايمان الديني والايمان الاخلاقي/ بين التعبد والانسانوي.. الاول تملقا لله والثاني ثقة به.

لذا فالكفار ليسوا هم الذين لا يُصلُّون الخمس، وانما هم الذين لا يُصلُّون القيم. مهما احاطوا بالكعبة. وفي هذا المدار كان كفر ابي ذر في قلب المعبد. وكانت صلاته لدى الله هي عين كفره بذاك المعبد، لاسجوده وركوعه.

5

في هذا الكفر يمكن ان نفهم ان عليا لم يكن (قَتَالَ العرب) كما رددوا، وانما كان (قَتَلَ المسلمين). ادخلوها عمدا على البعد القومي.. اليس غريبا، ان عليا لم يحارب طوال خلافته الا المسلمين!! وان ثورات القرامطة والزنج والحارث بن سريج وابي السرايا وزيد والصفارين، والكثير الكثير ممن رُفِع الروتين التاريخي بهم هم اسلام ضد اسلام وليس يهودية ضد اسلام. فأبو ذر طرده ونفاه خليفة المسلمين وليس هولاكو. وان زيد بن علي صُلِبَ على نهر يشربه المسلمون وليس اليهود. وان الحلاج أُلقي من مئذنة وليس من ناقوس.

أليس مهما انه؛ لم تكن عظمة ابي حنيفة الا لأنه الفقيه الذي كفر بالفقه وكهنوته ومنهجه ومعبده وسلطانه، ولهذا السبب عينه لم يقبل حديثا، لانه تيقن ان هكذا كهنوت من المحال ان يُبقي كلاما للنبي، فانتهى بوضوح ان تلك الاحاديث ليس حلييا نبويا.. كفره هذا بالكهنوت هو الذي جعل الأئمة تزور احكامه وتتبع تلميذه ابا يوسف القاضي وتجمع بينهما كمدرسة واحدة رغم ان ابا حنيفة يكفر بهذا التلميذ شخصا. لذا فالادعاء البدهي بان الحنفية يتبعون ابا حنيفة هو كذبة كبرى، تماما كما الادعاء بان الجعفرية يتبعون جعفر الصادق هي كذبة أكبر.. فالجعفرية والحنفية هم خلاف ابي حنيفة والصادق تماما.

اليس غريبا ان جلال الدين الرومي لم يصبح مسلما ومؤمنا حقيقيا وبهذه الروح الكبرى التي آل اليها قديسا، الا حينما داست رقصته فقهة، بعد أن تيقن انه لن يصل الى الله والحقيقة الدينية الا ان يكفر بكل المعرفة الدينية وكهنوتها.. اليس غريبا ان هذا الكفر هو عينه عطر مشنقة السهروردي بعد مزجه قناني الاديان في صدره المسلم بعطر واحد. وانه لم يشرب الحقيقة الا بعد ان كفر بكأس كهنوته.. اليس غريبا ان هذا الكفر بالاسلام الكهنوتي، هو المنهج الاساس للصحراء الكبرى التي تسمت بالمتصوفة. لذلك لم يكن عبثا ان سمو "كفاراً" من الكهنوت. وفي هذا دليل ايمانهم.

إن احذر ان يصفك الكهنوت مؤمنا. حينها اغسل يديك من الله وانس وضوء افكارك.

ماهو أمر، هو احذر ان تموت بين الكهنة.

المكان مهم في الموت، مؤمن بذلك كثيرا، لذا كان حقيقيا ذلك المتصوف، حينما رد؛ ها هنا موضع يصلح ان نموت فيه.

اليس غريبا ان عيسى مات بين لصين، وليس بين حواريين. ولكن ليس الغرابة انه مات دون كهنة، القضية انه مات بين لصين.. لم تكن صدفة عابثة ابدا. كان للقدر انفاسه في ذلك، بان تكون هكذا قافية صليبه الاخيرة. لا اعتقد ان الصليب يمكن ان يكون تاريخا لو صلب مع الكهنة. كما لا يمكن للنبي ان يُبقي صوت عيسى، لو كانت مزاميرهم هناك.

يُصلب عيسى، وحوله لسان وغانية، وليس بين حواريين ومصلين!!! ماغرب الحقيقة كيف تقدم نفسها للوجود. بالاحرى، ماغرب الوجود كيف يقدم الحقيقة لنا. لكم حيرني في فهم منطق، ومازلت تأنها فيه. وهو عين ماجعلني احيانا اتمنى ان يكون الاسم؛ الله ولصوصه، بدلا من لصوص الله. لأن جزعي هو من هذا الوجود و(سنن الله) فيه، قبل ان يكون من (لصوص الله) فيه. إذ لطالما كان الوجود لصا يسرق منا اشياء ليمنحها للاشرار عبثا. مللت من منطق؛ أن للوجود حكمه فاتركه لحكمته.

غريب جدا ان غانية اورشليم هي وحدها الى الجلجلة من حملت مع عيسى صليبه، بينما كهنته سرقوا هذا الصليب. إذن الغانية وحدها وفت لجسد عيسى على الصليب رغم ان جسدها كان متهما ومصلوبا بشرفه. الا يستحق الامر ان نضحك معه بدمعة قليلا.. وان كانت هنالك دمعة بحق تستدرها هذي الكلمات، فهي على مجدلية اورشليم وليس على عيسى الجلجلة.. فأَنْ تَصِل بجبريل الى صليبك هو غيره ان تركض وراءه بحانتك.

الثانية اوقع. سيما ان دموع المجدية كانت اعظم ماسريه صليب عيسى. لانها وحدها هناك.. بلاكهنة.

.. إنه مكان يستحق ان يموت فيه.. إنه مكان لا كاهن فيه.

6

كفر المعبد، حينما ساوى بين التي سلب الحب بكارتها، وبين التي احبت سلب بكارتها.

كفر المعبد، حينما شطب المسيحي من انسانيته، وجعله كافرا في ذمتي.

كفر المعبد، حينما اجاز لي قتل الكافر مهما كان نبلا، ونصرة المسلم مهما كان دينيا. وهل الدين إلا مسافة بين الدنيء والنبيل.

كفر المعبد، حينما رفع سيفه اكثر من كلماته.

كفر المعبد، حينما جعل كتاب الله وكتاب الفقهاء واحد. وجعل الفقيه مترجما لله وليس القلب.

كفر المعبد، حينما قتل عليا في محرابه، وحمل معاوية على منبره.

سرقة الوجود

(اللصوص لن يختفوا، مالم يمت الحكماء..)

نص تاوي⁵

(وحدهم التائهون يدلوننا.)

جلال الدين الرومي

1

بلال؛ ابحت عن حرية لا عن إله.

صاحب الزنج؛ ابحت عن ثورة لا عن فقه.

الوحيد؛ ابحت عن إمراة لا عن مسجد.

.. بلال العبد هذا، حينما لم يكن يعبد الله أيام الجاهلية، لم يكن كذلك لانه كان وثنيا، وانما لانه كان عبدا وحسب. عبوديته تمنعه من الالهية. ليس فحسب، لان ازمته الوجودية هذي منعت ذهنه عن التفكير بأي ازمة لاهوتيه، وانما لانه من التعسف ان يطلب الله منه عبادة للسماء وهو يعاني من عبودية في الارض، ويوجد ليس فيه الا الالم. فبأي شيء يمن الله عليه حينها.. إذن لم يكن يقبل أن يكون عبدا لاله في

⁵ للمدرسة الصينية القديمة المسماة بالتاو.

السماء، وهو عبد ايضا لسيد في الارض. انه يكره مفردة عبد مهما كان طرفها، سواء كانت لاله او لسيد. لذا لم ينتمي لعبادة اللات والعزى رغم انه في قريش، ولم يكن مسيحيا باعتباره حبشيا.. بكل الاحوال، هذا المسروق بوجوده، لم يكن يفكر في إشكالية (وجود الله)، كان يفكر في أشكالية (وجوده) هو. إنه عبد.. انه بحاجة الى حرية، وليس الى إله..

إن بكل واقعية؛ بلال لم يكن لديه إله، لانه لم يكن لديه حرية..

لذا النبي لم يجلب له الها وانما جلب له الحرية. وفي ذلك اكبر وجوديات النبي في دينه.. ساعة ذاك، حينما تنبه بلال إلى الحرية تنبه الى الالهوية. إذ فقط فقط حينما اعترف له النبي بالحرية اعترف هو بالله.. اعترف به وليس عرفه، لان المسألة معه لم تكن مشكلة (فيلسوف)، وانما كانت مشكلة (عبد)..

فبلال⁶ لم يقبل الله اصلا. قبله فحسب حينما عرف انه يقول بالحرية مع نبيه. وهكذا، تبع النبي لان الدين معه يقول بـ(حرية) الانسان، وليس لانه يقول بـ(وحدانية) الاله، الذي لايقول به دين اللات والعزى. فقريش لديها إله اسم الله ايضا، مثل النبي لا يختلفان⁷، ولكن ليس لديها الانسان كما هو لديه. ولهذا جاءه سعيًا.

إن اقتنع بلال بهذا الدين لانه وجده انسانيا يُخلصه من ظلامته وخطوته المقيدة، وليس لاهوتيا يخلصه من خطايا. هذا الحبشي لم يكن يبحث عن لاهوتيين

⁶ نلح كثيرا على البلاليات وعمقها النفسي الوجودي تحليلًا، لانها تجدي كثيرا في وجودية الدين ونبيه.

⁷ فتسمية الله ليس تأسيسا قرآنيًا، وانما هي التسمية الاصل للاله عربيا.

اخيار يعلمونه العبادة، وانما عن انسانويين ثوار يخلصونه من عبوديته.. مرد كل ذلك هو ان الازمة في حياته لم تكن ازمة لاهوتية في عبادته، وانما وجودية في استعباده.. لم تكن مشكلة عقيدة وانما كانت مشكلة ظلم فحسب. لم تكن مشكلة سماء وانما كانت مشكلة ارض.

2

هذا الرجل الاسمر لم يَنْظَمْ الى الاسلام ويتحمل كل صخور قريش وسياتها لسبب لاهوتي معرفي؛ فضّل به إله رجل يقال له محمد، على آلهة قبيله يقال لها قريش. وكأنه فيلسوف فضل معرفة على اخرى فتبناها، او مثلا كسحرة فرعون اقتنعوا بمعجزة ضد حيلة، فتحولوا الى دين موسى. ابدا لم يكن الامر مع بلال لهكذا سبب، وانما انظم هذا الاسمر الى هذا الدين الجديد لانه فقط فقط وجده يقول بظلمة عبوديته، ويتكلم عن ان الناس سواسية فعجبه هذا المنطق الحياتي؛ لا اسود ولا ابيض ولا سيد ولا عبد. ولا اعجمي ولا عربي.. انك ابن ادم.. لافضل لاحد بنسبه وحسبه وانما بقيمه وفعله ونوع حياته ومبادئه.

كان بلال يرفض حتى الله لو كان يقول بغير ذلك، وهو واقعا كان يرفض إله ابي لهب لاجل ذلك فحسب وليس لانه كان حجرا صنما. فحجر ابي لهب مع الحرية لدى العبد اشرف كرامة من إله حقيقي بعبودية.. وهو اهم دليل لدي في انه لم يكن في شرعة النبي تلك الحلية المُسَلَّم بها للعبودية في المدونات الفقهية. والا لما تبعه بلال اطلاقًا.

3

الانسان إلهاء وجودي محض. يحيط به الوجود كإزمات، وإن ماتسمى الحياة هي عبارة عن إزمات ذلك الوجود بكل زواياه.. مافعله الكهنة، هو انهم زادوا الطين بلة في إزمته فاضافوا إزمة الدين له، وقاموا بتدوين الوجود، فإزداد القيد بؤسا، بل هنا فحسب كان البؤس البشري، ومن هنا دخلت الخديعة. رغم أن الانسان يعاني من إشكالياته الحياتية وليس اللاهوتية؛ حبه وليس صلته، طعامه وليس حبه. بل كان يتعامل مع الله عينه ولاهوته ومعبده، كحاجة لفك إشكاليات الحياة تلك، وليس كإزمة حياة. أي حتى لاهوتيته هي حاجة وجودية فحسب. فحينما يلج على المعبد، لايلج الا لاجل إعانة إله له على مشاكل الحياة وتعديل وجوده. لذا لطالما يزعل من الله أن إساءة له الحياة، ولم ير لطفه وتدخله فيها. بل حتى أن ظلمه الحضر. وأكثر من يزعلون من الله هم أصحاب الحضر السيء. بل حتى أن زهد بالحياة وطلب الآخرة فقط، فهي أيضا حاجة لوجود آخر.

مايهم، هو أن الحقيقة الأولى للدين في كل امره؛ أنه امر وجودي حياتي ارضي لا لاهوتيه فيه. لسبب بسيط وإساس، وهو؛ أن الدين هو الانسان وليس الله. والفقه عينه هو حلول مشاكل الانسان وليس حلول مشاكل الله. وهنا مشكلة الكهنوت هو رؤيته أن الدين يساوي الله وليس الانسان⁸. وفي ذلك، وقعت مشكلة علم الكلام الإسلامي؛ حين وضع نفسه لـ(وحدانية) الله، وليس لـ(وجود) الانسان. فكان كل شيء عكس الرسالة، فامسى الدين مقلوبا في أهدافه ووجوده.

صاحب الزنج كان على هذه الحقيقة الوجودية للدين، لم تكن حسرته إزمته يطفئها تجديد العلم أو الفقه، أو أن يكون عالما أو إماما وزعيما. صار صاحبا _ سيما أنه حفيد في الطريق الامامي، بل تمرد على المذاهب كلها على حد سواء، لذا تجد تاريخهما الكهنوتي ضده. كانت إزمته في الوجود فحسب هي حسرته على هؤلاء العبيد من أولئك المترفين. فعرف أن دينه هنا هو إنقاذ هؤلاء الجياع والتعساء وليس إنقاذ الفقه أو علم الكلام أو الفلسفة أو أي من كذبات الحضارة الإسلامية. لذا لم يُعلم الزنج فقها أو فكرا وإنما عدم العيش عبيدا، وانتزاع إنسانيتهم وعزتهم وحريتهم.. علمهم الوجود. وأن الدين ليس الا ذلك الوجود وتلك القيم.

أما ذلك الوحيد، فازمته في الوجود هو أن قلبه يحترق للعشق، وهو أمر لايمكن أن تكون الصلاة بديلا عنه، حتى ولو في السماء السابعة. لايمكن أن يكذب على جواه. أنه امر وجودي أو لأبأس لئسمه أمرا تكوينيا من الله نفسه. كما إنه أصلا لم يكن بحاجة إلى الدين لأن القلب الباحث عن العشق هو قلب باحث عن الإيمان لاشعوريا وتلقائيا. وكيف يُطلب منه إيمان الكهنوت ولديه إيمان العشق، بل القلب العاشق قلب تجاوز الإيمان وختمه.

بلا جدل، كل العبيد كانوا يكرهون المعابد التي تقول بالعبودية، ويكرهون إلهها. بينما يقبلون أن يعبدوا إله إسبارتوكس وصاحب الزنج وأي قرمطي، حتى ولو أخبرهم نبي بأنهم كفرة وليس فقط الكهنوت الرسمي. ليس لأن لديهم بديهية إنسانية وجودية شعورية

⁸ إذا اردنا الاصل فنقل أن لاهوتية الدين هي عين وجوديته. رغم أن الجمع بين الوجودية واللاهوت عادة ماتوصف بالتضاد. ولكن يمكن ادراك ذلك مع عين بلال لأن عين قصته اللاهوتية مع الاسلام كانت وجودية حياتية تماما.

تقول ان الاله الذي يقول بالعبودية لا يستحق العبادة، وليس إلها. بل لان لديهم بديهية انسانية شعورية هو انهم على حق حتى وان أُخبروا ان الاله ضدهم. لذا فهم ثوار على العبودية حتى وان حرمتهم الثورة الجنة. وفي هذا كان مارتن لوثر خاطئا ببداهة، سواء في ذاته أو دينه، رغم انه كان ضد البابا وكهنوته ودينهم الكاذب، فقط لان لوثر وقف مع الاقطاعيين في جبروتهم ضد الفلاحين في ثورتهم وجوعهم⁹. وهو مايكفي بأن يمحو كل جمال انقلابه على المعبد المزيف.

ولهذا السبب عينه من كره المعابد الاستعبادية إنظم الكثير للثورات الملحدة في الازمنة الحديثة. رغم انه لم يكن لديهم مشكلة مع الله، بل كان الكثير منهم له عين الاهداف الاولى للنبي في راحة البشرية وترسيخ الانسانيات. ولكنهم وجدوا ان الكهنوت الممثل لله يقف مع العبودية والاقطاعية ضد الجوع والفقر، فألحد الكثير لهذا السبب لاغير. وفي ذلك يمكن ملاحظة ظاهرة جيفارا في مفارقتها، بالايمان به من عين الشعوب الدينية، رغم الحادة. بل ان الكثير من الحركات الدينية آيدولوجيا رفعت شعار هذا الرجل الملحد.

قضية الالحاد هنا ليست نفيا لوجود الله، وانما رفضا لجماعته وشريعتهم، خصاما له من اجل البشرية، حينما وجدوا معابده مع الطغاة، وكهنته لصوصا وسفلة.. واعتقد ان

⁹ وقف لوثر مع السادة ضد ثورة الفلاحين والعبيد في سنة 1524، رغم سحق السادة للثورة بكل وحشية. ثورة كانت من اجل جوعهم واستعبادهم.

الله يعظم هولاء الملاحدة في عين خصامهم هذا له¹⁰. لم اذهب بعيدا بهذا، صدقوني هذا هو عين منطق ابن ابي طالب في كلمته المرافقة دائما لسطوري كاظم منحي في وجودية اللاهوت؛ (الهي ماعبدتك طمعا في جنتك، ولا خوفا من نار.. ولكني وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك..). اذ لازم كلمته هو اني لو لم اجدك من اهل الحق والخير والعدل ومع الناس لكنت ضدك، حتى وان القيتني بالنار.. كما ان عبدتك هنا بمعنى أطعت واتبعت قيمك وليس اصبحت عبدا لك كعبودية العبيد والسادة، بدليل ان النص نفسه يقول بإعابة؛ (.. فتلك عبادة العبيد). لان العبد يطيع سيده جبرا، لا طاعة مبدأ. بينما الحر يتبعها ايمانا بالمبدأ لا بالقائد، ويذهب المبدأ تذهب الطاعة حتى وان بقي القائد.

حينما كان يُعير هذا الملحد بانه (لايؤمن بالله)، كان يكفيه ردا كلمته؛ (اني أومن بالبشرية)..وكأنني اسمع داخله؛ أفضل ان اخدم البشر على أن اخدم الالهة. وأفضل ان اصاحب مظلوما على ان اصاحب إلها. وهذا أقسى بكثير من داخل نيتشه؛(أفضل ان اكون مهرجا على ان اكون قديسا..)

ولكن ليست هذه الكلمة التي كانت تكفي الكهنوت في ادانة عقيدة هذا الشيعوي الملحد، هي عينها من تمثل اهم اس في الاسلام الانساني مع المتصوفة؛(مايخدم الخلق يخدم الحق). وايضا يجد ذلك نفسه راسخا مع كلمة النبي(اعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس). وفيهما تكون خدمة الله وجودية محضة بخدمة الناس، لا بقرابين

¹⁰ الملحد هنا يشعر بضمير متأله في عين خصامه لله، كونه مع الضعيف ضد القوي، لانه مع الانسان ضد إله. على عكس المتدين الذي يقف مع السلطان ضد الناس، لايشعر الا بدنو مهما صلى وقبح واعتكف في المعبد..

صلاته وحجه وصومه ونذوره. وان الايمان بالله هو الايمان بواجب الخير، قبل ان يكون بواجب الوجود. والتوحيد هو الاعتقاد بالبشرية الواحدة بلقمتها وعطاءها واخوتها، قبل ان يكون هو الاعتقاد بان الله واحد وليس ثلاثة. بل ان الاس الالم والاول صوفيا هو) الانشغال بالخلق عن الحق) اي الانشغال بالناس عن الله. وهو اكثر مفارقة في مبدأ طاعة الله بمنح الناس اولوية عليه. إذن كلمة(اني أؤمن بالبشرية) هي المثالية الاولى للدين وليس الالحاد الاول فيه. بل ان الكنسيون انفسهم الذين يعيرون على هذا الملحد كلمته، يرددون هم انفسهم انجيليا؛ (ان لم تكن تؤمن بالله، فإنه يؤمن بك). اذن بقي عليهم ان يُكفروا الله نفسه، لانه يؤمن بالبشرية.

لذا اعتقد انه في هذه الكلمة بالذات، التقى ذاك الملحد بالله اكثر من لقاء موسى به، وكان بها اكثر اهل الارض عبادة في عين الحاده، حتى وان كانت الحانة معبده.. كما ان موسى لم يعان ويتعب اكثر من معاناة جيفارا ونضاله وموته اطلاقا. فقصصتهما امامنا. وان كان جبريل يرافق موسى، فالجياح كانوا يرافقون جيفارا اكثر. وان تطعم الجياح خير لدى الله من ان تسمع جبرائيل.. وان تلتقي الجياح هو خير لدى الله عينه من ان تلتقيه هو.. كما ان الله لن ينظر اليك ان تركت جياحه لظهره ووجهك له. بل بعيدا عن وجوديات علم الكلام، عين التراث الكهنوتي، يحفظ نصوصا ترى ان م قضاء حاجة الناس أولى من العبادة. بل قضاء حاجتهم خير من الطواف بالكعبة الف مرة. لذا لا يصغي الله لصلاة، فضلها صاحبها على التعساء.

اعود بسرعة احدى ببطرين سالفين لارى انه من المثاليات المفارقة، هي ان من بديهيات الخطأ الديني؛ ان يكون وجهك لله وظهرك للجياح.. اعتقد ان هذا يفسر شيئا

من سبب رجوع النبي من المعراج دون ان يبقى جوار الله ليتخلص من الارض وعناها، كما هي ملامة المتصوف عبدالقدوس الجهنامي.

المهم، هنا اتيقن ان الله لطالما ينزل على قلوب الملاحدة الذين يكون الحادهم لاجل البشرية.

5

في الجمهورية؛ من يؤمن بالناس في وجودهم وسعادتهم وحقوقهم ليس ملحدا مهما انكر الاله. بينما الذي يخدع البشرية ويسلبها سعادتها هو ملحد، مهما صلى ونذر وصام وحج، لالحاده بالانسانوية كمعادل وجودي للالهية في الارض، وكممثل له فيها. لذا فالشيوعي الملحد هو مؤمن إن كان انسانويا في فعله ونضاله، بل هو حامل كدح محمد وليس ماركس، ان كان مع الكادحين. وليشرب كل خمور العالم.. وفي روح ذلك نجد ان النبي حينما سئل عن امرأة متعبدة لكنها تؤذي جيرانها واهلها، قال مآلها الى النار. وحينما سئل عن امرأة لاتؤدي عباداتها وكانت طيبة مع من حولها، فقال مآلها الجنة.. وهناك الكثير مما تحمل تلك الوجودية المركزية في دين النبي، سيما في الاسس الكلية التي طرحها النبي. وكلها تؤكد لوجودية الدين.

لا مشكلة لله ان ينكره الانسان. طالما ان الكفر لدى الله، ليس هو عدم الاعتراف به، وانما عدم الاعتراف بإنسانيته. وليس هو ان تحذف من الله الوهيته، وانما ان تحذف من الانسان بشريته. لان الكفر ليس قضية بينه والانسان. وانما بين انسان وآخر. أن يتجاوز عليه في وجوده الانساني فيجعله عبدا في الاقطاعية او عبدا في الدولة او عبدا في الزوجية او في المذهب او في المعرفة. أن يتجاوز على إنسانيته. لذا اعتقد

كل هذا يعطي أساً مركزياً في فهم الدين، وعموم ما يخص تحديث الاسس المناهجية لفهم ماهيته ومايلحق ذلك من تغييرات ستطرأ على كلشي بالدين مما هو معهود ومألوف منه، بحيث تتغير معه الكثير من الاحكام الشرعية وعموم اسس علم الكلام¹² نصيغه هكذا؛ (يقاس الدين على قدر انسانيته، وليس على قدر الوهيته). أي، قدر تبجيل الانسان فيه وقدر كرامته وحريته ووجوده، وليس قدر تعظيم الاله فيه وعبادته¹³. مايقدمه للذات البشرية، لا مايقدمه للذات الالهية. وان يجعل الله للانسان وليس العكس. فانه ليس من الهة القرايين.. لاقرى الله الا بالتقرب من الانسان والجمال.

كما يعطي أساً مجاوراً له منهجياً؛ (يقاس الدين على نوع انسانيته، وليس على نوع الوهيته). أي ليس من المهم ان تكون الوهية الدين تثليثاً أم توحيداً، بشراً كان كبوذا او مجرداً كان في السماء. المهم هو انسانيته التدين (الفعل الايماني)، او لنسمها إنسانوية الايمان. وفي ذلك شيء من كيركجارد في مقولته المتخذة أساً في الجمهورية؛ (ليس المهم مانؤمن به. المهم هو الكيفية التي نؤمن بها).

مرة تعبد حجراً ولكنك لم تضرب به أحداً. فإن كسروه لك، قَبَلَتْ ايديهم. ومرة تعبد الله ولكنك تسبي وتقتل باسمه.. في الاول انت بدين الله حتى وان كنت وثنياً. وفي الثانية انت ضد الله حتى وان سُميت داعية او مجاهداً.

¹² بقدر كفاءة أس (وصال المعنى) كأس تغييرى مركزى في عموم الجمهورية.

¹³ بعيداً عن الصفحات السابقة في انتاج هذا الاس، يمكن حل الامر بطريق آخر؛ لو كان الهم في الدين هو الله، لغدا الله انانياً.. وهي التهمة الاولى للاخلاق بشرياً فكيف باخلاق الله. وهي الزاهدة بالبشر اقلها من باب التنزيه للذات الالهية في علم الكلام، وليس من باب سُمُو هذه الذات في الوجودية.

باطمئنان ان القيامة هي بين الانسان والانسان، قبل ان تكون بين الله والانسان. لذا كان اسمه يوم الدين، فالديان هو الانسان وليس الله كما يرى الكهنوت. لان الانسان مديون للانسان في كثير مما سلبه من وجوده، ولو حتى بسمة من أفراحه، وليس لقمة او ارضا او أي ايداء ما. كما ان كلمة النبي (.. يدين بعضهم من بعض) صريحة في تأكيد رأيي هذا. بل للنبي صراحة في منطق ان الله لا يهتم لتعدي الانسان عليه، وانما في تعديه على الانسان فحسب؛ (واما الظلم الذي يغفره الله تعالى، فظلم العباد فيما بينهم وبين ربهم ، واما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدين بعضهم من بعض)¹¹.. ناهيك عن مطلق كليات النبي وعموم منظومته تنضح بذلك. وهو امر يتفق عليه حتى الفقه التلقيدي نفسه في تقسيمه اصطلاحاً بين حقوق الانسان و حقوق الله. حيث الأولى تكون صارمة لايجوز التساهل بها على عكس الثانية. ولكن رغم هذا الاعتراف فقهاء، تجد ان الكهنوت لم يؤدّه في فتاواه. بل ينده في حفرة معارفه.

هذا المنحى في التناقض الداخلي للمنظومة الكهنوتية- مايعترف به وماينده- والذي يمثل ابرز البنى السوداء لها، يقوم بالدرجة الاولى معولنا في هدم التشريع الكهنوتي وعموم المنظومة وفضحها. فهو يحمل اسس الحقيقة ولكنه يندھا بالف طريقة وطريقة، سواء في التاويل او في التحوير والتزوير، او التهميش او التجاوز والتغافل او الارشفة باسم الادبيات العامة المنفية من دائرة الحجية.

¹¹ كنز العمال ، حديث رقم 7588 . رغم ان اعتمادنا في هذا المبدأ هو انتزاع عن الكليات الدينية للنبي، وليس النصوص الجزئية.

لذا، ما بهمني هو فضح الكهنوت وفقهه وتشريعه بانه غير انساني فحسب، وليدافع هو عن دينيته بما يشاء.

هذه الاسس لاتخص اصلا حذر كلمة بيرداييف نيقولا الوجودي المسيحي؛ (ليس المسألة هو انكار الله، وانما تأكيد الانسان)، كما ليس هو رايا بروتستانتيا في عدم الاهتمام بجوهر الله لذاته، والاختصار على جوهر الله بالنسبة للانسان.. وانما هو عن ماهية الدين وحقيقته في انه رسالة انسانية وليس لاهوتية وانه موضوع انسان ومشكلة ارض، وليس موضوع إله ومشكلة سماء. لامشاكل في السماء، المشاكل في الارض.. اعتقد ان الكل يشاركني بان الانسان متورط بالوجود وعذابه، وليس الله. هذه هي البديهية التي يتأسس عنها التخلص من علم الكلام برمته كما الكثير من الفقه وراعه.

كما ان الانسان ليس مسؤولا عن الله، وانما مسؤول عن انسانيته فحسب. الكهنوت من جعلها العكس.. لذا بلال لم يكن ير عليه واجبا تجاه الله. بل كان يرى على الله واجبا اتجاها هو. وهنا مع أس (واجب الله) الذي لايقبله الكهنوت اطلاقا - ماعدا المعتزلة وبقيود - يتبين واجب خروج النبوة ومبررها؛ انها من اجل الناس وليس من اجل الله. وهو الاس المركزي الممثل لكل كتاب جمهورية النبي في الكلمة المركزية هناك؛ ان النبي أرسل لنصرة بلال وليس لنصرة الله.. وان الله لا يرسل الانبياء لاجل الالهية وانما لاجل الانسانية..

.. حينما يتحسر الله في السماء، تظهر النبوة في الارض.

ومحاربة النبي لابي لهب ليس لمسألة (استبعاد) الله من الوهيته، وانما هو (استبعاد) بلال من حرته.. لايهم، ليعبد ابو لهب حجرا او شمسا او ايا شاء ولكن ليترك بلال يعيش وجوده. اي المسألة الدينية هنا لدى النبي تتعلق بـ(بلال) وليس بـ(الله)..

بسبب هذا أختلف مفهوم الكفر لدى النبي عنه لدى الكهنوت، بمنطلق وجودي حياتي بعيدا عن اللاهوتيات. ليبعد عن كونه مسألة كهنوتية تتعلق (بوجود الله)، وليكون هذا المفهوم مسألة وجودية تتعلق (بوجود الانسان). وفي هذا سيتعدد الكفر بتعدد وجوديات الانسان. فكما كان الكفر في الزواج؛ هو ان تعزل اناسا عن قلوبها، لا ان تعزل الله عن الوهيته. وفي الرق؛ كفر ابي لهب هو استعباده زيد وعمر وليس عبادته اللات والعزى وهبل.. ايضا سيكون في الفقه؛ الكفر ليس هو ان تحذف الصلاة والصوم عن الله، وانما ان تحذف الوجود عن الانسان بقيود الشريعة. فتحرم عليه الحياة.

..هكذا بدأت كتب اللصوص. وفي هذا احتل الفقه الوجود..

7

اللس الحقيقي ليس هو من يسرق بيتك، وانما هو من يسرق وجودك.

فمن يتزوج امرأة لقسرية ما، هو يسرق جسدها وارادتها وسعادتها وشعورها. والحكماء هم من جعلوا هذا الزوج لصاً، بحلية فقهم لتلك القسرية، طالما انه تزوجها بالمعبد، دون سؤالها عن موافقة قلبها. يكفي صمتها مهما كان وجوماً¹⁴.

ولأنني اعتقد ان من مهام الوجودية هو البحث عن اعماق اخرى للمفاهيم وليس تجديداً لوجهها القديم- لانها اصلا لم تأتي ناجزة اصلا، ولم تأت عن فطرة اولى، فلاتجديد ولاتصحح هناك معها، وانما سبر وكشف لاعماق تمثل حقيقة وجهها. وهو سبر للوجود الخفي، ناهيك عن رفع الزيف عن اسمائه ومفاهيمه واشياءه- لذا بوجودية اعماق في مفهوم اللص؛

من يعلمك ان الطاغية كان عظيما هو يسرق تاريخك¹⁵.. من يعلمك ان تقتل باسم الجهاد هو يسرق دمك، فإذا قتلت الاخرين هو يسرق يدك.. من يعلمك حرمة العشق فهو يسرق حبك. من يعلمك دخول مسجد الاغنياء فهو يسرق صلاتك.. من يعلمك ان الآخر كافر هو يسرق إيمانك. ومن يعلمك انه مباح في دمه وعرضه وماله وارضه هو يسرق انسانيتك.. من يعلمك الكذب باسم الحيلة الشرعية هو يسرق صدقك.

¹⁴ اعرف فتاة قالت لي كان داخلي يصيح لالالا امام الكاهن، ولكني نطقتم نعم. وكل اهلي يعلمون. الان الكهنة واهلها والمجتمع يروها زوجة.. معظم الزيجات الشرقية هكذا. لذلك كنت اردد؛ ماكثر المتزوجين وماقل الأزواج.

¹⁵ الى يومنا هذا مازالت الجامعات والفكر الفن وعموم الاعلام وحتى الدراما تتدوال الكذب التاريخي وتعمل على ماكتب كذبا من التاريخ، حتى مع اوضح بديهيات كذبه.. هؤلاء كلهم لصوص. بل التاريخ عينه حري به ان يكون لصا، سيما ان ليله اطول من نهار.. والصوص يهون الليل كثيرا.

..من يخدعك بدين مزيف فهو يسرق إلهك. تماما كما هي من تخدعك بعشق كاذب فهي تسرق قلبك. لذا لا يضاهاى الفقهاء الا النساء. لصا وجود بامتياز.. وأن تعيش بلا إله ولا قلب. يعني انك ميت تثرثر كثيرا.

هنا السرقة الحقيقية للفقهاء، إلهنا ونبينا ووجودنا، حياتنا وعشقنا ويدنا ودمنا. وليس ما يجري به التاريخ انهم سرقوا مالنا، فتلك سرقة إعتبارية، رغم انهم في ذلك ايضا بزوا لصوص المال بفن لم يلحه لص من قبل. فأن يكون اللص عاديا ليس مثل ان يكون اللص فقيها. حينها يخرج اللص عن عرفه ليدخل من الباب لا الشباك، لانه يسرق بقرآنه وانجيله، بينما اللص العادي لطالما يسرق بقلبه. اعتقد ان الكل يعلم ان صكوك الغفران هي اوراق انجيلية بكل صراحة. ولكن حتى مافعله القساوسة كابرز لصوص لله تاريخيا في ذلك، لايمثل شيئا نسبة للكهنوت الاسلامي، الذي لم يكن له ان يكون لص مال الا أن يؤدي دوره كلس وجود، من خلال الشريعة¹⁶..

الفقيه يقول لك ضع مالا في هذا الضريح ليصل الى الله، بينما لا يصل هو الا ليد الفقيه. يسرقك ويسرق الله في نفس الحين.. ويقول لجيشه احتلوا هذه البلدان فانه فتح من الله، وانهبوا اموالهم واسبوا نساءهم فانه غنيمة، وخذوا منهم الجزية فانهم اهل ذمة. وهلم جرا.

¹⁶ واسوء مايفجني اكثر في لصوصية المال من بين الكهنوت الاسلامي هو الكهنوت الشيعي، بل ان كل تهمة الدينية تتحصر في ذلك. وفي ذلك انماط يشيب لها الرأس. بل لم يقتل هذا الكهنوت الا المال وحسب. لذا قاعدتي في تصديق احدهم، هو ان لايقبل مالا اطلاقا.

إولئك هم الحكماء والفقهاء. وتلك هي شريعتهم.. لصوص ونصوص¹⁷.

مؤسف أنك تسير في تاريخ المعبد، فلاتجد فيه ضميرا الله ولا قلبا الله ولا وجهها الله ولا بيتا الله. إنك تجد لصوصا الله فحسب. لذا فنحن نسمي تاريخا بهم وليس كتابا.

الغريب هو رغم اني كنت افتخر كثيرا بذاتي في انها ترى الصفة الادنى بشريا هي ان يكون الفرد لصا، ولكن من الغريب في نفس الحين أجدني لا أهوى في التاريخ الا الشطار والعيارين بسبب تلك الصفة لاغير كقطاع طرق. واعتقد ان سبب ذلك هو انهم كانوا لصوصا في بيوت اللصوص. بشيء ما من ايقاع كلمة المتمرد عثمان الخياط في حثه لجماعته على سرقة اقطاعي المسلمين في القرون الغابرة؛ (لم تزل الامم يسبي بعضها بعضا ويسمون ذلك غزوا، وماياخذوه غنيمة وانه من اطيب الرزق. وانتم في اخذ مال الغدرة والفجرة اعذر..). لذا في التاريخ لم يقبل اكثر العيارين سرقة الا من لصوص الدين وسلطته، ولطالما اعطوها او تقاسموها مع الفقراء.

وهذا عينه ماجعلني افتي لصاحب لي بحلية سرقة الفقهاء. بل افرح كثيرا بمن يسرق من الله. لان لصوصه سرقونا كثيرا¹⁸.

¹⁷ رُدد كثيرا بيت محمود درويش؛ احتفى ابوك بالنصوص فدخل اللصوص.

¹⁸ يروي جيدا صائب عبد الحميد، صاحب كتاب علم التاريخ، انه مرة واحدة وجدني مبتسما. فاخبرته حينها اني سرق الله. كانت مسبحة من معبد اضطرت ان اصلي فيه. والمسبحة وقف ولايجوز لدى الكهنوت اخراجها من بيت الله، فهي ملكه.. اعتقد ان جدلية المال لله ام للناس بين معاوية وابي ذر مقامها هنا، في خديعة الكهنوت التي عن طريقها سرق الكثير منهم.. علما ان الفقه التقليدي يتبع معاوية وليس ابي ذر..

سرقة المعبد..

(بيتي بيت الصلاة يدعى، وانتم جعلتموها مغارة لصوص..)

.. ابراهيم الادهم لانجيل قديم.

(لإقامة معبد جديد، لابد من تهديم معبد قديم..)

.. نيتشه

1

إلهك هو فقهك، وليس الله. هذا ما أمسى عليه المسلمون.

لو كان الامر معهم؛ الهك هو قيمك وليس الله، لقلنا انهم يدخلون الى الله من سماء أوسع. ولكن الفقه لايمتح قلبا، كما انه لايمتح إلها، انه يسلبهما منك فحسب، انه يجعلك صنما.. ليست سخريه وجود؛ ان الدين الذي جاءك بتحطيم الاصنام يجعلك صنما.

هنا اكثر المشكلة، حيث الروح الحقيقة للدين امست ملغية ومتاخرة لحساب الشريعة- والمفروض ان ذلك يكون عين الازمة التي جعلت المتصوفة يؤسسون لإزائية الحقيقة والشريعة، ولكنها للأسف فكرة انحرفت كثيرا- حيث امسى المبدأ منسيا لحساب الفقه، والهدف لحساب النص، بمدى يصل الامر به لاشعوريا في طبيعة التدين؛ ان صلاة الله اهم من الله نفسه. وليس من الانسان فحسب. بينما في جوهر الدين؛ تعسا لصلاة تدخل

مسجدا بني بجوع الناس. فالله مبدأ وليس فقها، والناس هم رسالته وليس الصلاة. الفقهاء حددوا المتدين بالمصلي وليس بظاهر القلب او بالطيب عموما. فلديهم ان تكون مسلما هو ان تكون ملتزما بفروع الفقه، بين صلاة وجهاد. واهملت العقيدة الحقيقية للدين في ان تكون للخير وللانسانوي والاخلاقي فحسب. وهكذا امسى الدين مقلوبا.

2

الله بدون الحرية لخلقه لا يكون إلهاً. والمعبود بتحوله الى سلطة، يكون قد قمع الالهوية وليس الحرية. لان الوهية الله لا توازيها الا حرية الانسان..

عبوديته تمسح الالهوية اصلا.

فإذا ما اخذنا مفهوم العبودية بانه ليس قيد السيد، وانما اي قيد يلغي منك الوجود حيا، حينها لن تكون العبودية الحقيقية هي عبودية السيد، وانما عبودية الشرائع والاعراف والقوانين والانتماء. وتكون الشريعة الكهنوتية بالذات هي ام العبودية، لانها ابرز من تقوم بذلك الالغاء الوجودي. كونها، بدل ان تكون نبعا، كما هو اصلها اللغوي، كانت جحيما. وبدل ان تكون افقا، كانت سجنا. ومدار الوجودية الدينية هو ان تعانق الوجود الذي ولدت له، لتكون فيه ويكون فيك، والا حينها يكون خلقك للوجود خطأ. لذا فهذه الشريعة متهمة. لانها تسلبك من عناق الوجود - الوجود عشيقا اما ان تعانقها او تغدوا عدما دونها. كل ماعدا عناقها عدم- وكأن حال الانسان مع الوجود؛ فاجتمعنا لمعان

وافترقنا لدين¹⁹. بل هو كذلك تماما.. لذا هذه الكلمة هي الاس المعرفي للوجودية الاسلامية معنا في كل نواحيها.

فالمرأة التي عاشت مع زوج تكرمه حُذِف وجودها بحذف حريتها مع شريعة الطلاق وقيده الرجولي. سيما مع معونة الاعراف لذلك. لتبقى تلك المرأة بين الله والحياة بلا إله ولا حياة. لانها لاتحب حياتها التي ارهقتها، ولاتحب الاله الذي تتوقعه صاحب الشريعة. بل انها غضبة من الله في قانونه، كما لاترى منة له في خلقها. بل عتبا عليه. بينما حقيقة الامر هو انه لا وجود لقيد الطلاق اصلا في جمهورية النبي، لان الطلاق والحرية متضادان وجوديا²⁰، والحرية هي اساس الجمهورية مع النبي، بمنطق أسه؛ (الناس مسلطون على انفسهم). فهم يقرروا نوع وجودهم ومكانه وجنونه ورفيقه وحبه وتيهه، لا الاب ولا الزوج ولا الحاكم ولا رجل الدين ولا حتى النبي، ولاحتى الله. انها حياتهم. الله منحهم الحرية كشيء كاهم بذرة في ماهيتهم، إنها ماهية وجود²¹.

اذن الوجود حر والشريعة قيد، وبذلك تتعارض الشريعة مع الالهوية، لان الحرية الممنوحة من الله للانسان في خلقه ستغدو عبثا، إذا مابعث الله بعد ذلك بشريعة تسلب

¹⁹ تبقى؛ فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان. في قاعدة (وصال المعنى) لازمة لكل الزوايا الوجودية الانقلابية، على المنظومة المعرفية للكهنوت وعموم الواقع الانساني..

²⁰ حتى وان لم يتضادا منطقيا. لان شريعة الجمهورية وجودية حياتية وليست تجريديه صورية، كما هي المقاسات الفقهية. اي انها لاتؤمن بالتضاد المنطقي، وانما التضاد وجودي فحسب..

²¹ لذا بعض الوجوديات، حينما قدمت الوجود على الماهية، لم يكن الامر معها لاجل بعد فلسفي تجريدي، بان الذهن اولا يعاين الوجود ومن ثم ينتزع الماهية. كما هو مثلا شأن مدرسة الحكمة المتعالية. وانما لرايهم بان الحرية هي الاصل في الخلق، ولايجوز حتى على الله ان اخذ الحرية من الخلق، منافاة لكمال الخلق وصحته، والا لكان قد خلقه حيوانا وليس انسانا. إذن الانسان يصنع ماهيته بحريته. ليكون الامر؛ الماهية بيد الانسان، والوجود بيد الله. كما اختصرناه في الجزء السابق. إذن الماهية متأخرة....

حريته؛ اي ان الله سيعطيها من جهة ويأخذها من جهة. بل حينها يلزم على الله الاحتياال وليس العبث فقط. لذا على الفقهاء ان يعترفوا بأنها شريعتهم وكذبتهم، وليست شريعة الله، والا سيتركوا الله متهما في ذلك.

كل القصة في كفر الشريعة هو إنها لعبة فقيه وحيلته ولصوصيته، وحماقته وعقده. وفي افضل حالاته وحسن نيته، فهو فقيه يريد الانسان للمعبد، بينما الانسان للوجود. وما يضع التهمة المعرفية الاكبر، هو تأسيس الفقه واحكامه على منطق السيد والعبد بين الله والانسان²²، منذ اول رسالة في علم اصول الفقه. بينما ابن ابي طالب يعيب تلك العلاقة، بإستنكاره رسميا (... فتلك عبادة العبيد).

الله ليس اقطاعيا يريد عبدا له في الارض، يسخرهم لاجل ذاته، كما يسخرهم السيد التاريخي في ارضه وحرسه وخدمه. انه الهه لا سيده، انه اصله، روحه. هو يعطيه وجودا، بينما السيد يأخذه منه.. العبد كل همه هو ان يتخلص من سيده، بينما الانسان

²² توجد موسوعة كهنوتية تحمل هكذا عنوان إفتخاري (موسوعة توحيد رب العبيد).. مفردة العبيد واستخدامها بيننا وبين الله خنقتها تاريخية خاصة بين السيد والعبد. ورسخت مع كثير من الاخطاء التي لم يكن للنبي ان يغيرها بقومه. لانه كان معلما فحسب.. كل تلك الانثروبولوجيا تحال على الخطوة الاولى في تسمية بناء الاله بالمعبد.. ولكن من هو الاول زمنيا، هل هو العبد العرفي ام الاله الديني؟.. ظاهرا بدأ الامر مع العرفي وعلى اساسه كانت تسميه المعبد. فتشوه الاله الديني بالعرفي. علما انه حتى مفردة العباد الأولى بالطريق الديني ضاعت وسط زحام مفردة العبيد.

يلجأ الى الله، ويفر إليه²³ لايفر منه ليسمى أبقا مجرما.. السيد يرفض ان يرتقي العبد اليه، بينما الله يريدك على مقاسه، صورته و شبيهه في صفاته. لايريد حتى ان تكون مريده وتابعه. فارق كبير بين الصلاة والسياط.. العلاقة بين العبد والسيد، سيات وظهر، وبين الانسان والله مبدأ وقلب..علاقة وجود يربح بها على الله لايربح الله بها عليه. كما هو السيد في ربحه المجاني في سخرة العبد بالقوة.

ولان هذا المنطق بين الله والانسان بقي حاكما على التشريع الى يومنا هذا، تحتتم الامر ان يكون التشريع مغلوطا في معظمه. وامسى الوجود مغلوطا به. كون هذا الفقه يغطي معظم حركة الناس والاعراف- سيما بعد ان اصبح الدين عرفا اكثر من انه عقيدة، والشرقي يستطيع كل شيء الا أن يخرج على عرفه- لذا لا انقاذ للوجود الا بابطال هذا الفقه. بل لايمكن انقاذ الله نفسه الا بذلك. طالما ان الواقع الديني امسى؛ الهك هو فقهك، وليس الله.

3

لا نقاش في ان العبودية التقليدية للرق، هي الناحية الاسوأ اطلاقا على الليل البشري²⁴. وانها المأساة الاولى للتاريخ، والخطيئة الابشع للانسان، والخروج الاكبر على

²³ للقرآن نصه في ذلك؛(فروا الى الله).

²⁴ تأسست البشرية في طريقها الاجتماعي الاول على منطق السادة والعبيد. ارستقراطي وعناصر اخرى حولتها الحياة الى رقيق. فكانوا خداما لوجودهم في كل الزوايا الحياتية، سواء لبناء القصور والجيش والحرس والخدمة والرفاهية والارض. كل حاجة الارستقراطي في طعامه وراحته وترفه يقوم على عمل الارقاء حتى قبره الفرعوني يبينه عبيده. المفروض هنا بديهية، وهي ان الاهرامات هي ابداع العبيد وليس الفراغة.. كل حضارات الشعوب قامت على العبيد وليس على السادة سومريون وفراعنة.. ليس مؤلما ان عين امبراطورية

الله. ولانقاش ان هذا الليل يمثل البديهية الاولى (للضمير) البشري في اسم الخطيئة. ولكن الغريب كل الغريب هو ان الاسلاميين من كهنة ومتقنين، مازالوا يقولون انها اروع ليالي التاريخ معهم، بل وانهم من جلبوا للتاريخ اقماره. رغم انهم ساهموا في أسوأ ناحية من ليل العبودية ذاك. ليس لانها كانت معهم حالكة اكثر، وانما لانه الله اسم فيها. وعن هذا ستقدم كل المشكلة نفسها، حتى وان كانت بعضها²⁵.

صحيح ان العبودية الاولى²⁶ انتهت كمشكلة وجود، ولايهمنا أمرها أطلاقا، ولكنها تبقى مشكلة بنية تبين منطق الفقه وفضيحتة في إنتاج الاحكام عموما. إذ عين البنية المعرفية التي جعلت العبودية حلالا في الفقه الاسلامي، هي عينها تجري وتحكم السلوك المعرفي في انتاج باقي احكام المنظومة الكهنوتية. الامر الذي ينفذ كثيرا لتسهيل هدم المنظومة الكهنوتية تشريعا وعقيدة مرة واحدة دون المرور على تفاصيلها، فقط بجر هذه المنظومة الى نقطة يستشعر معها الفرد المسلم كلمة نيتشه؛ (ليس فرصة مناسبة لكي نتعلم التشكيك في الفكر نفسه جملة؟.. الم يتلاعب بنا حتى الآن أيما تلاعب). وهذا اهم ما نطمح به هنا. علما ان إجراءها المنهجي هنا يتجاوز آلية منطق الوثاقة؛ اذا أحرز خطأ البعض، علينا ان نشكك بالبعض الآخر.. وانما من منطق؛ أن الجزء ينفي الكل

نهاية التاريخ كما سمت نفسها امريكا، اسسها العبيد ايضا بمجيء 22 مليون اسود من افريقيا ليهيئوا امريكا للعالم. لذا نظرية (الرشد البشري) في التاريخ ايضا كذبة اخرى.

²⁵ الغريب ان عين العدميين الذين ينكرون الله والنفس والروح والمعايير والقيم العليا، تجدهم يكذبون ويناضلون الى تحرير الانسان والتعساء من عذاباتهم.. والبحث عن شيء من اجل سعادة الانسان، ويرفضون تلك العبودية جملة وتفصيلا. إذن العدميون اقرب الى الله واقعا من الدينيين الذين مازالوا يجدونها حقا وشرعا الهيا.

²⁶ وصفناها بالاولى لانه تلبست بلباس اخر له اشكاله في الوجود.

في مقياس البنى.. فما يجعل الكهنوت يشرع للعبودية هو عينه ماتقوم عليه باقي التشريعات.

أعتقد ان ذلك سيُسهل إدراك لعبة الفقهاء مع النبي وخيانتهم وسطوهم على الاسلام وسرقته في كل غرفة. وبالتالي يقف المتلقي على عتبة اليأس من كل مانتجته ومانتجته تلك المنظومة تشريعا باسم الفقه.

لا تعينني هنا مشكلة التاريخ، رغم ان المهمة الاولى هي مهمة تنظيفه. إذ لاتوجد اعظم من مهنة الزبال، حينما يكون عمله وساخة التاريخ. لذا، عادة، لا يخشى الكهنوت الا من فيلسوف زبال. اما الفيلسوف الانيق في شوارع التاريخ، فعادة ماتكون فلسفته وسخة.

ما يعينني هو بنية المنظومته الدينية، في فقيها وفقهاها. قياسا على بنية مفهوم الانساني، باعتباره هو المفهوم المحدد لاصل ماهية الدين. ولان الأزمة في البنية الفقهية هي أزمة انسانية لا معرفية. لذا تحال على ذواتهم وليس على المعرفة. إذ لوجود لمشكلة عقلية معرفية مع الدين كما يدعون، لوضوحه بوضوح الخير، فكل الاشياء واضحة مع القلب. وهو أعدل قسمة بين الناس، فيلسوفهم وبقالهم. لذا كشف البنية الفقهية وانحرافها هنا هو حساب وجودي لا نظري - وهو امر مغاير منهجيا تبعا للانقلاب المعرفي على التجديد التقليدي - لقيامه على منهج شعوري تصله العجوز وامها اكثر من الفيلسوف. فالعقل الفقهي الذي يتجاوز على بديهيات الضمير لايمكن الوثوق به حتى وان وضع جنب القرآن. بل حتى ولو كان عليه ختمة جبرئيل. لاننا نحكم على

الله نفسه بالضمير، وعلى انبيائه وعلى الوجود. هذا عينه ماقرره النبي عينه في ديانة القلب؛ (استفت قلبك وإن افتاك الناس وافتوك..)

وهذا ما فرض هنا اختيار بنية العبودية، إذ لا توجد بنية فاضحة لزور الفقه الكهنوتي بدهيا، بقدر بنية تشريع مسلمة العبيد أو السبي والقتل وغزو الشعوب واحتلالها باسم الهداية. سيما انها ليست تشريعات جدلية نصيه، كما هو مثلا حكم حق الطلاق بالتساوي بين الزوجين، وانما تشريعات تربط بأشياء لها ظهورها الحياتي، كصور تاريخية حكاية منقولة وصفا. وبلا شك ابرزها وضوحا مع القلب يربض تاريخيا مع اليتيم الذي قتل اباه واخذت أمه يتسرى بها المسلم بعد المسلم وسبي عن ملعبه ودياره، ومن ثم كبر عبدا وخصي عبدا ومات عبدا. أي بنية قبلت تشريع ذلك؟.. قبلته بنية الدعوة والجهاد والفتوحات، التي صار بها الدين تشريعا لاستعباد الناس لا تحريرهم، على النقيض تماما من الشعار المركزي للنبي؛ (من عبادة العباد الى عبادة رب العباد). فكانت ضد الله ونبيه، وكفر به وليس دعوى اليه. سيما ان الكهنوت مازال يرى تلك الامور مسلمة رسالة نبوية وشريعة الهية. وبشكل يبرز معها ان الكهنوت الاسلامي ليس فقط كهنوتا لا يخل من تشريع بديهيات القبح، ومن جرائمه وساديته في التشريع، بل انه يسجلها باسم الشرف، ويقدمها باسم الله.. يتوضأ بها ويصلي بها.

4

في الجمهورية الاولى ذكرنا منهاجها يجعل من العبودية والطبقية قيمة معيارية معرفيا تكفي مسبقا في تخطئة الايديولوجيات، دون الاطلاع على تفاصيلها²⁷. فالتشكيك بالكل بخطئة الجزء امر منطقي اذا كانت خطئة الجزء اتفاقية بشرية للضمير، وإن كل شيء دونها في الخطئة. إذ لا يمكن لعجز ان ترى دينا يقول بحلية عبودية زوج و سلب زوجته عنه واطفالها وديارها وفصلها عنهم والاستمتاع بها وسط كل الامها. ثم تثق بما بقي من هذا الدين في تشريعاته. قد يقبل افلاطون ذلك، بل هو قبله، ولكن محال ان تقبله عجوز. لان العجز وافلاطون يقفان بين جبلي ديانة القلب وديانة الفقه في افضل نهار. بالحقيقة ان كل القصة؛ هو ان قلب العجز افضل من عقل افلاطون. وفي هذه المفارقة قيمة الوجود. ولكن ايضا في هذي المفارقة حماقة البشرية.

كل التعويل منهاجيا في الهدم والتشكيك يقوم على اساس ان الايديولوجيا التي تحلل العبودية والطبقية والسبي والقتل ودموع الاطفال بأسم الهداية ميؤوس من انسانياتها، ولا يمكن تسميتها ايديولوجية دينية اطلاقا. لأبأس لتسمى ايديولوجية امبراطورية. اعتمادا على قاعدة ان الديني هو الانساني فحسب. لان تلك المآسي لا تحتاج الى فكر في جدارتها اسم الجريمة والكفر الانساني. بينما الفقيه يحللها دون اي جهد اجتهادي اصلا، فيدونها كبديهية شرعية وانتهت المعرفة.

لذا سيبقى الاساس في نظام الهدم لا يتصل بالتسلسل البرهاني العقلي للموضوع، وانما بالتسلسل الشعوري له مع الصورة التاريخية والتشريعية على حد سواء. ليس لاننا في إطار ديانة القلب، وانما لانه لا منهج عقلي اصلا للحقيقة، وإن الحراك الذي يصلها

²⁷ الامر قريب في منهجه المعياري من كلمة خليل الكافر؛ (باطلة هي التعاليم التي تجعل الانسان تعسا في حياته).. التي تأخذ اصلا كليا وتحكم به مسبقا، دون الحاجة الى النبش داخلها.

هو شعوري فحسب²⁸. والشرعية تاريخيا هي من اكدت ان العقل الفقهي يمكن ان يجعل بديهيات الحرام حلالا، خضوعا للمصلحة والسلطان. وحين يكون هذا العقل حسن النية فهو يخضع للنص وللاستاذ والمذهب. إذ حتى هذا الاخير بمعياريته النصية، يسمى مثلا انتحار جولييت وأنا كارنينا خطيئة وحراما وكبيرة، بينما القلب يفهم ان ذلك الانتحار لا يكون الا حينما يصل العشق قاب قوسين او ادنى من الله. وبالتالي فالقلب وحده لا يخضع في فتواه الا للروح الالهية المنفوخة فيه حتى وان كان في جسد طاغية.

لذا المسألة هنا لا تقتضي كتابة تاريخ اخر، وانما فتح قلب اخر فحسب²⁹. تجديد القلب لا المعرفة. وضعه امام التاريخ والاشياء فحسب. وحده من يقرأ لا العقل. الامر يتعدى النص الى الوجود بمنهج وصفي محض لظواهر المأساة وتراجيديات الفعل الاسلامي، وساديات التشريع لتلك الظواهر وفعلها.

.. القلب والتاريخ وحدهما. آنذاك سنجد تاريخا آخر. بل سنجد قلبا جديدا.. فلا يغسل القلب الا المأساة.

²⁸ وفي هذا بالذات يمكن للوجودية ان تثق بمنهج الظاهريات (الفيمنولوجيا). بل لهذا كان على مطلق الظاهريات ان تكون منهجاً شعورياً فحسب، دون اي آراء اخرى يتشردم بها تعريفها.

²⁹ هذا مأرذته في الجمهورية الاولى، بكلمة؛ (ان تربى قلبا جديدا). والاصرار على انها أس معرفي في الوجودية الاسلامية. اعتقد ان المتصوفة كانوا قد ارادوا من ذلك كثيرا في منهجهم ولكنه انحرف بصياغات فكرة الترويض.

عرض خام لما هو مسطر في عين التاريخ الموالي³⁰ للكهنوت. خام صفاقته وليس نقائه. لان صفاقته تلك هي عينها من نفعت في وصول الحقيقة الينا، حينما جعلت الكهنوت يدون خطاياهم على انها شرفا بمنحها اسماء من الفضيلة والشرعي والدعوة والالهية وعموم مفردات المعبد. إذن القدر كان وفيما وليس المؤرخين.

5

كان كميل ابن زياد، تلميذ علي، قد سأل في احد الليالي؛ .. معلمي ما الحقيقة؟.. فأجابه؛ (محو الموهوم وصحو المعلوم).. سألته مجددا؛ زدني.. لم يجبه علي، التفت الى السراج، وقال؛ ياكميل اطفئ السراج فقد طلع الصباح. قام كميل بذلك، وفهم انه قال كل شي. لان الشمس تغني عما دونها.. إنقاذ الحقيقة لا يقوم الا ب (محو) المتوهم انه الحقيقة لدى المجتمعات. وهذا (المحو) يكفي ذاتيا لـ (الصحو). او لنقل ان الصحو لا يكون الا بالمحو، بمنطق كلمة التاوية؛ (افرج تمتلئ). فـ (الخلو) وجود في المعرفة . ومع عين هذه الازمة جاء المتصوفة بكلمتهم المشهورة؛ العلم حجاب. والفقه اكد تاريخيا انه؛ (حجاب الدين) وانه حجاب الحقيقة والوجود. علما ان كلمة علي هذي تشي ضمنا باختفاء اللصوص مع اختفاء الحكماء.

³⁰ لا يوجد اصلا تاريخ معارض في التراث الاسلامي. هنالك تواريخ معارضة في الخلاف المذهبي والسلطوي فحسب، وليس في الخلاف الديني الانساني والحقوق. وفيها من اللغز المخزي ما يفسد مفردة المعارض وقيمتها التاريخية.

لذا المسألة هنا تتجه الى فضح ان كثيرا من مسلمات الحق في التراث هي عينها مسلمات الباطل الاكبر اطلاقا. وان الفكر والتشريع الكهنوتي على النقيض من بديهيات الانسانية. وان مسلمات الهوية هي مسلمات لا انسانية. سيما ان الكهنوت مازال يفتخر بالخطايا الكبرى على انها مفاصل الحق والانتصار الالهي. رغم انها تراجيديا الكفر للتاريخ.

سرقة الله..

(إذا رأيت كاهنا فصاح حرامي.. حرامي)

كيركجارد

(انني امتلك كلاما ملطخا بالدم..)

الرومي

1

النبي والاله، يموت تاريخهما، اذا ما قرأتهما تاريخا. وإذا ما أدخلنا المعبد توحش النبي وقسا الله. فيغدو النبي غير النبي، والاله غير الاله.

فهل على الانسان ان يعود الى الهه داخله، دون كتب، دون تاريخ.؟. هل عليه ان يكون خاليا من المعبد، ليكون مليئا بالله. تماما كما عليه ان يكون خاليا من التاريخ، ليكون مليئا بالحقيقة³¹..

إن فالحقيقة بكل بساطة، هي ان الكهنوت هو اكثر من كذب في ايمانه. وليس اكثر من صلى في معبده. وبما اننا على مسلماته فايما ننا كفر ايضا. ولا ايمان الا بنفي تلك المسلمات. لذا بدل ان نحفظ عضمة من التاريخ، علينا ان نتعلم عاره فحسب. فالعار هو الممهد للحقيقة، والعودة الى الحقيقة لا يكون الا باستشعار العار، بروح كلمة ستاندال (التاريخ لا يرى نفسه. وان لم ننظر الى اسفل، فلن نرى الهاوية).

³¹ الله بلا معبد. هذه اهم حقيقة لابد الالتجاء إليها. المعبد في بنائه، تأسيس تاريخي متهم، له سره الانثروبولوجي الخاص.. لماذا تأسست هذه الجدران، وأخذت هذا الاسم وحصرت الله به، وفعلت جدران أخرى

لذا فالحقيقة الاهم انقلابا، هي؛ ان محمدا لم يكن إسلاميا قط.. تماما كما لم يكن عيسى مسيحيا³²، ويوذا ليس بوذا. ومن يظن انه من الاسلاميين فقد اساء الظن بالله، وليس بالنبي فقط. وهنا يمكن فهم إبهام كلمة الجمهورية في غايتها؛ (ليس انقاذ الاسلام، وانما انقاذ النبي من الاسلام). كم انقاذ المسيح من المسيحية. وكل الانسانوين من تاريخهم. رغم انه ليس همنا النبي وانما جمهوريته. ولكن لا يكون ذلك بدوا الا بالنبي وتخليصه من حجاب الكهنوت الاسلامي ومسلميه.

.. إذا ما أدخلنا المعبد توحش النبي وقسا الله.. اليس الكهنوت بمعبده يجعل النبي يتخذ ثلاثا من الجواني ويستعبدن كعمل شرعي وإلهي، ويجعل من الله إلهًا يقتل ويسبي من اجل الانصياع لعبادته، كما هو مثلا مع قبول العلماء قاطبة للحديث المدسوس في منطق الشهادتين؛ (أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله..). وإعتماده معرفيا لهوية الاسلام ومنطق الله.. هنا العلماء يجعلون من الله ملكا يرسل من يقتل الناس لاجل الاعتراف به. ولكن الله ليس قاتلا، والا لارسل الحجاج وليس محمدا. اليس الكهنة كانوا كفارا في عين معبدهم حينما كانوا يصلون خمسا ويقتلون الاثنا³³. هذه هي بنية الفقه الكهنوتي، في اوضح صورها؛ أن من يُشرّع للصلاة هو نفسه من كان يُشرّع للقتل..

نفس الشيء. كلّ يقول الاله هنا !!!؟ للامر قصته.. بكل الاحوال، فالمسلمون؛ (اتخذوا مساجد الله اسواقا)، كما قال الحسن البصري، رغم انه اقل من ان يريد رفضا للمعبد، رغم نقدياته.
³² أثار الصياغة اللغوية معي عنوان كتاب برنادشو؛ المسيح ليس مسيحيا.
³³ حينما ارى تلك المأسى اشهد اننا معشر المثقفين معشر سفلة جبنا في علاقتنا مع الحقيقة. واننا نشارك في جريمة الزور اكثر من غيرنا. اننا اسوء من رجال الدين للحياة في هذا العصر..

وفي ذلك فحسب، يمكن الاكتفاء بأن هذا الدين لايمت الى النبي بصله، وان نسخة الاسلام بعده، هي نسخة عزرائيل وليس جبرائيل.

لذا فالله من يخشى من العلماء، وليس العلماء من يخشون الله. هذي بديهية لن اعود عنها. وأعتقد معها ان حقيقة آية (إنما يخشى الله من عباده العلماء) هي ليس كما هو معروف ومتفق عليه عند من رتلها بحركتها الاعرابية، وانما هي خشية الله فعلا من العلماء. ولكن ليس ذاته من تخشاهم، وانما يخشى (على الناس) وعلى دينه منهم. والدليل الاهم على ذلك، ليس فقط لما فعله الكهنة وعلماء الدين بالدين والناس والحياة، لتحق خشية الله على دينه منهم، وانما لان حصر التقوى بالعلماء هو نفي لبديهية مع كل المجتمعات في الواقع المعاش بان الناس البسطاء هم اكثر ايمانا وخوفا وتقوى والتزاما بالله من غيرهم، بل ان العلماء الذين تندموا اخر طريقهم تمنوا دين العجائز، حتى ان هذا الامنية غدت مصطلحا رسخ عنهم كاهم ايمان إزاء الايمان الفلسفي. بكل الاحوال هي بديهية، نسبة لاصول الايمان؛ في ان المؤمنين هم من اصحاب القلب النقي/ النبلاء، وليس من اصحاب العقل الذكي/ العلماء.

الخشية غير الخوف او الجبن. لذا فنحن لانتكلم عن ذات وذات، وانما عن ذات على شيء. وان تخشى شخصا غيره ان تخشى منه، تماما كما تخشى ام على اطفالها من شخص، فالامر معلق بالطفل وليس بالذات. او تخشى على صديقك الانحراف، أو على جنديك الخيانة.. علما ان هنالك احاديث كثيرة تؤكد بقوة هذي الوجهة المفارقة للاية، اكثرها بشاكلة؛ (اخشى ما اخشى على امتي علمائها)، والكثير ممن يتناغم معها. أو منطق قلق احاديث بشاكلة؛ (إذا فسد العالم فسد العالم).

كل ذلك لايعنيني كدليل، لان الامر واضح عندي بكل بديهية شعورية واقعية تاريخية؛ انه ليس هنالك من خطر على دين الله وعباده الا علماءه. فهم من جعلوا الله قاتلا وليس غيرهم، كما اسلفنا في دسهم حديث (أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله..).

2

اهم مالمدي في الدين وجمهوريته؛ هو ان الدين ما يمنح حياة، وليس ما يمنح إلها.

ولهذا السبب أسلفنا؛ لم يجلب النبي لبلال الها، وانما جلب له حرية/ حياة.. ولكن مانريد ان نصله هنا هو ان منطق الدعوى الى الله خطأ كهنوتي كبير تاريخيا كما معرفيا. وهو اهم. وان فكرة الدعاة والمبشرين كذبة مصيرية في انحراف التاريخ.

الداعية الديني غير الداعية الاخلاقي فالاخير لاينتمي لمعبد، لذا جمع شتات البشرية على اخلاق واحدة وليس معبدا واحدا. علموا الناس القيم وليكن مايكن شكل معبدهم.. لذا عيسى حينما كان يعلم، كان يرفض ان يتحول اليهودي الى عنوان ديني ثان معه، وحتى التحول من الختان الى التعميد، هو وجهة تعليمية للجسد لا دينية.. معظم رجالات اليسار الاسلامي الاول كأبي ذر وصاحب الزنج وآخرين دعوا بدون معبد. وعلي عينه مثلا هو بلا مذهب اطلاقا، شيعة من اسقط عليه مذهباً فشوهوه به، والا فهو نفسه الذي كان يتمنى الموت كمدا من اجل مسيحية سمع انه سُلِبَ حجلها في الانبار، ومن مسلم وليس مسيحي.. لو سئل احدهم اليوم عن ذلك الحدث التاريخي مع تلك المسيحية، دون ان يعلم رأي الامام وموقفه في ذلك، لقال نعم هي تستحق شرعا ذلك

كواجب في ايداء اهل الذمة، وإذلالهم، أو اقلها لقال انها حرب فتوحات، والحجل غنيمة وهي شرع من الله.

النبي عينه لم يكن يقبل تسمية انتمايية ضد احد، سيما ان كانت اشارة الى معبد مفارق، لذا كان يجلد المسلم ان نادى يابهودي. واليهود لديه مؤمنون بعين تسميته في الوثيقة لا كفارا. وهنا من المهم التيقن ان الاسلام لدى النبي كان جماعة سلمية فحسب، عقيدة وجودية في السلم فحسب، والايمان شي اخر لديه. والا فهو يعرف ان ابا سفيان لايمكن ان يكون مسلما وهو بتلك الروح وخبثها. ورغم ذلك ادخله تلك الجماعة، كي يجتمع الناس على السلم فقط وفقط.. وهو ما سننتهي اليه من ان الاسلام جماعة انسانية وليس عقيدة لاهوتية، وإن الايمان شيء آخر.

مع أس، ان الدين هو ما يمنح حياة، وليس ما يمنح إلها. يبدو بوضوح معها ان الرسالة الدينية لدى النبي، لاتريد دعوة الله ولللاهوية، كما هو دور الدعاة. وانما دعوة للخير والانسانية فحسب. الرسالة لاتريد نبيا يبني معبدا لله، وانما نبي يبني قلبا للانسان. الله لاتهمه المعابد، القلوب فحسب ماتهمه. وان كان غير ذلك، فهو ليس من الله. لان الله ليس انانيا.

انظر حرص اللاهوية دون الانسانية مع الدعاة، لذا، فكما قديما تراهم ضد المجوسي والدهري والبوذي، كذا في الازمنة الحديثة ضد الشيوعي. دائما ضد كل من لا يقول بالله، حتى وإن تميز بنبالة كبرى. لئلا ترتب على ذلك هدر وجوده، دمه، عرضه، ماله، زواجه. لذا حينما كانت تظهر الفتاوى ضد الشيوعية لايقولون انهم ليسوا انسانين او طغاة، وانما يفتون ان الشيوعية إلحاد. هذا هو الاساس لديهم في تخطنتهم. اي لانهم ضد الله. رغم

انهم كانوا مع الجوع والمستضعفين. وهو يكفي انهم مع الله. لان اللاهوتية عينها لا يمثلها في الارض الا الانسانية فحسب. النفي الحقيقي لله هو نفي الانسانية من الفعل البشري وجوديا.. التوحيد كذبة نظرية في اللاهوت.

.. صحيح انهم لا يرفعون ايديهم الى الله، ولكنهم يرفعونها عوضا عن ذلك الى الجوع. فان تطعم الجوع خير لدى الله من عبادته الف عام.

3

الله لا يريد نبيا يسير في الشعوب يقول ان الله واحد، وانما يريد نبيا يقول ان الناس كلهم من واحد³⁴. توحيد الروح البشرية، مهما اختلفت الالوان والدماء والجنون والحب. دعوة الى الانسانية الواحدة. فمحمّد كان يقول انما بعثت لاتيكم مكارم الاخلاق، ولم يقل بعثت لاتيكم وحدانية الله. خاصة ان الوحدانية تبقى رقمية ليس لها محل في كلمة الاتمام. عيسى يقول واحد وحواريوه يجعلونه ثلاثة. بينما الاخلاق في اتمامها هو امتداد في الاعماق وليس في الكم.

³⁴ حتى آية (ادعوا الى ربكم.. لا تريد المعنى اللاهوتي، الله وعبادته وماهيته وانما الدعوى الى الخير.. اعتقد انه امر معروف سلفا ولكن لابس في جلده. إذ لو كان كما يظنون لما كانت هنالك حاجة في الآية الى.. بالحكمة والموعظة الحسنة). لان اثبات وجود الله ليس موعظة، فمجال الموعظة هي القضايا الاخلاقية والقيمية.. كما ان الله لو اراد اقناع الناس بانه موجود وانه واحد اوحد لكانت هناك طرق وطرق اسهل وايسر وان لم يقم بها واستبدلها بطرق النبي فسيلزم عليه صفات تخرجه عن صفة الحكمة..

لا يريد نبيا يقول؛ صلوا وصوموا وحجوا (دللوا الله في عبادته). وانما نبيا يقول؛ لاتخذعوا، لاتظلموا، لاتقتلوا.. احبوا اصدقوا اعينوا (دللوا الانسانية في وجودها).. بل ان التاريخ والتراث الكهنوتي عينه يروي في تاريخه، على ان هذه العناوين؛ لاتسرقوا لاتقتلوا لاتظلموا هي عينها الاشياء التي تعاقّد عليها النبي مع مبايعيه وليس الصلاة والصوم وغيرها. وفي كل البيعات المؤسسة للانتماء الاول للدين وجماعته سواء مع قبيلة بني هذيل او مع بني امية، في الرضوان او الشجرة، لم تكن شروط الانتماء هي الاتفاق على ماهية الله بانه واحد وليس اربعة، وان يصلوا ويصوموا.. الصلاة والصوم عناوين متأخرة في الطريق. وانما كانت الشروط؛ ان لاتقتلوا وان لاتزنوا ومعظم الاخلاقيات الكبرى. بل كل ترحالات النبي الاولى داعيا، لم تات سيرة الصلاة والصوم والعبادة، وانما الالتزام بقيم الخير فحسب. وهو الامر عينه مع الاديان الاولى في مفهوم الوصايا سواء مع عيسى وموسى، او مع عموم نمط الاديان الارضية الكبرى؛ وصايا اخلاقية تخص الانسان، لاتعبدية تخص الله.. بينما ميزة الكهنوت عموما هو ان مقياسه وتحديده لفرد ما متدينا او لا، يقوم على صلاته وصيامه وعموم طقوسيات المعبد، بعيدا عن اخلاقه. لذا من لا يصلي لا يملك حق تسمية المتدين كهنوتيا، مهما كان اخلاقيا في اقصى المثالية.

هذا هو الفارق الاهم بين الاسلام الفقهي³⁵ والاسلام الانساني. اسلام المعبد وإسلام الوجود. إسلام الكهنوت وإسلام النبي. حيث تكون ماهية الدين ؛ كيف تكون مع الانسان، وليس كيف تكون مع الله. وان الله لا يبحث عن دين تنتشي فيه عبادته، وانما عن دين ينتشي به عبادته. وهي عينها البديهة اللاهوتية الاولى في المنحى الوجودي

³⁵ اسمناه الفقهي لان يقوم في جوهره على الفقه والاحكام العبادية، وليس المبادئ الاخلاقية والانسانية. كما هو الفقه الوجودي القائم على تلبية الحاجات الوجودية للناس ومصائرهم وحياتهم.. المهم ان الفقه التقليدي معبد وليس حياة.

الذي كان عليه النبي وكبار تلاميذه. قبل ان ينتصر ابو سفيان وفقهاء التاريخ³⁶. لاموارية في ذلك ولا مبالغة. انتصر ابو سفيان حينما امسى الفقه يحلل لاجل لفظة (لا اله الا الله) قتل الاباء وسبي الامهات وبكاء الاطفال وتيه الحياة، بدس كذبة (أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا....). تماما بالطريقة التي وعاما لا يبنتر بان نجاح الفكرة الدنيوية تكون بالباسها ثوب المقدس³⁷. بينما محمد كان يطلب من عمار ان يسب الله مرة ثانية، ان هددت قريش ظهره بالسوط مرة ثانية. في كلمته المشهورة له؛ (ان عادوا فعد). إشاره الى سبه الاول تحت العذاب.. هنا بكل وضوح؛ ظهر عمار اهم لدى الله منه.

مع كذبة الفتوحات كثرت المساجد والمآذن في الشعوب، ولكن بلا شك كثر العويل ايضا، وكثر القتل والسبي والفراق والترمل والتيتيم والجوع.. هولاء هم الدعاة في التاريخ.

4

³⁶ والمفروض ان هذا ليس غريبا، لانه ينتمي الى نظرية عليها ان نتأكد الان ايضا وهي؛ ان الانبياء في الحروب هم الخاسرون. شانهم شان كل المعلمين.

³⁷ الكهنوت منحها تاويلا، ولكن ليس على شاكلة المنطق التاويلي التي عرفت به السلطات في مفهوم المصلحة والمنفعة، والاضطرار والاختيار، او مثلا التاويل الفلسفي مع القانون الطبيعي من قبيل النحاس والذهب والسيد والعبد، وهي تاويلات دنيوية. وانما تاويلا دينيا تدخلت به الجنة والنار والحلال والحرام.. وكلمة القس السالفة من تلك الشواهد. بمنطق اصبر على عبوديتك تجد الجنة جزاء لها.. وهذا هو الالباس لثوب المقدس.

يصف كهنوتي احد السلاطين وفتوحاته ؛ (وكان رقيق القلب، سريع الدمعة عند سماع القرآن والحديث، كثير التعظيم لشعائر الدين. وكان من خيار الملوك وأشجعهم وأكرمهم وأحسنهم. فتح الفتوحات التي لا تحصى من ممالك الكفر، ودمر ديارهم، واستلب أعمارهم، وسبى نساءهم وصغارهم.)³⁸

مشكله هولاء المؤرخين الكهنة والاسلاميين المتأخرين والعوام ايضا، هو تحول الاسلام معهم الى طرف قومي إزاء الامم، من ينصرهم على الاقوام يعظموه (كما هو الرشيد مثلا) ومن ينصرهم على انفسهم يشنقوه (كما هو الحلاج). لذا كل مشكلة الاديان بين بعضها صراعا هو تحولها الى قومية فحسب. انا اولد بهوية اسلامية، وكذا المسيحي وغيره. ويبدا خلافتنا، ليس لاجل المبدأ الديني وانما لاجل القومية الدينية. حتى وإن لم اكن متدينا.

يصف هذا المؤرخ من (دمر ديارهم واستلب اعمارهم وسبى نساءهم وصغارهم)، اكرر (وصغارهم)، بانه كان (رقيق القلب سريع الدمعة ومعظم لشعائر الدين)..

لايعنيني السلطان وقلبه، ابداء، وانما هذا الكاهن المؤرخ في عقله وفقهه. كيف يصف من سبا نساءهم و(صغارهم) برقيق القلب. الغانية عينها لاتقبل الا ان تصفه بانه حيوان متوحش وليس بشرا. كيف قبل الفقه ان يسمى ذلك التوحش دعوة واسلاما، ليشرعه ويباركه ويجعل توقيع الله عليه..

5

كان ايفان في الاخوة كرومازوف يقول؛ (كل مافي الكون من علم لايساوي دموع الاطفال). ورغم ان كلمة (علم) في النص تقتل بدوا عظمة فكرته، ولكن لا اظن ان الامر يعبر ديستوفسكي بسهولة، كونه الابعد فلسفيا في الوجوديات من فلاسفتها الرسميين.

³⁸ سمط النجوم العوائل، ج2، ص278

بكل الاحوال، بما ان عادتي مع اللغة هو اخذ ماتعطيها اللغة لا المؤلف. اخذ ماتوحيه لي منزلة دون ان يكون المؤلف متصلا بها، في اجباريات سياقه. اي الدخول على مايمكن ان نسميه اقدار اللغة وعالمها. لذا اللغة هنا تشي ابتداءً؛ ان المعرفة بكل آلياتها لايمكن ان تُضارِع في وضوح الحقيقة خطيئة دموع الاطفال. وان هذه الدموع وخطيئتها بديهية لاتوازىها اي مسلمة معرفية. اي يمكن الشك بأي فعل في قيمته، ولا يمكن الشك بخطيئة فعل ما يفضي الى دموع الاطفال وعذاباتهم. وهو ماأخذ إلى منطق ان(الطفولة لاتخضع لاحد، بل الكل يخضع لها). كما هي كلمة اميرسون المعزولة ايضا منه³⁹. الطفولة لاتخضع لاي مقياس قيمي، وانما كل المقاييس الانسانية تخضع لها⁴⁰. وبالتالي لايمكن تبرير اي شي مهما بلغت قيمته الانسانية ووصف بالجمال، طالما انه يفضي الى عذابات الاطفال ودموعهم. من قبيل تطوير المدار المدني استعماراً، او تغيير المدار الديني هداية باسم الدعوى الى الله، كما سبى ذاك القائد المسلم الصغار بكل فخر ديني. لاتجدي هنا حتى كلمة جبران؛(احتقر العظمة التي لاتحنني امام الاطفال). حتى وان كانت العظمة لديهم هنا هي شرف الدعوة لله فهي باطلة ومحتقرة لانها لم تعباً بالاطفال ولم تقدمهم على معبدهم. فكل الاهداف العظيمة والنبيلة عليها ان تتوقف اذا ماتزاحمت مع دموع الاطفال وعذاباتها.

كل مايعم هو مايمكن ان نزحف به عن لغة دستوفيسكي السالفة الى هذي الصياغة منا؛ كل مافي الكون من نجاح او نصر لايساوي دموع الاطفال، اذا ماراقت بسبب ذلك النصر والنجاح.. هذا الزحف اللغوي يصل الى عين ماتؤديه كلمة ميربولنتيني التي

³⁹ لم يكن مراد اميرسون ذلك ايضا، وانما ايضا زحف دلالي لما تعطيها اللغة هنا اولنقل سوقها لوجهة اخرى طالما انها حرة حسب مايلمها من سياق. وهو عين الامر في كلمة جبران السالفة مع خليل الكافر؛ علموني الكفر بكل شيء. الفارئ الان يرى فيها دلالة اخرى، لانها مع خليل الكافر كانت تدل على ان الكهنة علموه ان كل ماعاداهم هو كفر. بينما هنا الكلمة هي انهم جعلوه يكفر بكل ماهو كهنوتي، ويشك بكل ماهو ديني رسخه هؤلاء لدى الشعوب. بسبب بسلوكهم وخبثهم للناس.

⁴⁰ .غاندي ايضا كان حواجه في العنف بدهية الطفولة.

اتخذها مركزاً في الوجودية الاسلامية؛(النجاح هو الفشل ان لم يكن نجاح انسانية جديدة). فكيف اذا تعدى هذا النجاح على الطفولة، وهي الاس الاول انساني كقيمة، ومعرفيا كبديهية.

هنا تأتي نتيجة كل هذه السطور خلفنا، إذ؛ كل مافي الكون من (دين) لايساوي دموع الاطفال، اذا ماراقت بسببه.. وكل مافي الفتوحات من هداية لاتساوي دموع اطفال الشعوب التي قتل فيها اباؤهم وسببت بها امهاتهم، وتركوا فيها يكون ولو ليلة واحدة لاجلهم. بل ولو لاجل كلب بابهم..

أقطع أن بقاء ذلك الطفل مع ابيه دون دمة، بل بقاء ذلك الطفل مع كلبه، اهم لدى الله من كذبة الهداية بالشهادتين، والانضمام جبرا الى الدين. هذا ان افترضنا ان الفتوحات قصدية بريئة مئة بالمئة، وأخطأت اجتهدا فقط. فكيف ان كانت قصدية غنيمة مئة بالمئة. وانها مغاير ليس الا.

إن كيف يمكن ان يوثق بفقده يدعي الله والحقيقة، وشريعته لاتعبأ بجعل هذا الطفل عبداً، رغم دموعه وجوعه وموت ابيه، وسبي امه والتمتع بها في اول لحظة سبي. اعتقد ان هذا الامر عينه هو من جعل الملاحدة الانسانيين يخاصمون الله - وليس ينفونه- لانه يحكمون عليه بالقيم الاخلاقية نفسها واهمها الطفولة وبديهيته، تماما كما كان ايفان في رواية ديستوفسكي يريد ان يعترض على السماء ويخطأها باسم القيم الانسانية للطفولة، لانه لامبرر يصمد امام دموع الطفولة.

هذا المآل الذي انتهت اليه كلمة ايفان، يؤكد انها اصله، بعين كلمة ثانية له؛(إذا كان تألم الاطفال مفيدا لاستكمال مجموع الالام اللازمة للحصول على الحقيقة، فأنني أؤكد سلفاً ان هذه الحقيقة لاتساوي مثل هذا الثمن).

الكهنوت يقول ان هذا القتل والسلب والسبي والتهجير ودموع الاطفال وكل تلك الالام هي شرع من الله، وبكلام رخيص جدا من الدليل، بإدخال ذاك التوحش تحت اسم الجهاد، وان الجهاد ضرورة من ضرورات الدين وفروعه الاساس التي لناقش على بديهيتهما الفقهية، والتي بانكارها يغدوا المسلم ليس مسلما. بل ان القتل والسبي وغيره في الجهاد يستطيعون ان يقولوا انه امر حسن، حسب قاعدة (الملازمة الشرعية)، فمحاسنه الشرع فهو حسن، ومآقبه الشرع فهو قبيح. وصلو الى هذا الحد.. هذه هي المعرفة الدينية وهذا هو العلم، وفي هذا سموا علماء لاغير.. اعتقد هنا تجد كلمة خليل الكافر حسرتها؛ (ان النبي قد بعثكم كالخراف بين الذئاب، فأبي تعاليم جعلتكم تصيرون كالذئاب بين الخراف).

ورغم ان الفقه الوجودي هنا لا تنطلي عليه هذه الملازمة الشرعية للمعرفة الكهنوتية، بل لا تنفعه حتى انقلابية المعتزلة في قاعدة (الملازمة العقلية)؛ محاسنه العقل فهو حسن. لان ديانة القلب تتجاوز المعتزلة في ذلك، فالدموع هنا يستطيع ان يبررها العقل ولكن محال على القلب الا ان يبكي معها. والعقول ليس للبكاء، انها تخدع اكثر مما تفكر. والمعرفة الوجودية معرفة شعورية وليس ذهنية.

ماتمشي عليه هنا ديانة القلب في الفقه الوجودي هي (الملازمة الوجودية)؛ مايفتيه القلب فحسب، فيما يحسن ويقبح. وبنوعية وجودية اعتمادا على الاس الوجودي للنبي(استفت قلبك وان افتاك الناس وافتوك). لذا ليس احمق في عقله فقط من يقول بحلية الدموع للطفولة والسبي للامهات، وانما كافر بقلبه. وليس الكفر الا في ذا. فملحد العقل ليس ملحدا، بينما كافر القلب ملحد مهما صلى وصام، ونجس قلبه مهما توضأت ايديه.. وقلب بلا انسانية كافر لا تشفع له نوع الديانة التي يتعبد بها، موحدا كان ام

مثلا. يعبد بقرة ام يعبد الله.. اعتقد ان التأسيس للتعريف الجمالي قرأنا كان من خلال رؤية البقرة بكلمة؛ (تسر الناظرين)⁴¹، بينما لطالما تحجر القلب بروية الكاهن في صراخه بوصايا ظلم في ظلم. بكل بداهة، اختصر الامر ببداهة مجنونة؛ ان النظر الى البقرة اهدأ لقلبي من سماع الواعظ ان يوصي الناس بان تضع عطرا هي زانية لا بد من عدم احترامها ونبذها، وان كان بالمقدور اقامة الحد عليها سرا بعيدا عن الحكومة المدنية.

بعد كل ذلك، اعتقد انه لا توجد دعوى مفضوحة كما هي دعوى الاسلاميين بان الفتوحات كانت دينية. ليس لان المسلمين الذين قاموا بها ليسوا مؤمنين ولا مسلمين اصلا في ذواتهم. وهو أمر مفروغ منه في معظمه. وليس لانها خلاف المثل والاسس الاولى للنبي وانها على تناقض مع مبادئ قرآنية كبرى. بل ليس لانها على نقيض مايقولون به انفسهم في مقاسات فقههم الكهنوتي نفسه في قواعده الاساس لما يحل ويحرم مما هو مدفون من بقايا النبي، تلك التي يتجاوزوها بالف طريقة، تسمى علما. وانما فقط وفقط لانها كانت فتوحات (لا انسانية). كل مافي الامر لنفي صفة الدين عن معبد هو إنسانويته، على اعتبار ان ماهية الدين تقوم على الانساني لاغير. وبمجرد ان يفقد تلك الصفة فهو باطل حتى ولو انزلوه كل ملائكة السماء. إذ حينها يمكن ان تتوقع حصول تمرد من الملائكة على الله، ولكن لايمكن ان تتوقعه من الله، والا لانتفت الالهوية عينها من اساس. المهم انك تشك بذلك ولاتشك بهذا الدين باطل، وانما باطله يقين.

⁴¹ تحرير فلسفة الجمال في تعريف الجمال، لذا عادة يُتفق انه لايمك حدا منطقيا، وانما تعريفات توصيفية عادة، تجعله امرا شعوريا ذاتيا، محصور بمدار انه مايسر الانسان حينما يراه. وفي هذا لا اريد اسلمة الجمال او المعرفة الجمالية، بل بالعكس هو توضيح ان القرآن هنا يظهر وجوديا.

القصة هنا كلها وجودية محضة، تأخذ صفة بداهة عيانية تقدمها الصورة الحكائية للتاريخ. حيث يُسلب الناس من ديارهم، ومن الزوج زوجته، ومن العاشق عشيقته، ومن الابن اباه وامه. يُقتل الناس وتُرْمَل النساء ويعتدى على الاعراض. ولكن الأكثر نفيا للدين معها هو انها تسلب من الطفل بسمته وتمنحه كل الدموع.. وآه من الدموع في قياسها الانساني، لانها الوحيدة التي لا يمكن وزن المها وقياس قيمتها، (فكل الاشياء لها وزن الا الدموع)، كما يقول جعفر الصادق، في كلمة لإمام كان أبعد وجوديا من الوجوديين.

7

من طباع البنية المعرفية للذات الكهنوتية هي انها تصر على كلمة الهداية والخير، وسط نصوص من القتل والسبي والتشريد، دون اي شعور او ارباك في فضيحة الكلمة. مثلا هذا النص للطبري واصحابه؛ (لقد كانت الفتوحات الكبرى في عهد معاوية والدولة الأموية دليلاً ملموساً على حيوية الأمة وتفاعلها مع دين الله وحرصها على هداية الشعوب). بينما تكلمة النص تقول؛ (وعلم معاوية بخيانة أهل قبرص _ في الحقيقة هم ثاروا ولم يخونوا، ولكنها خيانة المؤرخ للتاريخ والاسماء، حين سمى الثورة خيانة _ فعزم على الاستيلاء على الجزيرة، ووضعها تحت سلطان المسلمين، فقد هاجم المسلمون الجزيرة هجوماً عنيفاً، فقتلوا، وأسروا وسلبوا، وهجم عليها جيش معاوية من جهة، وعبد الله بن سعد من الجانب الآخر، فقتلوا خلقاً كثيراً، وسبوا سبباً كثيراً، وغنموا مالا جزيلاً)⁴².

⁴² (1) الكامل لابن الأثير، ج3، ص92 و 93. تاريخ الطبري، ج3، ص313.

إذن من حق القرآن ان يصرخ مسبقاً؛ (..ويل لهم مما كتبت ايديهم..) لانه يعرف انه عود أبدي، سيتكرر مع الكهنة كيفما كانوا..

ماظلمه وأكذبه من نص يخاصم الهداية خصام الشيطان لله. لا اعرف هل ذكر الطبري من المسلمين القتل ام الهداية مع اهل قبرص. اي هداية هذه!! والمسلمون لم يفعلوا الا القتل والسبي والغنيمة والتشريد والتهجير. هل الفقه الذي تقبل بنيته هكذا حال يمكن ان يمثل الله في حقيقة رسالته وشريعته. اليس من العار للعقول ان تسميه شرعة الهية.

اشعر بكل وضوح ان المؤرخ فرخ بهذا النهاية من القتل والسبي والغنيمة. ولهذا اشعر بوضوح ايضا بلا انسانيته.. هل البنية التي تروي القتل والسبي ببشرى تاريخية يمكن ان يقال عنها انها انسانية. لا أعرف، كيف تصل أمة الى حقيقة دينها وكتابه، وعلى راس مفسريه ومؤرخيه كهنوتي بهذه البنية الأنسة بقتل الانسان وسببه، وفوق ذلك يمنح التوحش بعدا الهيا. لذا حينما دخل الله التاريخ هنا اصبح جلادا.. بكل الاحوال هنا، سُرِقَ الله. لانه لم يعد في مكان دينه. ابحتوا عنه لن تجدوه في المعبد.

هل يمكن لذات لا انسانية ان ترقى لترجم كلام الله، او كلام نبيها ومبادئه وشريعته؟. اعتقد انه لا يمكن الوصول الى دلالات كلام انسان مثل محمد او عيسى او غاندي الا ذاتا بالذات، ترقى لألمها.. تعيش همه وقلقه وانسانيته، لا ان تعيش معبده وكعبته.. لو زور المؤرخ الكهنوتي الحدث لكان اولى بالشرف من نقله له بهذه الصيغة. لانه سيدل على خجل منه بهذه الفجائع ولاانسانيته بهذه الثلاثية التي يرويها؛ (فقتلوا خلقاً كثيراً، وسبوا سبباً كثيراً، وغنموا مالا جزيلاً).. لذا ليس المي الاول هنا هو على مافعله الفاتحون الغزاة بالناس في دمائهم وارضهم وعرضهم. فهذي تراجيديا التاريخ، هذا شأنها دائما، انها اشياء تحدث. وانما المي الاساس، هو مافعله علماء الدين في جرنتهم على ان يقولوا هكذا نصوص مثالا على الهداية، دون اي خجل معرفي من رواية كلها قتل وسبي وترمل وتيتم وتجويع واستعباد.. هنا تكون المعرفة عاهرة اقصى العهر. انهم هنا

لايزورون التاريخ كما هي التهمة الاولى للمؤرخين عادة. انهم هنا يسمون العار شرفا، والثورة خيانة، والقتل والاعتصاب هداية. هذه هي مشكلة البنية الكهنوتية وصفافتها.. فهل الثورة الوطنية خيانة اذا كانت ضد محتل مغتصب. وهؤلاء لم ينتفضوا ضد الدين الالهي، لانه لم يكن هنالك مع جيش معاوية دينا، معه القتل فحسب. ولم ينتفضوا ضد القيم الانسانية وانما ضد الاحتلال والظلم. لذا انتفاضتهم هنا إسلامية نبوية بكل معنى الكلمة. فليس ابو لهب من قال؛ (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد). وانما النبي من قال ذلك. هذه هي جمهورية النبي في الاسماء وفي تسميه الشهيد بعيدا عن اللاهوت، على عكس الكهنوت وفقهه في تسميته بكل صفاقة قتلى الفاتحين المعتدين شهداء. بينما النبي يجعل الشهداء هم قتلى تلك الشعوب، طالما انهم ضحوا من اجل اطفالهم ونسائهم وارضهم وشرفهم. انها كليه معرفية قطعية لايمكن الاجتهاد بغيرها.. ان اولئك شهداء وليس المسلمين.. هذا من النبي نفسه.

8

اعتقد ان دراما البنية الفقهية لا تلوحها الاحكاية الكهنوت مع هذه الصور التاريخية ودينه معها. والغريب انه يتحدث فيها وفي تدوينه لها، كإنسانية وكدين. لذا لااعتقد ان سايكولوجيا عملاقا يستطيع ان يلوح ماهي عليه الذات الكهنوتية وبنيتها. اليأس راحة حينها. لكنني اقلها ارتحت اني عصيت نيتشه هنا في الشيء الاشد انسانية، لانني لم اوفر العار عليهم.

ينقل التاريخ الكهنوتي عن جهة اسيا؛ (إن قتيبة بن مسلم أوقع باهل الطالقان، فقتل من أهلها مقتلة عظيمة، لم يسمع بمثلها، وصلب منهم سباطين: أربعة فراسخ في نظام واحد، الرجل بجانب الرجل)⁴³..

يذكرني هذا بصلب القائد الروماني ساركوس لجماعة العبد الثائر سبارتوكس على طول الطريق من معقلهم الى روما.. اي ذنب فعله اهل الطالقان ليجري الدم بهم اربع فراسخ. ويسمونها هداية. اعتقد ان الدماء هنا تروي غير ذلك. هل هذا من اجل الله. وهل يريد الله من اجل عبادته قتلا وهتكا وسبيا. فليقولوا اذن هو انه غير انساني. او ليعترفوا هم انهم غير الهيين. ولينقدوا الله من تشوّهه..

يروى الكهنوت، من جبهة للشام؛ (ولقد بلغني أنه ما سلم من الروم تلك الليلة أحد من الذين هم غرماء أبي عبيدة ولقد قتلوا عن آخرهم)⁴⁴. مانفع الفتح للرسالة ان ماتوا جميعهم. من بقي ليهوده!! اي سخرية تلك.

يروى من فتوح العراق؛ (... أتى خالد عين التمر، فألصق بحصنها. فخرج أهل الحصن فقاتلوا. ثم لزموا حصنهم، فحاصرهم خالد والمسلمون حتى سألوا الامان، [فأبى أن يؤمنهم وافتتح الحصن عنوة، وقتل وسبى، ووجد في كنيسة هناك جماعة سباهم]، فكان من ذلك السبى حمران ابن أبان بن خالد التمرى)⁴⁵. يروي هذا الكهنوتي الحال التوحشي هذا، وكأنه امر طبيعي ينتمي الى بنية الدين ومفهومه. بينما هؤلاء أهل عين التمر لم يكن ذنبهم الا انهم دافعوا عن ارضهم ونساءهم واطفالهم. بل الغريب في حد التوحش هو

⁴³ البداية والنهاية، ج9، ص 78 و 81. الكامل في التاريخ، ج 4، ص 545.

⁴⁴ الواقدي، فتوح البلدان، ج1، ص156.

⁴⁵ الكامل في التاريخ، ذكر فتح عين التمر.

انهم طلبوا فقط الامان وبعدها يستسلموا ويقدموا بلادهم له. ولكن القائد المسلم ابي الا
القتل والسبي.. لو قيل لاسلامي ان هولاء فعل ذلك بالمسلمين لقال كافر ما طغاه. ولكن
حينما يكون قائدا اسلاميا، فيراه انتصارا للرسالة الاسلامية.

كيف يمكن الوثوق بالإنسانية هذه المنظومة الكهنوتية، وهي بمنطق كهذا و بقلب كهذا
تشرع للجريمة ولا تلومها. بل تعتبرها الهية ونبوية. علما ان عين الاسس الفقهية-
الموودة- للكهنوت نفسه في الجهاد تتضاد مع تلك الجرائم وحليتها ونقلها ومباركتها
كتاريخ رسالة دينية. فالقائد المسلم يسبي حتى اللائذين بالكنيسة، رغم انهم متدينون
لأنوا بالله من المسلمين، والكهنوت يقول ان الجيش يريد ان يجرهم الى الله. بينما هو قد
جرهم الى السبي.

هل اله عيسى غيره اله محمد. ام ان الله يدخل المسجد دون الكنيسة.. اقطع امام ربي
ان كل من في الكنيسة تلك كانوا اكثر ايمانا واكثر هداية وقيما من عسكر المسلمين
الغانمين. وان محمدا كان يصرخ من اجل المسيحين في سمائه، ضد المسلمين في
ارضه.. كان كنسيا في تلك اللحظة، لانه انساني وليس اسلامويا.

9

المعروف ان رواية التاريخ فخراً، والمحددة بمفهوم (الانتصار) حصراً، لا تكون الا مع
المفاخر (القومية) في بطولات الاجداد، رجولتها وفروسياتها. اما المفاخر (الايديولوجية)،
سيما الدينية فعادة تتباعد عن مفهوم الانتصار في المفاخر التاريخية، لتتحد مع
المفاخر الاخلاقية والانسانية. الا ان الكهنوت يروي هذه الانتصارات الاستعبادية كمفخرة

ايديولوجية، مفخرة رسالة اخلاقية، لا مفخرة جماعة قومية. وهنا كل فضيحة البنية لهذا
الاسلام التاريخي.

قد يمكن ان يسمى الانسان القتل امرا بطوليا، ولكن لا يمكن له اطلاقا ان يسميه امرا
انسانويا. والدين بلانسانوية لن يكون دينا اطلاقا، مهما كان بطلا..

شاكلة تلك المفخرة الايديولوجية، دائما تحمل نسق هذه القطعة: (... فلما رأى ذلك
البربر فرقوا وفروا كفرار القطا، وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم جمة
وأموالا كثيرة، وسبوا عظيما، وذلك ببلد يقال له سبيطة، وكان ذلك سنة 27هـ)⁴⁶. بينما
حتى في المفاخر الفروسية هنالك الكثير من الجيوش الوثنية، كانت عادة ماتترك المنهزم
يسلم بهزيمته، كقيمة حربية للرجولة.

المدون الكهنوتي فرح بهذا الانتصار في قتل الناس بسياق مفردات/ جمة وكثيرا
وعظيما، في كلمته؛ (غنائم جمة وأموالا كثيرة، وسبوا عظيما). ولا يهمه ان هذا الكثير
هو القتل، وان هذا السبي العظيم هو العظيم من الام وعذابات النساء وذلتهم وفراقهن
الاهل والاولاد والازواج والديار. وان الجم هو كد الناس في عرق سنواتها.

في جبهة افريقيا يروي الكهنوت؛ أرسل(عبد الله بن سعد بن أبي السرح أن يغزو بلاد
إفريقية، فسار إليها في عشرة آلاف فافتتح سهلها وجبلها، وقتل خلقا كثيرا من
أهلها)⁴⁷. الكهنوت هنا يرى افتتاح السهل والجبل والقتل انتصارا للدين، بينما لا يخسر في
ذلك الا الدين نفسه.

⁴⁶ ابن كثير: البداية والنهاية 166/7، 167.

⁴⁷ ابن الأثير: الكامل 46/3 - ابن كثير: البداية والنهاية 166/7 - النويري: نهاية الأرب 413/19.

في شبه القارة الهندية؛ (إن قتيبة بلغ في غزو الترك والتوغل في بلاد ما وراء النهر وافتتاح القلاع واستباحة البلاد وأخذ الأموال وقتل الفتاك ما لم يبلغه المهلب بن أبي صفرة)⁴⁸. يروي الكهنوت هذا التوحش عن مفخرة وخطوة في انتصار الاسلام ودينه ومبادئه وأهدافه. وهو منحى يتخذه معظم اهل التاريخ في سياقات رواية الظلم مع الفتوحات وغيرها، لذا في عين هذا السياق ونصه السالف يروون مدحا لقتيبة؛ (ولما بلغ الحجاج ما فعل قتيبة من الفتوحات والسبي قال: بعثت قتيبة فتى بحراً فما زدته باعاً إلا زادني ذراعاً)⁴⁹. الكهنوت هنا يتكلم عن اقطاعية وليس عن هداية ودين.. أليس تلك إسواً اقطاعية في التاريخ، لأنها كانت تستخدم الله معها وليس الملك. تقتل وتسبي وتسلب الارض وتيتم الاطفال ومن ثم تصلي. بل اقطاعية ترى ان الله يرهاها في عين قتلها وسبيها واستعبادها.. سرقوا الله، استعبدوه.

10

من بنية الكهنوت انه يروي ضمن طريقة الايماني باسم الجهاد مصالحة قائد اسلامي لأهل مدينة قنسرين، ويجعل من جملة الشروط أن يهدم المدينة من الأساس⁵⁰. ولا يحز ذلك شيئاً من الكهنوت في عرضه نصراً رسالياً. بل يصل الامر ايضاً أن بعض القادة يعطي أماناً لبلد - كما هو في فتوحات جرجان - على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً،

⁴⁸ الوافي في الوفيات/3226. والمهلب هذا هو الرمز الاكبر في استباحة البلدان مع الفتوحات. رغم ذلك ونجد اليوم شارعا باسمه في مدينة البصرة.. هذا مايفعله التاريخ.. لانه ان سالت كهنوتيا ومؤرخا لاجاب بانه من ابطال الاسلام ومن دعائه.. وسيردد ذلك اي بصري وقد يجعله الى جنب الفراهيدي والجاحض من مفاخر المدينة.

⁴⁹ المصدر السابق والصفحة.

⁵⁰ الكامل لابن الأثير: ج 2، ص 493. وتاريخ الطبري: ج 3، ص 98.

والفتوحات الإسلامية لتحلان ج 1 ص 53

ف(يقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً). وهذا هو النص؛ (غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان ومعه حذيفة بن اليمان (...)) ثم أتى طميسة، وهي كلها من طبرستان جرجان، وهي مدينة على ساحل البحر، وهي في تخوم جرجان، فقاتله أهلها - وليس جيشها - وحاصروهم، فسألوا الأمان فأعطاهم على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً، ففتحوا الحصن، فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً)⁵¹. يعتبر الكهنوت انه لم يخلف العهد لان الجملة اللغوية التي قالها تحمل ايضاً دلالة ان يُبقي رجلاً واحد فحسب سالماً. بل سياق الرواية مدحي في نباهة القائد وفصاحته. تلك التي تحرص كتب الكشكول على جمعها من غرائب العرب وطرائف نباهتهم⁵². بينما حتى البرابرة لكثراً كانوا يلتزمون في حروبهم بلياقيات حربية حتى وان لم ترتبط بوعيهم بالانسانويات، وانما كقيم رجولية لايقدرّون على عارها، وإنها انسانية وجمالية في حد ذاتها. وهي ميزة كثير من الحقب البرية الاولى، بل حينما سميت تلك الحقب بحقب الفروسية لم تكن تقصد بحقب الشجاعة ومفهومها، وانما حقب النبالة. لذا الفارس لم يكن شجاعاً وانما كان نبيلاً.

قيم الفروسية تلك كانت تلتزم بمواثيق شرف ذاتية، لم يوقع عليها احد، وانما الذات لاتقبل الدنيء حتى وان لم يطلع عليها الناس، ثم تأسست على انها التزامات ضمنية في الحروب. خلفها يكون العار. واهل الجاهلية العربية عينهم لظالما كانوا في تلك المثل يصلون مرحلة الاسطورة. اذن الجاهلية كانت خيراً من مسلمي الاسلام التوسعي الغنائي الامبراطوري.. اعتقد أننا اسلفنا الرؤية عن حديث؛ (خياركم في الجاهلية خيركم في الاسلام).

عقبة بن نافع، الذي ولّاه معاوية على افريقيا، حينما دخلها هذا الرجل، يقول التاريخ قد(وضع السيف في أهل البلاد..)⁵³. لم يقل انه جلب لاهل البلاد خيراً، او اراح منهم

⁵¹ (1) تاريخ الطبري ج 3 ص 324 والكامل لابن الأثير ج 3 ص 110 والبداية والنهاية ج 7 ص 154.

⁵² قريب هذا الامر من مدح النباهة الفقهية لفتيه في تأسيس حيلة شرعية يتصل بها عن حكم شرعي وعن روح الاسلام فيه ليتحايل بها على الله.

⁵³ الكامل لابن الأثير ج 3 ص 465.

طاغية، كان جاثما على قلوبهم. او اقلها دخل البلاد بهدوء، حتى وإن لم يقدم شيئا. او مثلا أدخل معه مجموعة نشروا مبادئ النبي ودعوا لها. كل ما هو موجود هو انه (.. وضع السيف في أهل البلاد) هذه هي الهداية. وهذه هي المفخرة.. مع الغرب الاندلسي؛ (.. وسار موسى إلى مدينة سرقسطة ومدانها فافتحتها. وأوغل في بلاد الفرنج...) وهو يقصد بلاد العدو في غير ناحية الصنم، يقتل ويسبي ويهدم الكنائس ويكسر النواقيس)⁵⁴. اكاد اسمي واو العطف هذه بين القتل والسبي والهدم بواو البشرى بلاغيا للكهنة، لأنها تزيد العطف في الجرائم كبشرى انتصار. ولكن الهم هو انها واو تدل على الحالة السادية في تلك الذات المؤرخة. لذا لايليق بهذا البعد النفسي تفسيراً وتسمية الا (سادية المؤرخ).

11

هذا الطابع النفسي هو طابع عام للنخبة الاسلامية كهنوتيا من مؤرخين ومفسرين وفقهاء، لكل زاويته في السادية؛ ان لم يكن في القتل فهو في احتقار الآخر، او سادية التكفير وغيرها من الزوايا، او حتى في الاحكام المتعلقة بالمسلم نفسه والتي لايعبأ الكهنوت بقسوتها وماتسببه من إيذاء سادر في افتائها.

يروون ذلك الفعل المنافي للاخلاقي والديني والانساني وينقلونه باسم الرسالة، وانه اخلاقي مادام هنالك فقه يستطيع ان يأول ويدس ويزور ويتعسف ليقول انه شرع الهي، دون اي نقدية ذاتيه لما يحصل من توحش يتضاد مع القيم الانسانية البديهية التي لاتحتاج الى برهان اخلاقي.. لديهم عين الخديعة الكنسية المبرره لمفهوم سلطة الكنيسة

شرعيا تحت عنوان مصطلح استحدثته الكنيسة في معارفها باسم(السيف الروحي)إبان منتصف القرون الوسطى.

بكل الاحوال الامر لايهمه البعد المعرفي وعقله بقدر ماتهمه فضيحة القلب الكهنوتي وذاته امام هكذا فجائع.

اسلاموية العوام المحاربين وغيرهم هي اسلاموية النخبة الكهنوتية انذاك التي روضت الاعراف الشعبية وجرتّها لذلك، حينما تعاملت مع ذلك الفعل التاريخي في القتل والسبي والنهب والاحتلال، كرسالة دينية وكشريعة اخلاقية وكواجب الهي. فاخذ الطابع النفسي مع العوام المحاربين تشوّه كاملا في القيم مفقدا للقيم الفروسية الاولى للجاهلية، بما يمكن وعيه مختصرا عما يقوله بصراحة احد افراد تلك الجيوش في رثاء المهلب بن ابي صفرة حين وفاته، رغم انه اكبر طاغية فتوحات على الاطلاق.

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب
أعم لأهل الترك قتلاً بسيفه وأكثر فيناً مقسماً بعد مقسم.

بينما الجاهلية المعابة، وفي عين منطق تفاخرها القبلي في الغزو، كان ملؤ تفاخرها قيميا بين الفعل النبيل والدنيء، وليس بين الفعل الحلال والحرام. حتى ان مفردة كرام لم تكن تشير فحسب الى كرم الضيف واخلاق الجيرة والرفقة والوفاء وانما بالدرجة الاكبر الى خصال النبالة في إبايعات الحرب والابتعاد عن اي فعل دنيء فيها. لذا لطالما كان المنطق الجاهلي في الغزو يحمل تأسيسا في نبالة الفروسية وقيمها.

انظر كيف كان العربي في هذا التوصيف للذات العربية الاولى، وكيف انتهى مع الفتوحات؛

ملكنا فلم نكشف قناعا لحره ولم نستلب الا الحديد المسمر
و(....)

ولكن احسابا نمتنا الى العلى وآباء صدق ان نروم المحقرا.

⁵⁴ فتوح البلدان ج2 ص23.

انه توصيف من الاخرى على الذات الكهنوتية ان تشعر بخطيئتها امامه. سيما انها تسميهم جاهلية واهل ظلال، خارجين على ملة القيم.

السلب لدى عرب الجاهلية امر محتقر قياسا على النبالة، وليس على الفقه. بينما الفقه يحلله ببساطة، كما ان اهل الجاهلية لايقبلون ان يرفعوا ثوبا لحره، بينما كان الجندي المسلم لاينتظر ليلة في مضاجعة الحره المسيية امام دمعة طفلها.

الا يمكن الاعتراف بهدوء مؤلم؛ ان الجاهلية كانت افضل من الاسلامية تلك. وان دين الكهنوت اضر الدين البريء التي تتميز به الذات، حينما تكون نظيفة كالبر من افكار المعبد.

هذا الامر عينه هو الذي يفسر لماذا نادى الحسين في كربلاء، حينما بدأت نذالة مسلمي يزيد في تجاوز قيم الحرب بتخويف الاطفال والنساء، فنادى؛ (ان لم يكن لكم دين فارجعوا الى احسابكم... ان كنتم عربا كما تحسبون.). لان العروبة الاولى لاتقبل ذلك في طباعها ومقاييس العيب لديها. ولهذا السبب عينه كان جعفر الصادق حينما يسأل ايها افضل في الجاهلية؛ العرب ام العجم، ويجيب ان العرب افضل لعشر خصال، تجد ان معظمها هي قيم برية انسانية اقرب الى الفروسية الاولى، اذكر منها؛ النخوة والمرؤة والغيرة وشعور العار، ناهيك عن الكرم وماشابه. لذا اعتقد ان العيارين والشطار لم يصلوا لتلك الخصال النبيلة التي اشتهروا بها تاريخيا واخذت مثار الاعجاب الى حد الاسطورة، الا لانهم لم يكونوا اسلاميين وانما بريين مع الوجود.. هذا الامر في تقدير القيم البرية واولويتها هو عين ما ادركه ستاندال غربا حين توصيفه لعوام بعد معركة؛(ان الرعاع كانوا بطوليين، وبعد المعركة اروع الكرام نبلا).

يدون احد الكهنة المؤرخين تاريخ الامة الرسالي هكذا؛(فأصبحتم بنعمة الله إخوانا، ويلم أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعوانا حتى تواترت لديكم الفتوحات وفتح الله

عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات..)⁵⁵.. استلاب اموال الناس وخيراتهم وثرواتهم وديارهم وارضيتهم وقتلهم وسبيهم يعتبر خيرا وبركة من الله.. هذا هو الدين في فهمهم، وذلك هو الله لديهم. ولكن كيف فهموا الخير كذلك لا افهم. قد يخطئ عقلك ولكن لايمكن للقلب الا ان يصرخ مع القتل بانه شر. هؤلاء يسيرون تماما عكس المبدأ الاول للدين؛ (ان يسلم الناس من لسانك ويدك). الم يُعرّف النبي اسلامه بذلك. لابس انهم بإسلام اخر..

لذا فالبوذيين حتى وان عبدوا الف إله وإله غير الله، هم افضل عند الله من اولئك المسلمين بكثير، لان دين كثير منهم لايقبل ان يؤذي نملة.

نص اخر يقول نفس الوجهة في وصف فتوحات احدهم وقتله وسبيته؛(وعاد على المسلمين من هذه الفتوحات غنائم وأسرى لا تعد ولا تحصى، وانتفع بها بيت المال وجميع أركان الدولة، وسائر الرعايا انتفاعاً ظاهراً غزير المحصول كثير المنافع، وأمن بذلك الصادرون والواردون بحراً وبراً).⁵⁶.. رغم ان مفهوم المنفعة والمصلحة تمثل مفردة معرفية لدى الكهنوت يتأسس عليها كل منطق الفقه لاجتهاد الحكم الشرعي. ولكن تظهر هنا انها قائمة على مكسب الجماعة الاسلامية، حتى وان كانت بنهب اموال وارضيتهم الناس ولو بقتلهم وتشريدتهم وتجويعهم. مايبهم لديهم هو ان اولئك ليسوا مسلمين. فهذا يبيح لهم ما لايباح انسانويا. يكفي في ترسيمهم انهم كفرة، فكل غير مسلم هو كافر.

او هكذا مع كهنوتي اخر وسلطان آخر (وجلس على تخت السلطنة في شهر رجب... وعمره الشريف إذ ذاك تسع سنين. له الفتوحات التي لا تحصى والمغازي التي لا تستقصى، أذل بغزواته أعداء الدين، واستباح قلاعهم، وجعلها داراً للمسلمين).⁵⁷.

⁵⁵ ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، المقرئ، ص 197.

⁵⁶ ص338، ج 2، سمط النجوم العوالي.

⁵⁷ ص338، نفسه.

يبشر بان اراضي الناس اصبحت للمسلمين. اي إله هذا الذي يصورونه لنا؛ يذل الناس من اجل اسمه ودينه. واي دين هذا لدى الكهنوت، واي مجال اخلاقي يمكن ان يدعيه..

او (ولما كان، خلد اله سلطانه، بهذه المثابة، وفتح الفتوحات التي أجزل الله بها أجره وثوابه)⁵⁸.. في القتل ثواب اذن!. وفي سلب الناس وهتكهم وتشريدهم وطردهم من ديارهم واستعبادهم!!! هذه اذن البنية الدينية للكهنت ومنطق رضا الله فيها. وهذا حلالها وحرامها.

او مثلاً طلب الخليفة من (عبد الله بن سعد بن أبي السرح أن يغزو بلاد إفريقية فإذا افتتحها الله عليه فله خمس الخمس من الغنيمة نفلًا...) ⁵⁹ انظر مقطع (فإذا افتتحها الله عليه). هكذا يؤسس المؤرخ الكهنوتي صورة الله في اذهان الناس. إله سفاح. ليس مؤكدا هنا ان الكتب اضرت البشرية في طباعها. اعتقد انه لو بقيت البشرية على قلوبها لما صارت الى ماهي عليه اليوم، سواء في اعرافها الخائفة او في ارهابها الديني.

عن معركة اخرى وكهنوتي اخر؛ (... بلغ من امرهم انهم حاصروا حصنا ... ففتحو ذلك الحصن وقتلوا من فيه من المجوس الى غير ذلك من الأمور العجيبة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) ⁶⁰. لاحظوا كيف يذيل المؤرخ الفعل الوحشي للمسلمين في قتل كل من في الحصن بانه كرامة للمسلمين. او مثلاً مع هذا النص؛ (إذ لولاهم ما كانت البلاد للمسلمين ولا انتشر علم هذا الدين، ولقد نفذت سراياهم في الأرض شرقاً وغرباً حتى ولت الأعداء منهم هرباً وسكبوا دماءهم في الأرض سكباً واستباحوا أموال الكفار نهباً وسلباً، والله قد جعل منهم في قلوب أعدائه خوفاً ورعباً، فهم نجوم الهداية

⁵⁸ المقرئزي السلوك لمعرفة الدول والملوك، ج1، 178.

⁵⁹ ابن الأثير: الكامل 46/3

⁶⁰ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، 78.

وأهل الولاية قد شرعوا الشرائع ورتلوا القرآن ترتيلاً. قال الله في حقهم تعظيماً وتبجيلاً: " فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً " ⁶¹.. انه امر يعييني في صفاقته مع المؤرخ الديني، بعد ان يذيل نفس فعلهم (سكبوا دماءهم في الأرض سكباً واستباحوا أموال الكفار نهباً وسلباً) بـ(فهم نجوم الهداية)، وان (الله قال في حقهم تعظيماً وتبجيلاً) آية تمدحهم.. يروون هذي الوحشية كتأريخ ديني وطريق ايماني لله في سياق مفهوم الهداية دون اي مراعاة لوعي القارئ بهذه السخرية. بينما تجد تاريخاً لحروب لادينية تنهد المنتصر فيها بعد أن رأى نساء العدو يبكين على اجساد قتلاهم، ليرى؛ (ان الانسان دائماً يخسر في الحرب سواء كان منتصراً ام مهزوماً). لانه منطق موت ولواحقه من الدموع. بينما هنا تجد المدون التاريخي فرحاً في سياق نقله لما حصل، طالما انه نصر للقومية الاسلامية التي ينتمي اليها.

كل هذا مثال قاصر لزاوية مما يتعامل به الكهنوت فقهياً وتشريعياً مع تلك التراجيديات، وهي ايضاً شيء يسير مما حدث وتحترق به بطون الكتب، والا فهناك ما لا يمكن جرده من التراجيديات الام التي يصرخ بها الوجود والتاريخ، وما زال التراب غضباً بها تحت اقدامنا من عذابات قبورهم. بينما كان الجندي في الجيش الاسلامي يؤديها ويصلي بعدها. بل يؤديها وهو يصيح الله اكبر. انها الصفاقة التي لم تلحها للان مدارات علم النفس.

مع ذلك اعتقد ان معظم القصة في المسير بهذا المنطق التدويني للكهنت في تدين القتل والسبي هو عين ما اشار اليه النبي في وصفه للكهنه الغابرين، وكيف جرهم فساد

⁶¹ فتوح الشام الواقدي. ج1. ص422.

حياتهم الى افساد كتبهم، كي تبررها؛ (التمسوا ان يخدعوا قومهم عما صنعوا مخافة ان تفسد منازلهم وان يتبين للناس فسادهم)⁶²..

لذا، لراحة لذلك الا ان ننزع من الكهنة انفسهم صفة المسلمين، فهو اولى من ان ننزع من صفة الفاتحين الاسلام.

حافظ الشيرازي

(من لم يقدم مأوى لآخواني، يريد اليوم ان يبني معبدي.)

طاغور

1

عجوز في سمرقند تسأل فقيهة جيش فتح بلادها، بعد سلب ونهب؛ مالذي جاء بكم الينا؟..

الفقيه؛ الله ارسلنا اليكم..

العجوز؛ لم اكن اعلم من قبل ان الله لصوصا..

2

ويلومونني، حينما اقول؛ لكثير ما تكون الغانية افضل من الكاهن، و لكثير ما تكون اقرب الى الحقيقة منه. وهل يلام مثلي بعد كل ما رأينا منه، وما رأيناه يهون امامه الميرر القديم بشرف الغانية عليه، حينما كنا نقول انه من ظواهر الوجود ان العاهرة ترى عهرها جيدا فتسمى نفسها باسمه. تمشي عاهرة وتنام عاهرة، لانها تعمل به رسميا. مع ان العهر ليس ان يكون جسدك قذرا، يقبل كل لامس. وانما ان تكون ذاتك قذرة. تقبل كل خداع وخبث وشر..

سرقة الوجه

إمراة ليل لرجل دين؛(هذه حقيقتي، فهل هذه حقيقتك).

⁶² سنن الدارمي ، المقدمة، باب 57.

وفي ذلك كنا نقول ان المبغى هو وحده المبني الحقيقي في التاريخ، لانه وحده المبني الصريح فيه، يسمى نفسه باسم حقيقته، على عكس المعبد لانه طالما يكون خلاف اسمه. لذا فالمعبد هو المبني الاكثر زيفا في التاريخ. لان محرابه للسرقة وليس للصلاة. الا اذا قبل الله صلاة اللصوص. حينها يكون هو متهما..

لهذه الاشكالية قال حافظ الشيرازي كلمته الكبرى تلك وهو يصور الساقية في الحانة، تقدم لرجل دين كأساً؛ (هذه حقيقتي، فهل هذه حقيقتك).

اقلها ان الفقيه يقبل سرقة اموال الناس واغتصابها غنيمة، ويجعلها بديهية شرعية من الدين الاخلاقي. بينما الغانية الساقطة اخلاقيا في وعيه تأخذ مالا بحق جسدها، ويرضا الآخر، بل ويسعده. كما ان الغانية لاتحل قتل الآخر ان لم يكن من دينها، او ان لم يكن من عهرها. هي لاتعب بالدين ولا بالعهر.

بكل الاحوال، في عقيدتي؛ نوع قلبك من يجعلك شريفا او دنيئا وليس نوع جسدك. كما انه نوع (فعلك) من يجعلك مؤمنا او كافرا وليس نوع (معبدك).

3

(لا كإسلام كثير من العرب، فبعضهم تقليداً وبعضهم للطمع والكسب، وبعضهم خوفاً من السيف، وبعضهم على طريق الحمية والانتصار، أو لعدواة قوم آخرين من أصدقاء الإسلام وأعدائه)⁶³.

هذا النص لابن ابي الحديد المعتزلي، لم يجرأ على قوله اي معاصر اليوم في نقد الانتماء الاسلامي وحقيقة الجماعة الاولى وتشكلها باسم الهوية الاسلامية.. وهو من مفارقات الثقافة بين القديم والجديد.. ونقطة عار ايضا للمعاصرين.

والى هذا الامر ظهرت جملة(أسلم فحسن اسلامه) في التراث الاسلامي، لان الامر شكل ظاهرة في كذبة المنتمين. كما انه عين الامر الذي جعل اوراق النبي تقول(المنافقون هم العدو فاحذرهم..)

ورغم ان الزبير كان صريحا حينما قال: (حدثنا أن هاهنا بيضاء وصفراء . دراهم ودنانير - فجئنا لناخذ منها)⁶⁴، موضعا كل قصة الدعوى، وكذبة فقه الجهاد، ورغم كثرة صراحات التراث في فضيحة الدنانير تلك وشرعها الواضح. ولكن الفقهاء والاسلاميون اليوم يقفرون على تلك الكذبة ليأخذوا الجهاد على انه بديهية اولى لفروع الفقه. رغم ان فتوحات لاتحتاج الى اعترافات في تخطئتها، كونها ذاتا عيب اخلاقي ايدولوجيا للداعية التبشيري، طالما ان هدفه هو انتصار قيمه ووصولها لقلب آخر، وليس انتصار قدمه لارض اخرى وغنيمة اخرى. لانه انسان اخلاقي وليس محارب امبراطوري..

لايوجد فقيه واحد في الكهنوت أشكل على كذبة الجهاد وفتاويه. والاسوأ هو انه لا يوجد فقيه أشكل على حكم الغنيمة، لانها اوضح سوءا، لوضوح خطيئتها في سلب اموال الناس وسبيهم واخذ ارضهم واستعباد اطفالهم. فذلك كله من الغنيمة. قد تجد صدفة في زوايا التراث، ثائرا او صوفيا يرفض ذلك، ولكنك لن تجد فقيها واحدا من ملاينهم على طول التاريخ.. رفض مثلا المتصوف ابراهيم ابن الادهم سهم الغنيمة، موجهها ذلك بانه سيكون في سبيل المال وليس في سبيل الله. ولكنه رفض سطحي جدا. لان الامر

⁶⁴ أنساب الأشراف ج 2 ص 271..

⁶³ شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 300

لايحتاج الى سبيل الله والصفاء لاجله كي يحرم هذا الفعل، وانما لان الغنيمة هي سلب لاموال الناس وكفى، وبكل هذه البساطة. لماذا إذن نُدخل الله في هذا..

قد يكون موقف الثائر الشهير الحارث بن سريج بنهي اصحابه عن السلب والنهب فيما عدا السلاح والكراع، أفضل من سابقه، لانه عرف خطاه من جهة النبالة والقيم ذاتية، بعيدا عن الفقه. وهو موقف وجودي تجاوز به الفقه وجدل الدليل ولغظه معهم.

علما ان الحديث الذي يدسه الكهنوت على النبي(....) وأحلّت لي الغنائم ، ولم تُحل لأحدٍ قبلي..⁶⁵.. هو عينه ضمنا يبين ان الكهنوت يعرف ان الغنائم امر مرفوض اخلاقيا من الناس ولم يكن مع اي نبي قبله. لذا جعلوا الدس بصيغة استثناء ومميزات للنبي لم تُعطَ لغيره من الانبياء.

4

هذا الانبطاح لخطيئة الحكم فقهيها مازال الى يومنا هذا، رغم ان التاريخ يفضح واقعا لايحتاج الى صراحة الزبير، ويظهر لهم بصراحة اصول كل اللعبة او الكذبة الجهادية. والتي لا يختصر ألمها الا كلمة مشهورة لمحارب صليبي؛(كنت اظن اننا نحارب من أجل الله، فادركت اننا نحارب من اجل الثروة والارض..). والفقهاء يعرفون بذلك الاصل الفاضح جيدا، لكنهم لايسمحون له ان يكون دليلا خلاف هارون الرشيد او اي سلطان اخر. لذا كلها حقائق عُبر فوقها وكأنها غير موجودة. احيانا يتداولونها دون إشارة لفضيحتها استخفافا بالعقل العرفي دينيا، والمقيد وعيه بعبودية الفقه. احيانا لايعون انه يمكن ان يضاد كل مايتكلمون ويشرعون له.

⁶⁵ النهاية في الفتن والملاحم. ابن كثير.ص210.

.. يروي عين تراثهم الكهنوتي عن اول خطى الفتوحات كوجه الهي لديهم، وفقهي شرعي واجب، بان الخليفة(ندب الناس إلى العراق فجعلوا يتحاملون ويتشاقلون عنه، حتى هم أن يغزو بنفسه.)، وفيما بعد(قدم عليه خلق من الازد يريدون غزو الشام فدعاهم إلى العراق ورغبهم في غناء آل كسرى)⁶⁶. اعتقد ان النص يُصرّح بانه لم يذهب الازد لاجل نشر المبادئ الاخلاقية الدينية وقيمها، وانما من اجل لم الثروة فحسب. ليس تخليص الناس من كسرى وانما تخليص الثروة منه.. و(قدم جرير بن عبد الله من السراة في بجيلة، فسأل أن يأتي العراق على أن يعطى وقومه ربع ما غلبوا عليه. فأجابه عمر إلى ذلك، فسار نحو العراق)⁶⁷. وهو مايروى في مكان اخر: (كانت بجيلة ربع الناس يوم القادسية.وكان عمر جعل لهم ربع السواد). اي ان الناس والقبائل التي حاربت في القادسية لم تكن جيشا اسلاميا جاء مسبقا كجهاد من اجل الله وتحرير الشعوب. بل كانت الصراحة لاجل الغنيمة امرا غير معيب، لذا فهي معلنة من قبل الجميع بحيث يسبقها تفاوض في قدر الغنيمة التي سيحارب من اجلها. اتفاقات مالية وليس ايدولوجية⁶⁸.

بعد ذلك حينما سمع المسلمون بان هناك غنائم سهلة تقاطروا على العراق. وبالتاكيد افواهمم ستكون لصياح الله اكبر وعيونهم ستكون للغنائم. وسيسميهم التاريخ مجاهدين،

⁶⁶ فتوح البلدان، ج2، ص216.

⁶⁷ الكامل في التاريخ. ج 2. ص441.

⁶⁸ وهو مايمكن ملاحظة رسوخه لاحقا، كما هو مثلا مع اتفاق بن ابي سرح مع الخليفة في غزو شمال افريقيا، إذ كان الاتفاق بينهما(ان هو ظفر فله خمس الخمس نفلا!) ابن الأثير: الكامل 46/3. او في زاوية اخرى لاحظ غاية الفتوحات من نصيحة احدهم للخليفة؛(رأيي لك أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تجمرهم في المغازي، حتى يذلو لك، فلا يكون همة أحدهم إلا نفسه...) اي نية لله هنا. انها مغازي ليس الا.

وسيسمي قتلهم الناس واحتلالهم الاراضي جهاد.. يقول الطبري «بعث عتبة بن أنس بن حبة إلى عمر بمنطقة مرزبان دست ميسان، فقال له عمر: كيف المسلمون؟! قال: انتالت عليهم الدنيا، فهم يهيلون الذهب والفضة. فرغب الناس في البصرة، فأثوها!!⁶⁹. او برواية أخرى، انه جاء مبعوث المسلمين الى المدينة مبشرا (بالفتح، فتباشر الناس بذلك، وأكبوا على الرسول، يسألونه عن أمر البصرة، فقال إن المسلمين يهيلون بها الذهب والفضة هيلا، فرغب الناس في الخروج، حتى كثروا بها)⁷⁰. بينما قبل ذلك كانوا يرفضون الغزو اصلا رغم الغنيمة، لانها مغامرة موت. علما ان تلك الفتوحات كانت تسمى غزوا من عين الذين عاشوها كما هو في النصوص السالفة؛ (حتى هم أن يغزو بنفسه.)، (قدم عليه خلق من الازد يريدون غزو الشام). فكانو صريحين في الاسماء، بان مفردة الجهاد ضد المعتدي فحسب، وليس مع افتتاح اراض واغنامها واخذ مافيها، فهذه تملكها مفردة غزو.

الحديث بين رسول الحرب ومسلمي المدينة لم يكن عن نصر قيمي وهداية لاهل العراق او تخليصهم من طغاة. وانما الحديث كان عن توفر الغنائم هناك. لذا لم يلتحق اهل المدينة بجيش البصرة الا بعد ان عرفوا بخبر الغنائم هناك. نهب وسلب، ذهب وفضة ونساء. وسهولة ذلك.. هذا ماجرهم ليس الا.

ولهذه الحقيقة كانت الشعوب المغزوة حينها تسمى المسلمين بـ(الصوص الصحراء). لان طبيعتهم السلب والنهب، وهي تسميه من جماهير تلك الشعوب وليس من الاعلام السلطوي، لذا هي تسمية حال وواقع. ولم يتداول اي بعد ديني في تسميتهم، ولو مثلاً؛ اهل الكعبة او عين تسمية المسلمين. بينما لم تطلق تسمية من هذا القبيل حتى على عين المسيحيين الذين غزوا بيت المقدس والشام وفلسطين، رغم انها حملات من اجل

الثروة وليس من أجل الدين والمسيح باعتراف توراخي الغرب. بل سموا بالصليبيين اشارة للاتجاه الديني، وسميت غزواتهم بالحملة الصليبية.

في احد المعارك وغنائمها يتخاصم المسلمون من اجل غنيمة معينة خُصَّ بها الخليفة، فيخشى ان يدب الشقاق بين المسلمين المقاتلين. يقول النص ان الخليفة قال لرسول جيشه كي يدرأ الفتنة (أسرع قبل أن تفترق الناس ليقسمه سلمة فيه فباعه سلمة و قسمه في الناس و كان الفص يباع بخمسة دراهم و قيمته عشرون ألفا)⁷¹. إذن كان صريحا بينهم دون اي مواراة في انهم غزاة. وكل القصة هي المال لاغير، لا اسلام ولا هداية ولا نبوة.. لذا قد يتقاتلون بينهم لاجله، وهو ما حصل كثيرا لاحقا.. بل ان المسلمين حاربوا بعضهم، اكثر مما حاربوا غيرهم.

في فترة ما اراد الخليفة سحب ربع السواد عن قبيلة بجيلة كحصنة متفق عليها حين الغزو فكان ان اعترضت ابنة كبير قبيلة ويقال لها ام كرز، ليكون هذا الحديث بينها والخليفة.

(أم كرز لعمر: إن أبي هلك وسهمه ثابت في السواد. وإنى لن أسلم. فقال لها: يا أم كرز ! إن قومك قد أجابوا.. فقالت ام كرز: ما أنا بمسلمة أو تحملني على ناقة ذلول عليها قطيفة حمراء وتملا يدي ذهباً. ففعل عمر ذلك.)⁷²..

اليس الحديث صريح جدا، بانها لن تكون مسلمة الا ان تُعطى مالا، وغدت مسلمة رسميا بذلك المال. وهنا قضية تؤسس حقيقة جد مهمة. ولابد ان تقع مهمة في كل منهجية التاريخ الاول. وهو انه لم يكن الاسلام انذاك عقيدة وانما جماعة فحسب. إذ لا يمكن للعقيدة ان تشتري بالمال، ولكن الموالاة يمكن لها ان تشتري. ومفهوم الجماعة يتأسس عقلانيا على مفهوم الموالاة وليس العقيدة، حيث المصلحة عنصرا الاول. إذن لماذا تدعي الجماعة الاسلامية انها ايمانية في تأسيسها التاريخي.

⁷¹ العبر ج2..566.

⁷² الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص83.

⁶⁹ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص302.

⁷⁰ ج1..113 العبر .. الاخبار الطوال.

مما لا يجب اغفاله هو ان هذا المنحى وفضيحته رافق عين الجماعة الاسلامية الاولى الذين عاش وسطهم النبي، كما يبين مثلاً طلب (خولة زوجة عثمان من النبي ان يكون لها حلي ابنة غيلان او الفارعة بنت عقيل، ان فتح عليه الطائف وهي ثقيف)⁷³..

ولكن ما يهم هنا هو التلقيق التدويني على النبي بشكل لا يقبله ثائر بسيط في مبداه، فكيف وهو وسط النبوة وتحت رقابة الله. غاية الدس الكهنوتي من ذلك هو جعل النبي منتمياً لمنطقهم الغنائمي، بحيث وكأنه تتدخل عليه زوجة عثمان لتريد منه الغنيمة الاجمل. وكأنه غاز مشهور يعد جماعته بغنائم القبائل الأخرى. وينتهي هذا الدس بجواب من النبي لزوجة عثمان (انه لم يؤذن لي في ثقيف ياخولة).. وكأنه في سلب اموال الناس إستئذان من ملك هو الله، احياناً يقبل واحياناً لا، وليس مبدأ يحكم حتى الله نفسه، وليس ان الغنيمة وسلب الناس هي خطئية في ذاتها. بل الخبر يتضمن جعل النبي اصالة يقبل بهذا المنطق الغنائمي، وجبريل لم يأذن له في ثقيف فقط.. وكان الله ايضا لديه طبقة بين البشر..

بكل الاحوال فالنبي ليس دمية بيد الوحي.

كل هذا متوفر في التراث، ويصر الكهنوت انهم دعاة للاسلام.. وكل هذا الخراب وفجيئته، والكهنوت يجد له مبرراً ومبرراً.

5

لم يكن هم عمر بن عبد العزيز - اهم جدير بصفة الصريح - في كلمته؛ (ان الله ارسل محمداً هادياً ولم يرسله جابياً). الا تلك الحقائق، ومافعله دعاة الاسلام بالاسلام. علماً ان هذه الكلمة قالها ابن عبد العزيز لو قد شكا اليه ان الولاة منعوه من الدخول في

⁷³ الاستيعاب، المجلد 4، ص 1832.

الاسلام كي لاتسقط الجزية.. إذن الفتوحات ليس سلوكياً بقتلها ونهبها كانت سدا امام انتشار الاسلام. بل رسمياً وبكل علانية مُنع الناس من دخول الاسلام. اليس مضحكا نسبة الى سلفيتهم ان لا يحاسب اليهودي على يهوديته وانما على دخوله الاسلام من عين المسلمين انفسهم. فقط من اجل الثروة والارض والنساء.. ومن بنية الكهنوت والجبابة؛

(مضى خالد الى قرية اسفل الفرات يقال لها بانقيا وفيها مسلحة لكسرى في حصن فحاصروهم وافتتح الحصن وقتل من فيه من الرجال وسبى نساءهم وذريتهم واخذ ماكان فيه من المتاع والسلاح واحرق الحصن وهدمه)⁷⁴... فرعون كان يفعل كذلك ايضا؛ يقتل الرجال ويبقي النساء، بل هنا استعبد الذراري وزاد على فرعون انه احرق الحصن وهدمه. رغم ان فرعون هو رمز الطاغية في القرآن الذي يقولون به كذباً.. لم يكتف ابن الوليد بذلك بل فرض عليهم اتاوة سنوية؛ (صالح اهل القرية خالداً عن ثمانين الف درهم)⁷⁵. المؤرخ يسمي ذلك مصالحة. وكأن الامر قد تم بحوار ودي، وبارادتهم وليس بسيف القائد المسلم.. (ثم رجع خالد الى النجف حتى انتهى منها الى عين التمر وبها مرابطة لكسرى فحاصروهم وقتلهم وسبى نساءهم وذريتهم واخذ ما في الحصن من المتاع والسلاح والدواب واحرق الحصن وخربه وقتل دهقان عين التمر وسبى نساءه واهل بيته.. واعطاه اهل عين التمر الجزية واهل الحيرة وغيرهم.)⁷⁶.. ثم وجه خالد بن الوليد وهو بعين التمر النسر بن ديسم بن ثور الى ماء لبنى تغلب فطرقهم ليلاً، فقتل وأسر، فسأله رجل

⁷⁴ الخراج ابي يوسف القاضي، ص 157

⁷⁵ نفس المصدر والصفحة.

⁷⁶ الخراج ابي يوسف القاضي، ص 157

من الاسرى أن يطلقه على أن يدلّه على حى من ربيعة.ففعّل فأتى النسير ذلك الحى. فبيتهم، [فغنم وسبى]⁷⁷.انها رحلات غزو وعصابات لصوصية وقرصنة.

في فتح شاهرنا، حيث يعطي بعض عبيد المسلمين المحاربين أماناً لأهل المدينة، فلا يرضى المسلمون حتى لا يمنع عنهم السلب والنهب، وحجتهم انه عبد. فيقتلون ويسبون ويرملون ويتيمون⁷⁸. بل يصل الامر في همجيته هو انه احيانا يعلن الشعب المغزو إسلامه، فلا يلتفت إليه الجيش الفاتح، بدعوى انهم كاذبون، طمعاً في أموالهم ونسائهم. رغم انه لاوجود لهذا مبرر عقلانيا، والا لعم الجميع ممن اسلموا وتركوا..

في غزوة إفريقية أمر؛ (عبد الله بن سعد بن أبي السرح أن يغزو بلاد إفريقية فإذا افتتحها الله عليه فله خمس الخمس من الغنيمة نفلا، فسار إليها في عشرة آلاف فافتتح سهلها وجبلها، وقتل خلقاً كثيراً من أهلها... وأخذ عبد الله بن سعد خمس الخمس من الغنيمة؛ وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان، وقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الجيش، فأصاب الفارس ثلاثة آلاف دينار، والراجل ألف دينار)⁷⁹. لاأرى كلام عن الهداية او اي فعل يتصل به. فقط اتفاق خمس الغنيمة وماذا اخذ الجيش وحصتهم فحسب.

في جهة غزوات الاندلس؛ (وسار إلى مدينة ماردة فحاصرها، وقد كان أهلها خرجوا إليه... وحالوا بينهم وبين البلد، وقتلوه قتلًا ذريعاً. ونجا من سلم منهم فدخل المدينة، وكانت حصينة. فحاصروهم بها أشهراً.. ثم افتتحها صلحاً، على أن جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جليقية وأموال الكنائس وحليها للمسلمين.)⁸⁰. مايعم

⁷⁷ فتوح البلدان ج2 ص27.

⁷⁸ المصنف ج 5 ص222 و 223. وسنن البيهقي ج 9 ص 94.

⁷⁹ ابن الأثير: الكامل 46/3 - ابن كثير: البداية والنهاية 166/7 - النويري: نهاية الأرب 413/19.

⁸⁰ فتوح البلدان ج2 ص23.

في الصلح هنا ليس سلامة الناس وانما المال فحسب. اي الاستسلام وليس الاخوة او السلام..

اي فقه وكهنوت هذا، واي معبد هذا؛ يريد صلاة الله، ويريد قتلا للناس..

بعد كل هذا القتل ويسمي الفقهاء ماحصل لاحقا صلحا، وكأنه عن طيب خاطر، بينما الخطاب الضمني للصلح هنا، هو؛ اما ان تموت المدينة باهلها، او يعطوهم كل اموالهم، بل يشترطون عليهم حتى اموال القتلى. اي سادية تلك؟!.

لااعرف كيف لهذا الكهنوت ان يقبله الاخلاقيون. كيف سكتت عليه كل تلك الكثرة من العلماء. ولكنها تسمية مشكوك فيها. تكذيبها أولى. بل هو الشرط الاول الوعي.

في مدينة(تفليس) من اسيا، ومع اناس يعيشون بسلام في ديارهم، ينقل التاريخ، بعد بداية مسهبة في تفاصيل الحدث، نهاية الامر؛ (... و ملك المسلمون البلد وقتلوا كل من فيها الا من اعتصم بالإسلام. واستباحوا البلد وامتألت أيديهم بالغنائم و الاسرى والسبايا. وكان ذلك من أعظم الفتوحات)⁸¹. اعتقد ان النص يقول عن المسلمين انهم(استباحوا البلد و امتألت أيديهم بالغنائم و الاسرى والسبايا) ولم تخطئ عيني. وانه(قتل الجميع الا من اسلم). اي فرد يسلم ويؤمن وهو يرى منهم قتلا وسبيا واستباحة لارضه واهله. بل المشكلة هو ان تلك الشعوب ستقول ان نبي هولاء الغزاة هو محمد. بينما هم خونته فحسب.

⁸¹ ابن الاثير، فتح تفليس.

المؤرخون يسوقون الكلام بقلب بارد وبكل اعتزاز وفرح وفخر تاريخي دون اي شعور سلبي اتجاه القتل والالام. بل وسياقته على انه امر ديني ومنطق نبوي يمتد اليه. ولكن لاغربة فالمؤرخون هم دائرة كهنوتية في التاريخ الاسلامي..

مثلا؛ (ان السلطان جلال الدين سار نحو الكرج فلما وصل نهر ارس مرض و اشتد الثلج وممر بتقليس فبرز أهلها للقتال فهزمهم العساكر و أعجلوهم عن دخولها فملكوها واستباحوها و قتلوا من كان فيها من الكرج و الارمن واعتصم أهلها بالقلعة حتى صالحوا على أموال عظيمة فحملوها و تركوهم)⁸².. إذن هنا (استباحوها و قتلوا من كان فيها). والاهم هو قوله(فحملوها - الاموال - و تركوهم).. و تركوهم. مايعم هو المال. كل ماحدث هنا هو انهم قتلوا الناس واخذوا اموالهم ورحلوا. انه فعل العصابات ليس الا..اي هداية هذه.. محال ان تكون ديناً.

لماذا نلوم هولاء إذن، انه فعل بنا ما فعلناه بشعبه، ونحن البادئون.

هذا المنطق الاغتصابي مورس حتى قبل ان تفتح الجيوش الاسلامية على العالم الخارجي، اي مع عين عرب الجزيرة؛ (ابن الوليد في غزوه لديار بني حنيفة قبل الصلح أوقع عدداً كبيراً من السبي، حيث أرسل خمسمائة منهم إلى المدينة. وصالح العلاء بن الحضرمي أهل البحرين على ثلث أموالهم داخل مدينتهم أما ماكان خارجها فقد أخذه جميعاً، وأرسل بأموال كثيرة إلى المدينة). و في غنائم اهل اليمامة مع خالد ابن الوليد. يقول المؤرخ شاكياء عدم معرفة قدر الغنيمة؛(لم تحدد كميات الذهب والفضة والسبي والسلاح والخيل ومساحة البستان من كل قرية مما أخذه المسلمون)⁸³. لا يناقش النص

⁸² ج 148..5 العبر

⁸³ الطبري. ج 3. ص 98. و البلاذري، فتوح البلدان، ج 2، ص 32.

شرعية ذلك او الم الناس الذين سلبت هذه الاموال منهم وتجويعهم ويؤسهم. وانما هم المؤرخ هنا هو عدم تحديد قدر الغنائم.

يقول مؤرخ؛(وحدثني مشايخ من أهل الانبار أنهم صولحوا في خلافة عمر رحمه الله عن طسوجهم على أربع مئة ألف درهم وألف عباة قطوانية في كل سنة، وتولى الصلح جرير بن عبد الله البجلي.. ويقال صالحهم على ثمانين ألفاً والله أعلم.)⁸⁴. بالتأكيد لم يرو هولاة المشايخ الامر بهذا اللسان البارد كمصالحة ومئة بعد ما حصل من ظلم مهول على اهلاليهم، أخذ به كد يدهم وعرق جبينهم بمنطق الضعيف والقوي. إذ حتى العميل المعاصر لا يروي رواية المستعمر هكذا. انها بنية الكذب في التدوين الكهنوتي. هذه هي الصراحة التاريخية، لا جدل معرفي هنا، ولا رأي، وانما صراحة توصيفية وجودية فحسب.

هذا المنحى الغنائمي هو عينه من جعل الكهنوت يشرع لاحقا الثنائية المخزية في الدعوة؛ (الاسلام او الجزية). علما انه دائما هنالك جزية حتى مع من اسلموا، بفتح لعبة الخراج واللعب بمقياسها.. دائما هنالك اما غنيمة او فيء في الفتوحات. الاول في الفتح عنوة والثاني دون قتال..

وعلى هذا الدرب من فقه الغنيمة كانت الاحاديث المدسوسة المنشطة لذلك الفعل تاريخيا. مثلا يلصق بالنبي حديث يمثل منطقا بريريا بجدارة ؛ (من قتل قتيلاً فله سلبه)⁸⁵. لانه لا يلبق بفارس يخجل من فروسيته، وليس بنبي يخجل من نبوته كرسالته اخلاقية. والغريب ان هذا الفقيه بعد فكر وجهد يجعله من الصالح. رغم توحشه وعدم انسجامه مع الدعوة الاخلاقية للنبي. اي يقاس على سنده وليس على انسانيته كما هو

⁸⁴ فتوح البلدان، ج 2، ص 23.

⁸⁵ صحيح سنن أبي داود للألباني. ج 2. ص 522.

الفقه الوجودي معنا؟.. ناهيك عن الدس الاكبر في ماسلف؛(وأُحلت لي الغنائم. ولم تحل لاحد من قبلي)

شيوع هذ الطابع الغنائي هو الذي جعل الحسين يقول لعياله حين كربلاء؛ (اعطوني ثوبا لايطمع به احد). لانه يعرف عادة الجيوش التي يسمونها اسلامية انها اعتادت على ذلك النهب. بحيث ينزعوا من الميت رداءه.
.. لابس، اخذوا رداء الميت، ولكنهم لم يبقوا رداءا للاسلام.

سرقة الاسلام

(مر بمقبرة اليهود فقال لمعذورون. ومر بمقبرة المسلمين فقال مغرورون..)

ابي يزيد البسطامي

(اطمئن ياقلبي، لن ينفع ابليس تظاهرة بالاسلام.)

حافظ الشيرازي

1

ليس كل من هو ابن آدم انسانا، وليس كل من صلى الخمس مسلما. بينما لدى المسلمين؛ كل من يلد فرج مسلم فهو مسلم، حتى وإن كان فرجا زانيا لامصليا.

هذا اهم مايعركني ويسخطني، بأن المسلمين يظنون انفسهم مسلمين حقا. بينما هذا الاسم ليس له الا من كان انسانيا حتى وان كان وثنيا. لذا السخرية التاريخية هي ان الكهنوت يقول عن الفاتحين انهم يحاولون نشر الاسلام، بينما عليهم ان يثبتوا اولا انهم مسلمون. ومهمتي لكثرا كانت هي ان انزع عن المسلمين صفة الاسلام، تماما كما كان هم كيركجارد نزع صفة المسيحية عن المسيحيين.

صحيح ان ابا سفيان واولاد امية سرقوا دولة الاسلام من النبي، ولكن الفقهاء سرقوا الاسلام عينه من النبي. سطوا على كل ماأعطاه من مبادئ وضيعوها في حانة معبدهم، ولم يبقوا شيئا. إذن لم يكن عبثا ان سماهم حفيد للنبي بـ(سُرّاق الكعبة)... إننا بلا إسلام. هذه هي البديهية الاولى، لامسجد بيننا ولاصلاة.. إننا نكذب على الله وليس على الناس.. ناهيك ان نكذب على الاسماء.

2

في عقيدتي؛ إن الذين يعبدون بقرة بانسانية، اقرب الى الله ممن يعبدونه هو بتوحش.. هذه الحقيقة لايقبلها الجمهور والفقه. ولكن الوجودية تصل اليها، او ان تكون بديها في حياتك. فالوجودية لدي هي البديهية الحياتية مع الشعور.

هذا ماهو مطمئن له في كل اديان الله. الاسلام وغيرها، او كل ما أنتجه القلب السليم، سواء كان بوذا، او صاحب الزنج.

لذا، في عقيدتي باطمئنان؛ ان الاديان الاكثر الهيبة، ليست هي الاكثر توحيدية، وانما هي الاكثر انسانية⁸⁶.

هذا هو مقياس الله عينه في الهية الاديان، انسانيته فحسب. كما ان هذا المنحى من اعتماد الانساني في صحة دين الفرد لدى الله، هو عينه يجريه الفرد الواعي على الله نفسه في صحة اي دين ينسب له. إن وجدوه انسانيا فهو منه، والا فهو من الكاهن.

لذا النبي لم يتبعه الناس لاجل إلهه العظيم، وانما لاجل انسانيته العظيمة فحسب.

إذن القاعدة في الوجودية الاسلامية هي؛ انه غير انساني إذن هو غير ديني.

المؤلم هو ان المسلمين في قصة الفتوحات وعموم حياتهم، يدعون انهم يريدون ان يصلوا الى الالهية، وهم اصلا ليس لديهم إنسانية. وهذا ماتخطى به حتى مدارس الوصول مع المتصوفة. اي ان الوصول الى الالهية لا يتم الا بالوصول الى الانسانية، وليس بالصلاة والصوم وماشابه. فكيف إذا قلنا انهم يريدوا الالهية للناس في الفتوحات بالقتل وليس بالصلاة.

كما انه مع هذا الاس تتأكد كلمة؛(لايجتمع حب الله مع كره الناس). كإس لماهية الدين، رغم انها حكمة اخلاقية صوفية.

3

لناقش لدي؛ في ان هرقل كان افضل عند الله في الشام من مروان بن الحكم. لا بل هو المسلم لدى الله ومروان هو الكافر. ليس لان مروان واباه كانا طريدي النبي، ولم يقبل اسلامهما، وان هرقل كان مؤمنا بالنبي بدون قرآنه، بما يروى عن حنينه للنبي⁸⁷. فهذا امر لاهوتي. وانما لامر وجودي محض، يكون به هرقل افضل عند الله في عين تثليثه من الخليفة المسلم في عين توحيده بقوله (لا اله الا الله).

كل ذلك لسبب بسيط، وهو لان هرقل افضل للبشرية في الشام من مروان. لذا لانحتاج الى ان يشهد هرقل بالشهادتين، حتى يكون افضل، لانهما لم ينفعا شيئا من عين الذين قالوهما، وفي نفس الحين قتلا بهما آلاف وآلاف.. بل بسبب الدعوى الكهنوتية لتلك الشهادتين لاغير نزلت عذابات الشعوب وغزوها وسبيها واستعبادها.

بكل الاحوال، هرقل يؤمن بالبشرية، إذن هو يؤمن بالنبي. حتى وان كان وثنيا وليس مسيحيا. ولطالما كان الوثني اقرب الى محمد من المسلمين. لانه نبي انسانية وليس نبي صلاة.

4

لايهمني المنهج المعتاد في تبیین ضیاع الاسلام بسرقة من النبي واللعب به وتضييعه، بأخذ منطق الاخبار التي يستخدمها التنويرين بسطحية آتية من كونها اخبار تتعلق بالاحكام العبادية والطقوسية في الاسلام دون مبادئه واهدافه، يصلح معها تسميتها بمفردة (رسالة)، لانها مسلة قيمة لعبادية، من قبيل مثلا ان (وهب بن كيسان ، قال : رأيت ابن الزبير يبدأ بالصلاة قبل الخطبة ، ثم قال : " كل سنن رسول الله

⁸⁷ لهرقل الروم الشرقية قصة اكثر من مهمة معرفيا في خصوص النبي، تنفع في منطق الايمان الوجودي بعيدا عن المعجزة. ويفوق به كل من قرأتهم من اصحاب علم الكلام دون مبالغة. تماما كما فاجتني هولاء في تفوقه بذلك. اعرف ان الكثير يسخر من هذا المبالغة. ولكن الاعماق لطالما متهمة.

⁸⁶ وهو الامر الذي جعلنا سلفا نلح على ان الكفر ليس لدى الله ان ينكر الانسان الهه، وانما ان ينكر الانسان انسانيته.

قد غيرت ، حتى الصلاة⁸⁸ . او عن (الزهري : دخلنا على أنس بن مالك بدمشق ، وهو وحده يبكي، قلت : ما يبكيك ؟ ! قال : لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة ، وقد ضيعت)⁸⁹ . لان الدين يقوم في جوهره على مبادئه الانسانية والاخلاقية وليست التعبدية الطقوسية من الصلاة والصوم. لذا فهذا المنهج اكثر من سطحي ان اعتبر ذهاب الاسلام قائما على تغير صلاة النبي عند اتباعه، وليس بتغير روح دينه وانسانيته واهدافه. وهذا ما تنحو اليه وحدها، كلمة ابن ابي طالب: (لم يبق من الاسلام إلا اسمه ، ومن الدين إلا رسمه). بفقدان جوهره من اهدافه ومبادئه وقيمه وبقاء اشكاله الطقوسية من المسجد والصلاة.

المهم هو ان قياس الانحراف امر وجودي في انسانية الذات وليس صلاتها وصومها وباقي احكام الفروع. و لا انحراف للدين الا بانحراف انسانيته.

توجد بعض الاخبار اقرب الى المنحى الجوهرى منه الى اسلام الفروع. لانها تشي بانه لم يبق من روح الاسلام شيئا. من قبيل؛

.. الحسن البصري: (لو خرج عليكم أصحاب رسول الله ما عرفوا منكم إلا قبلتكم)⁹⁰.. أبو الدرداء: (والله لا أعرف فيهم من أمر محمد شيئا إلا أنهم يصلون جميعا)⁹¹.. جعفر الصادق حينما نوقش امامه الامر قال: (لا والله ، ما هم على شئ مما جاء به رسول الله " إلا استقبال الكعبة فقط).. مالك عن أبيه، قوله: (ما أعرف شيئا مما

أدركت الناس عليه إلا النداء بالصلاة)⁹².. عبد الله بن عمرو بن العاص: (لو أن رجلين من أوائل هذه الامة خلوا بمصحفيهما في بعض هذه الاودية ، لاتيّا الناس اليوم، ولا يعرفان شيئا مما كانا عليه)⁹³.. قد ينفع الكهنوت دليل نصف تقليدي مع كلمة الامام والمتصوف زين العابدين بن الحسين، حينما عاتبه احدهم على رفضه للفتوحات، فكان رده بان جيوشها ليسوا من الاسلام بشيء⁹⁴. واحدس بقوة انه قال رده هذا بقياس وجودي. لانه لم يبنه على فقه او اقلها لخبر مثلا عن الفاتحين بانهم لم ينطقوا الشهادتين او انهم لا يصلون، او حتى بوجه ابعد قليلا؛ مثلا لانهم ياخذون الغنائم وهي حرام في فقهه، فتخرج المسلم عن اسلامه. وانما قال ذلك لانهم خلاف المبادئ الانسانية فحسب، وبالتالي لديه هم خلاف الدين والاسلام. رجوعا لماهية الدين ببديهية وقاعدة؛ انه غير انساني اذن هو غير ديني. وتلازم الماهية بين الديني والانساني..

بديهية هذا المنطق تجد لافتتها ايضا مع زينب في حادثة كربلاء في كلمة لها مجهولة القيمة الا للبقاء؛ (ويحكم اما فيكم من مسلم..). إذ لم تقل كلمتها هذي عبثا، وانما قياسا لواقعهم على روح الدين. فهي تعرف ان اولئك ينطقون الشهادتين جيدا ويصلون. ولكن لم يكن هذا مقياسها ايدا. وانما للفعل الانساني فحسب. سيما انها تربت عن ابيها عن جدّها؛ ان تكون متدينا يعني ان تكون انسانويا، لا ان تكون مصليا. كما يرى الكهنوت.

هذي هي الوجودية في التراث مع عين كبار الممثلين لجمهورية النبي والاسلام المثالي..

⁸⁸ كتاب الام للشافعي، ج 1، ص 208.

⁸⁹ جامع بيان العلم، ج 2 ، ص 244 . البخاري ج 1 ص 141 .

⁹⁰ جامع بيان العلم، ج 2، ص 244 .

⁹¹ مسند أحمد بن حنبل، ج 6، ص 244 .

⁹² الموطأ ، ج 1 ص 93. جامع بيان العلم، ج 2، ص 244 .

⁹³ الزهد والرقائق، ص 61.

⁹⁴ الامامة الالهية للشيخ احمد سند ، ص 215 .

رغم كل تلك التراجيديات السالفة و كل تلك التجاوزات البشرية وتدني النفس والضمير، ويقول الكهنوت واسلامويوه في الازمنة الحديثة؛(ومما يجب الإشارة إليه أن هذه الفتوحات لم تكن من أجل التوسع للإستغلال والاستبعاد، وامتصاص اقتصادهم ليعيش الفاتحون في الرفاهية، ومتع الحياة وزينتها، والمحكمون في الذل والهوان، كلا وإنما كانت تهدف إلى نشر الإسلام وتعاليمه ومبادئه العادلة بين هذه الشعوب والتي هي أحسن ... إن الفتوحات الإسلامية عامة تختلف عن كل الفتوحات في العالم القديم والوسيط والحديث، فغيرها كان يتسم بالعنف والإبادة والقضاء على معالم الحياة)⁹⁵ ..

اعتقد بعد كل ذلك الرماد الذي دسناه، لايعبر عن حقيقة الجهاد وفتوحاته الا مفردات عين هذا الاسلامي؛(التوسع للإستغلال والاستبعاد، وامتصاص اقتصادهم ليعيش الفاتحون في الرفاهية، ومتع الحياة وزينتها، والمحكمون في الذل والهوان.. العنف والإبادة والقضاء على معالم الحياة).. فقط بحذف كلمته (لم تكن) المسبوق بها نصه، والتي كذب بها على الناس كذبة ان شمس النهار ماهي الا قمر. بل كذبة يلوم بها الناس انهم يروها شمسا.

اظنه حينما قرأ سابقا؛(فتحتوا ذلك الحصن وقتلوا من فيه). (وهو يقصد بلاد العدو في غير ناحية الصنم، يقتل ويسبي ويهدم الكنائس ويكسر النواقيس). (وضع السيف في أهل البلاد،). (فقتلهم جميعا إلا رجلا واحدا). (إن قتيبة بلغ في غزو الترك والتوغل في بلاد ما وراء النهر وافتتاح القلاع واستباحة البلاد وأخذ الأموال وقتل الفتاك ما لم يبلغه المهلب بن أبي صفرة). فهو ليس عنفا وإبادة. ولم يكن هذا النسق الذي سلف منه كثيرا؛ (... ثم جهز سليمان الباهلي في اثني عشر ألفا إلى أرمينية فأخضعها وعاد منها مليء اليدين بالغنائم)⁹⁶. توسعا واستغلالا وامتصاصا لخيرات الشعوب واملاكهم، والعيش

⁹⁵ ابراهيم عبد الفتاح المتناوي، دماء على قميص عثمان، ص25.

⁹⁶ الطبري ج5..264.

برفاهية على حساب الام الاخرين وجوعهم وموتهم واحزانهم. وغير هذا النص الافا ممن مملنا نقلها سالفا.

يمكن تخيل هذه العذابات في الموت والفراق والسبي والترمل والتيتم والجوع، وجريانها على بلاد كثيرة، مثل بخارى وخوارزم والري وسمرقند وفرغانة وناهوند وتستر وآلوس والمدائن وطرسوس وآياس، ونيسابور ومرو وابرقاذ والاحواز والسند والاندلس واذربيجان وجرجان واصبهان ودست ميسان وقزوين وطبرستان وشهرزور وصامغان وارمينيا وهرة وطرخستان وكازرون والنوبذجان وكرمان وابرشهر وسرخس واصطخر والطاقان. ممن رصفت بعضها حسب ماوقعت عليه عيناى. ولنرى حجم الكارثة الانسانية التي جرى بها الكهنوت في منظومته الدينية، ومازال يجدها فخره الديني والرسالي. علما ان هذا الهتك لا يحصل مرة واحدة مع تلك البلدان، بل لطالما تكرر بين الفينة والاخرى، خلال قرون الصراع بين المسلمين انفسهم. بين سلطان وسلطان..

بعيدا عن كل هذا، المفروض ان الصحابي عبدالله بن مسعود اكثر حجة من هذا الاسلامي واكثر قيمة لدى عين الكهنوت، اقلها اقرب تاريخيا للحدث. ألم يردد هذا النبيل العالم حسرته المعروفة في هذا الشأن من ملوكية الفتوحات؛ (اراكم والله ستجعلونها ملكا). فايهما يختارون في تحديد الحقيقة؛ كلام الاسلامي ذاك، ام حسرة ابن مسعود.

الغريب ان الكهنوت حينما يلاقي القرآن في آية: (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، و جعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون). يدرك ان تفسيرها بصراحة؛ (إفساد القرى تخريبها وإحراقها و هدم أنبيتها، و إذلال أعزة أهلها هو بالقتل و الأسر و السبي و الإجلاء و التحكم). بينما هو عينه من يشرع ويقوم بعين ماينكره القرآن هنا بعين تفسيره. فأى بنية صفة هذه، تعيني كثيرا.. ولكن الغريب حينما تكون مع آية: (إن تصبك حسنة تسؤوهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل).. فيفسروها (المراد بالحسنة و السيئة بقرينة السياق ما تتعقبه الحروب و المغازي لأهلها من حسنة

الفتح و الظفر و الغنيمة و السبي، و من سيئة القتل و الجرح و الهزيمة).هنا الحسن والقيح هو مايعود على الانا، مهما حل بالاخر. رغم ان الاساءة الى الاخر هي الشر حتى في المجال الاخلاقي غير الديني.. ازدواجية مقيته ايضا في مفهوم الخير والشر. ماينفعك فهو انسانوي وخير، حتى وان قُتل وسبي بسببه الاخرين، وماليس لك فيه غنيمة ومنفعة فهو شر. هذه هي البنية الكهنوتية.

اتسأل لما الكهنوت الشيعي يرى سبي نساء كربلاء فاجعة انسانية كبرى، ولايراهما كذلك على النساء المسببات من الامم الاخرى، رغم ان حال نساء ال البيت كان اهون نسبيا، لعدم قدرة الجيش بالتعدي على سبي اهل البيت، لاسباب كثيرة معنوية وسياسية. بينما تلك النسوة المسببات من باقي الشعوب كان الجندي المسلم يأخذها ملكا له طوال شبابها، ويعزلها عن ديارها واهلها وزوجها واطفالها، بذلة يصل به الامر انه يتعدى على جسدها في اول لحظة النصر، دون ان يعبأ حتى بدموع طفلها الذي يركن في اخر الغرفة او في زاوية غير بعيدة.

لما لا يرى ذلك فاجعة وظلما وحراما دينيا، ام فقط المسلمين لايجوز سبيهم. لاننا بشر والآخرين كفار. وهل هنالك كفر غير الظلم.. اقلها كان على الكهنوت الشيعي ان يحرموه بكلمة زينب عيناها؛ (لاتدخل علينا الا ام ولد او مملوكة، فانهن سبين كما سبيننا.) فهي ضمنا تحرمه بدهيا، كسلب للكرامة الانسانية. سيما ان زينب تفقه الاسلام اكثر من ائمته. ومن لايفقه ذلك في كلمة هذه الثائرة فهو ليس منها بشيء ومن وعيها العلوي، ناهيك عن انها تمثل اهم خطوة ثورية للدين.. رغم ذلك والكهنوت الشيعي يحلل ماكانته زينب وتكلمت عن خطيئته، شأنهم شأن باقي المسلمين لانهم كهنوت ايضا. وكل شيء يتحول الى كهنوت يغدو لصا. يسرق الحقيقة من خدراها.

علما التاريخ يتفق على قصة علي في الجمل مع اصحابه بعد الانتصار، والجدل الذي دار بينهما بسبب منعه اياهم من السبي، وبمنطق انسانوي وجودي لاديني ونص منطقته؛(كيف تحل لكم ذرية ضعيفة).. كما انه هناك في تلك الحادثة عيناها، اعني حادثة الجدل بين علي واصحابه على السبي يتبين حكم علي في الغنيمة ايضا ورفضه لها، لان الجدل كان يقوم عليها ايضا، بعد ان منعهم منها. حيث لديه لايحل من الغنيمة الا مالدى معسكر المحاربين دون غنيمة الناس والبيوت والمدينة، ونصه؛(ما مأخلت القوم في معسكرهم فهو لكم مغنم، وأما ما وارت الدور وأغلقت عليه الابواب فهو لاهله). والاهم في الامر بمايناسب الازدواجية الاسلامية وفضح علي لها بين المسلمين، هو انه حينما الحوا عليه في ان يسمح لهم بالسبي، ويتعير ابن ابي الحديد (فلما أكثروا عليه) باللاحاح، قال لهم(اقرعوا على عائشة لادفعها الى من تصبه القرعة)، حينها الكل استغفر الله وانصرف.. كل هذا الالم العلوي والفقهاء احلوا السبي سنة وشيعة.

مما هو مهم، هو ان عذابات العبيد لم تؤخذ تاريخيا من اليسار الاسلامي وعموم رافضي العبودية في زاويتها الحقيقية، وانما فقط في جانب السخرة واستلاب الحقوق وعموم فكرة نفي الحرية وحسب، بينما هي مع العناوين الاخرى للحياة المعنوية المرتبطة حين الاستعباد باغترابهم عن ديارهم ومرايح صباهم وبذهاب حبيباتهم وزوجاتهم بأيدي الفاتحين الغزاة ناهيك عن مقتل احبابهم. وبعيدا عن هذا وذاك، ازمة الذات والكرامة في ازمة تلك العناوين التي لايحتملها قلب شريف، ويفضّل بها الموت على رؤية مايحصل، الامر الذي ركزت عليه الكلمة السالفة لزينب كربلاء. فوق ذلك هو إقصاء العبيد من مجال البشر واعتبارهم ماشية بشرية. والنظر اليهم بإزدراء ودونية كطبقة اجتماعية محتقرة من عين طبقات المجتمع الاسلامي نفسه.

مشيا مع ذاك الاسلامي، ماذا يعني هذا النص المتخصص رسميا في جهة العائد المالي لمردود احتلال العراق، ويدوّن بشعور ديني مطمئن كحق طبيعي (السود على عهد عمر بن الخطاب مئة ألف ألف درهم. فلما كان الحجاج صار إلى أربعين ألف ألف درهم)⁹⁷. الغريب ان النص هذا رغم إنه يُروى على هامش ملامة الحجاج، ولكن ليس في جهة ظلمه، وانما في جهة خفضه واردة ارض السود. اي لاعتاب عليه من المدون الكهنوتي في سلبه للناس، وانما على تدني ماياتي من الناس. بكل الاحوال يمثل هذا النص اعترافا فاضحا لحقيقة تشريع نهب الشعوب وسلب اموالهم وازراقهم وكدهم. بل حتى الفقراء لم يسلموا من ذلك⁹⁸.

لم تقف الامبراطورية الاسلامية ومكهنوتها على حلية نهب البلاد واستباحتها، وانما كان المنطق الطبيعي في توزيع الغنائم هو توزيع الناس كعبيد، تماما وكأنه (قطيع بشري) كما هو التعبير المعروف من افلاطون وصحبه. يروى الكهنوت بكل برود، ان

⁹⁷ فتوح البلدان، ج2، ص 323.

⁹⁸ التاريخ الكهنوتي يحفظ ارقاما عن باقي البلدان في عوائدها المالية كنظام اقطاعي شأنه شأنه باقي الامبراطوريات من قبيل؛ بلغ عدد دافعي الجزية في مصر اثني عشر مليون دينار عن ستة ملايين رجل. فينقلون بشرعية ضمنية؛ (انه كان على اهل العراق من غنيهم اربعة دنائير وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرين درهما، واثنى عشر على الفقير، إضافة الى خمس عشر صاعا من القمح). كذلك كان يفرض على اهل البلاد ضريبة الجيش الذي يمر منهم ثلاثة ايام. ولطالما شكا الناس ذلك بانهم يكلفونهم الدجاج والشاة مما يدجنون ولايقبلون طعاما مما ياكلون. اي دين هذا الذي يفرض على الفقير ان يعطي مالا، ولمن؟، للحكومة وارسنقراطيه.. اعتقد ان الاستعمار العلماني الحديث كان اولى بالتاريخ من الفتوحات تلك. وان اشتركوا في نهب خيرات الشعوب. لانه علم كثيرا، حتى ولو عرضا، بينما تلك الشعوب هي التي علمت الفاتحين. الم يكن معظم العلماء الذين اسسوا التراث وحضارته من تلك الشعوب؟.

ال خليفة اراد (قسمة السود بين المسلمين، فأمر أن يحصوا، فوجد الرجل منهم نصيبه ثلاثة من الفلاحين).⁹⁹ كلمة نصيبه هنا توازي مفردة حقه شرعا في ان يملك ثلاثة ويستعبدهم!! هل يتوقع ان يقتنع هذا الفلاح بهذا الدين الذي استعبده وحوله كملكية صرف بيد مقاتل غاز يسمى نفسه مسلما وداعيا. انها سخريه أسماء.

إن لتعرف اجيال تلك الشعوب، انه لم تكن الفاجعة في استعبادهم اجدادهم وقتلهم فحسب، لان أولئك المسلمين كانوا قد قتلوا الاسلام قبل ان يقتلوههم.

هذا الاستعباد اصبح هو الالم الاكبر الذي لاح تلك الشعوب بحيث إن عملية فتح واحدة للمسلمين كان فيها نصيب الدولة الإسلامية من العبيد ستين ألفاً ، وإن امرأة واحدة من المسلمين اشترت خمسمائة عبد¹⁰⁰ ، إذ كان العبد الواحد يُباع أحياناً بقبضة من فلفل المطبخ¹⁰¹. ويصل الامر ان التاريخ الكهنوتي عينه يقول ان؛ (الزبير بن العوام كان يملك ألف عبد وألف أمة)¹⁰². وبعد سبعة قرون تجاوز عدد الجواري الخاصات بفراش السلطان عبد العزيز بن محمود خان تسعمئة وإبراهيم الاول والسلطان سليم ثلاثمئة..

أو مثلاً؛(وسار موسى بن نصير إلى الشام. وحمل الأموال التي غنمت من الأندلس والذخائر والمائدة، ومعه ثلاثون ألف بكر من بنات ملوك القوط وأعيانهم، ومن نفيس الجوهر والأمتعة ما لا يحصى)¹⁰³.. رغم هذا الاعتراف الكهنوتي في تاريخه، وتجد باحثا

⁹⁹ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص3.

¹⁰⁰ الإمامة والسياسة : 137 فصل الفتوحات . القسم الثاني . السجاد.

¹⁰¹ الإمامة والسياسة ، فتح الاندلس وشمال أفريقيا...

¹⁰² فجر الإسلام| أحمد أمين : 90.

¹⁰³ نهاية الارب.

اسلامويا يحسب تنويريا، ويقدر انور الجندي في اطلاعه، يقول عن الفتوحات ان الاسلام؛ (نقل خلالها الى البشرية روحه ومفهومه وعقيدته، وحرر هذه الامم جميعا من نظام العبودية المرهق الذي قاسى منه البشر احوالا في عبادة الفرعون والامبراطور والقيصر)¹⁰⁴.. هؤلاء هم المجددون المعاصرون. بالتاكيد لم يجلب موسى بن نصير كل الجواني ناهيك عن العبيد، فهناك حصة للجيش منهم، وبالتاكيد هي اضعاف مضاعفة من هذا الرقم خاصة انه لم يات بعوام الذين استعبدتهم وانما بنات الملوك وعموم المميزات منهن، بل وخصوص الابكار منهن دون الثيبات. اذن كم كان رقم الجواني هناك.. او مثلا ان (عدد السبي من أهل النيجر ألف امرأة وضعن في دار رملة بنت الحارث)¹⁰⁵. فقط هذا السبي الذي جلب الى المدينة، اما من بقين هناك تحت ملكية الجنود والقواد فعدد لا يحصى. علما ان الدولة عينها كانت تباع الرقيق الذي يقع لها ضمن خمس الغنائم¹⁰⁶. وهو النسق الامبراطوري القديم حيث قوة الدولة كانت تتوقف على عدد عبيدها والايادي المجانية، سواء لخدمتها او كونها بحد ذاتها ثروة يمكن تباع. لذا كانت الفتوحات مرتبطة أيضا بحاجة ذلك الاستعباد، وليس بالمعبد والله وباقي كذبة الدعاة.

كان من المعتاد مثلا ايام الدولة العثمانية حين دخول جيشها الاسلامي مدينة ما، ان يقتل رجال تلك المدينة في مجازر جماعية وتستباح النساء كغنيمة للجيش ويبقى قادة الجيش حصة للخليفة العثماني تمثل خمس الغنيمة من النساء الاجمل. وقريبا من هذا الشكل كان الامر مع باقي الشعوب التي نُهبَت من قبل العباسيين والامويين وعموم

السلاطين والامراء. لذا يصح احيانا القول ان السلطين المسلمين في وقت ترفهم حاربوا من اجل الجواني احيانا وليس من اجل المال ولا من اجل الله، فهذا مفروغ منه. ولهذا السبب اعتقد ان الذي جعلهم غير مهتمين كثيرا بالبلاد السوداء والقرن الافريقي، هو انها ليست من ديار الجمال فقط وفقط. بل حتى صار عرفا؛ ان التقرب الى السلطان من قواد جيشه يتم باهدائه جواني مميزة.

لم يتوقف الامر في عدد العبيد على ما رافق الدولة الاسلامية من زيادة للعبيد على قدر حروبها، بقدر ما المسألة كانت في فتحهم تجارتها وتشجيعها، بحيث لم تسلم منهم حتى نساء البلدان غير المفتوحة، لان عين طلبهم لها أفضى الى انبثاق مافيات اممية- سيما مافيات اليهود- في جلب النساء من البلدان القاصية، فتعدوا مشرقهم والبلاد المفتوحة الى شرق اوربا من الصقالبيات، سيما البلغار. كذلك طريقا آخر يمتد من المانيا الى الاندلس ومن الموائى الايطالية والفرنسية الى الشرق. حتى ان بعض التوثيقات التاريخية تعلل ان استقرار اليهود في سكسونيا الشرقية مثل مدينة مجديوبغ ومرزيبورغ كان راجعا الى تجارة الرقيق التي ازدهرت معهم بطلبات المسلمين. وهكذا كان الاسلام التاريخي ابرز من اثار وسوق قضية بيع الناس، وفتح ظاهرتها. بحيث كانت اسواقه تمتد بين افريقيا الشمالية وتركستان وفرغانة والاناضول وفارس من السلافيات والصقلبيات والجرمانيات لجمالهن.

من حظه انقذه وكان خارج طبقة العبيد من شعوب البلاد المفتوحة/ المغزوة، عاشوا ايضا ويلات اخرى في وجودهم المحتقر والمنفي اجتماعيا. بحيث لايمكنهم حتى الزواج من المجتمع العادي، وهو امر معروف تاريخيا ويرد بقوة مع حادثة قبيلة بني عبد القيس

¹⁰⁴ انور الجندي ، الاسلام والعالم المعاصر، ص104.

¹⁰⁵ اكرم العمري، عصر الخلافة الراشدة، ص205.

¹⁰⁶ أبو داود: السنن 2: 255.

وبني سليم. وأخذ قانونه التنفيذي مع احد الموالي ممن تزوج امرأة من بني سليم , ففرق والي المدينة ابراهيم بن هشام بينهما , وامر بضربه مائتي سوط, و حلق راسه و لحيته و حاجبيه. والفقهاء لايعنيهم ذلك. بل هذه الرؤية(عيب التزويج) جعلها الفقهاء حكما نبويا لاحقا. اذ لدى الكثير من المكروه شرعا التزوج من امة , و احيانا لدى البعض تصل الى الحرمة, سيما اذا اريد اتخاذها كزوجة ثانية على زوجة حرة.

مما يقبل التاريخ الكهنوتي لنفسه دون ملامة, نقله قرارا لمعاوية : (اني ارى هذه الحمراء قد كثرت... و قد رايت ان اقتل شطرا و ادع شطرا لاقامة السوق لعمارة الطرق)¹⁰⁷. بل لابس ان يروي الكهنوت بكل بساطة سنة اسلامية ترى؛ (ان للعرب ان يتزوجوا من الموالي , و ليس لهم ان يزوجهم فيتسنى للعرب . في ضوء هذه السنة . ان يرثوهم , و اما هم فلا يرثون العرب عند نشوب الحرب الصلاة , و لا ان يكونوا في الصف الاول من صلاة الجماعة)¹⁰⁸.. أيضا كانت تؤخذ الاتاة المالية قسرا من هؤلاء باسم الخراج وكذبتة الفقهية, كونها بكل بساطة لا تحمل الا منطق القوي والضعيف, ويعين الشاكلة الاقطاعية. علما ان الامراء والولاة الامويين لم يكن يلتزمون بالقدر الذي يحدده الكهنوت في تلك الكذبة. كما انهم رفضوا اسلام الكثير منهم حتى تبقى الجزية, رغم فجعية منطق؛ اما ان تكون مسلما او ان تدفع مالا. اما من لا يستطيع الدفع فكان

¹⁰⁷ العقد الفريد, ابن عبد ربه, ج3, ص413. بل يُنقل ان معاوية بعث برسالة في آخر حياته الى واليه على البصرة يقول فيها : (اني رأيت هؤلاء العلوج قد كثروا في بلادنا , فخذ هذا المقياس - وارسل له خيطا من خمسة عقد - وانظر اذا كان احد من الموالي اطول منه فاضرب عنقه) ينقله احد الكهنتيين المعاصرين دون توثيق. ولاذكره استكفا, اعترف بذلك..

¹⁰⁸ المصدر السابق نفسه.

يعذب مهما كان العذر. ومن فضائح الفقه هنا, هو تشريعهم لذلك العقاب كشرع لله. بحيث يُعتبر احد الفقهاء رجيا كونه منع صب الزيت والتعذيب تحت الشمس, كما كان يفعل الولاة والامراء, وجعل عقابه فقهاء الحبس الى ان يدفع الجزية/ الاتاة, كما هو رأي ابي يوسف القاضي¹⁰⁹..

بينما كان ابن ابي طالب يعطيهم, لا يأخذ منهم, كما ينقل اليعقوبي وآخرين انه؛ (اعطى الموالي كما اعطى العرب و يعطي الناس بالسوية, لم يفضل احدا على احد)¹¹⁰.. كان منطق ان البشرية واحدة وليس سواسية فحسب مهما كان دينهم او كفرهم. وهو عين الامر الذي جعل ابن عباس يقول: (اتما رغب الناس عن علي لانه لم يفضل العرب في العطا)¹¹¹.

هذه هي جمهورية النبي. ولكن ليس حجة علي في ذلك هي (ان اولاد اسماعيل لم يفضلوا على اولاد اسحاق في كتاب الله) كما ينقل اليعقوبي, فعلي لم يكن نصيا, على شاكلة الفقهاء. لذا مثلا حينما كان يقول مرارا؛(لو كان لي مال , ما فرقت بين اسود و ابيض في العطا)¹¹². لم يكن يتكلم عن أمر نص شرعي, وإنما عن ذاته ومبادئه.

الا يتوضح الان كلام الجمهورية في اول اوراقها بان المهم ليس انقاذ الاسلام, وانما انقاذ النبي من ذلك الاسلام.

¹⁰⁹ الخراج, ابو يوسف القاضي, ص133.

¹¹⁰ تاريخ اليعقوبي : آخر واقعة الجمل .

¹¹¹ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد. 16 : 23.

¹¹² الغارات 1 : 70

المسيبات كن يحتكرن كجواني. بشكل تتمنى كل واحدة منهم ان تذهب الى رجل واحد يعتني بها مقابل جسدها- رغم عذاباتهما في مقتل احبابها وفقدانها اهلها وديارها واستبعادها عن اطفالها الذي استبعدوا- ولكنهن كن يتكسبن عشرات ومئات في حوزة رجل واحد. فكان يتجاوز عدد جواني السلطان الافا مؤلفة، مسجونات في دار الحريم، وقد تحظى واحدة منهم بليلة واحدة طوال عمرها من السلطان او تموت وهي عذراء.. فإن نامت مع عبد مثلها، اخصي العبد واقيم عليها الحد من قبل الفقيه القاضي وفتواه¹¹³.. وهكذا جعل الفقيه من الدين دعارة في بيت السلطان. وقد يصل الامر ان لا يكتفي بالاختصاص وانما يقتل جميع الخصيان في القصر لان احدهم ضاجع جارية من تلك الالاف كما فعل السلطان ابراهيم. بل حينها اغرقت 280 جارية في مياه البوسفور. فكان رجال السلطان يقتلوهن دفعات ثم يضعونهن في اكياس مثقلة تلقى في البحر¹¹⁴.

انقل هذا الامر لا من جهة طغيان الملوك المسلمين، ولا من جهة عذابات العبيد فقط، وإنما من جهة قبول من الكهنوت ومباركته لذلك وسادته في التشريع، ولننظر الى طريقة رواية مؤرخ كهنوتي للاخصاء الذي قام به سليمان بن عبد الملك بعدد كبير من اولئك العبيد واعتباره فضيلة: (وكان شديد الغيرة أمر بخصي المخنثين الذين كانوا

¹¹³ بينما الامام علي كان يقول؛ من اتخذ من الاماء اكثر مما ينكح او نكح فالاتم عليه.. وهي مقولة دفاع عن المرأة خرجت ازاء تلك الظاهرة. وهنا لا يقصد الامام حلية الجواني ضمنا. باعتباره يعاتب كثرتهن في النص فحسب، وإنما يتكلم عن الزواج من طبقة الارقاء. والا لتعارض الامر مع مثالياته التي لايمسها قبول الاستعباد، لا من قريب ولا من بعيد.

¹¹⁴ عن حسين مؤنس؛ الجارية روكسيلان، ص12.

بالمدينة فخصاهم عامله على المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو الأنصاري¹¹⁵.. ثم اصبح هذا الامر عرفا رسميا للقصور وكشروط وظيفي احيانا، بحيث كان هنالك عشرة الاف خصي في عهد المقتدر.

بعد كل ذلك؛ اليس هرقل خير للناس من مروان والمقتدر.

9

لايعترف الكهنوت بكره الشعوب للمسلمين الفاتحين، ناهيك عن خطيئة فكرة الدعاة وكذبها، رغم ان عين تراثه يروي ان تلك الفتوحات انكفأت بانتفاض كثير من تلك البلدان المفتوحة وسقطت مناطق كثيرة منها، بحيث احتاج المسلمون إلى فتح الكثير منها أكثر من مرة لاسترجاعها من قبل الجماهير، ومنها خراسان، وكذا كرمان، وسجستان وغيرها، من بلاد افريقيا والاندلس.. هذا الامر ظهر مبكرا في اول الفتوحات. ينقل ابن الأثير انه: (لما رأى أهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد، قالوا لرستم والفيرزان، وهما على أهل فارس: لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس الخ..)¹¹⁶. وهي ملامة لما آلو اليه من حال في الظلم الاسلامي. والا لو كان المسلمون خيرا في وجودهم من كسرى لما لاموه. ولما انتفضوا ضد المسلمين. انهم جماهير وليس كسرى الذي مات هو ورستم ويزدجرد.

عقبة بن نافع، الذي ولّاه معاوية على افريقية، حينما دخلها يقول النص مبينا لماذا وضع السيف في أهل البلاد) ب (لأنهم كانوا إذا دخل إليهم أمير أطاعوا، وأظهر بعضهم

¹¹⁵ تاريخ ابي الفداء ج1، 138

¹¹⁶ تاريخ الطبري ج 3 ص 324 والكامل لابن الأثير ج 3 ص 110 والبداية والنهاية ج 7 ص 154.

الإسلام، فإذا عاد الأمير عنهم نكثوا، وارتد من أسلم¹¹⁷ في الحقيقة هم انتفضوا، وليس نكثوا وخانوا. المؤرخ يخون الكلام هنا فحسب..

10

لعين تلك التراجيديا واستعباد الشعوب واستغلالها وتشويه الاسلام/ برزت حركة القرامطة و صاحب الزنج والعشرات من الثورات الداخلية. فكل قواعد وجمهور تلك الحركات كانت من أولئك الذين عاشوا التراجيديا التاريخية. لذا لم يكن صدفة انه لم تكن هنالك ثورة تحمل مذهباً دينياً واحداً. لان الظلم كان يجمعهم فحسب. بل تجد احيانا حتى اليهودي معهم. وهو السبب الذي يعاب به الباحثين على حيرتهم في تحديد النسب المذهبي والفكري للانتفاضات والحركات، وحقيقة اتجاهها ومذهبها؛ من قبيل هل القرامطة اسماعيلية دينية ام فاطمية سياسية ام ماسونية ام حتى مزدكية. بينما الحقيقة بسيطة وهو ان أولئك كانوا اناس لم تحدد لهم مدرسة او انتماء الا العذابات التي عانوها. لم يكن هنالك مشكل معرفي عقائدي معهم الا عقيدة الثورة على الظالم. اي ان عقيدتهم وجودية وليس لاهوتية، بينما يبحث المعاصرون عن نوع دينهم وتعبدهم. إذ لطالما تجد ان هنالك خوارج ومعتزلة واسماعيلية وحتى مرجئة في نفس الانتفاضة. بل ان عين المرجئة رغم انهم يمين اسلامي، اتجهوا في فترة غدوا يسارا الى الموالي لان هؤلاء كانوا يعينون كل من يخرج على السلطان وظلمه. كذلك اتجه البربر في المغرب الى الخوارج مذهبياً في احد الفترات، ليس ايماناً بالمذهب دينياً، وانما فقط لانهم كانوا يقولون بالخروج على ظلم الاسلام الرسمي، وعن ذلك التوافق، قاموا بالثورة الصفرية المعروفة، وحكموا مدينة

¹¹⁷ الكامل لابن الأثير ج 3 ص 465.

طنجة. بل مما يؤكد ذلك بقطع هو ان كثيراً من اليهود انتموا الى ثورة الزنج لعين هذا السبب لاغير. لان الظلم¹¹⁸ وحسب كان هو المدار الاول في خروجهم. والذين التفوا حول صاحب الزنج ليس العبيد وحدهم باعتباره نادى بتحرير العبيد وتخليصهم من الرق والعبودية بل عموم الناس المعدمين والتعساء عمالاً ومزارعين وخدم وغيرهم.

المؤلم انه حتى من يقف مع صاحب الزنج من الباحثين حينما يصل الى انه جعل البيض أسرى بايدي السود، يعتبره هنا خطأ وتناقض في المبدأ. رغم انه دليل على عظمة مبداه. وكأنه لدى هذا الباحث لايجوز بديهياً ان يقع الابيض بيد الاسود. وانه كفر اسود لانه من اسود. انه داخلنا يفضحنا. معشر الباحثين.

في الحقيقة، لم يكن يريدون ان يتحولوا من عبيد الى سادة، بفعلهم ذاك، وانما كانوا يريدون ان يذيقوا السادة الام العبيد. تماماً كما فعل اسبارتوكس في معقله بجعله الرومان يتصارعون في حلبة جمهورها العبيد لا السادة، كما كان يفعل الرومان بهم قبل ثورتهم. تبييناً لظلمهم.

لأبأس يريدون ايضاً ان يعوضوا وجوداً للعبيد. لذا اعترف اني كنت اتنفس الصعداء، وانا اقرأ ما قام به مزدك وصاحب الزنج، وهما يفرقون إماء وزوجات السيد على العبيد في يوم وليلة. وانزف كثيراً من غضبي على السادة حينها.

11

¹¹⁸ كثير من النصوص التاريخية التي يصدف ان تكشف الحقيقة سهواً او تتجراً في لحظة ما، كانت تشي بان تلك الثورات ليست الهبة وانما انسانية بسبب الظلم فحسب وليس بسبب المعبود..المسعودي مثلاً يقول في تحليل حركة يحيى بن زيد : (منكر للظلم و ما عم الناس من الجور) تبعاً للثورة الاصل مع ابيه زيد بن علي الذي يقول في سبب انتفاضته : (ايها الناس ندعوكم الى جهاد الظالمين، و الدفع عن المستضعفين ..) .. او كلمة المختار في ثورته: (ادعوكم الى... والدفع عن الضعفة , و جهاد المحليين) .

ولهذا السبب من الظلم الاسلامي، نرى ان اليسار الاسلامي لم يحارب خارج الاسلام، بل حارب ضد الاسلام ذاك وكهنوته¹¹⁹، بل هو الذي ثور تلك الشعوب. وهذا مايتوضح مع سبب نجاح عبدالله بن ميمون المتهم في ماسونية شعوبية وعداء للاسلام من التاريخ السلطوي. رغم ان صفته الاولى كانت هو انه جمع بين الغالبيين والمغلوبين، ممن كان مظلوما بالاسلام الرسمي. وهي اعظم صفة اطلاقا في الفعل التوحدي، وفي ذلك دليل على انه لم تكن هنالك ازمة عرق وانما ازمة ظلم..

ولهذا السبب لاغير من الظلم ايضا نشأت الحركات الشعبية. قبل ان تكون لسبب قومي او عرقي. اي ان الشعبية قبل كل شيء اتجاء اسسته ردت فعل للعبودية والاستغلال والاستبداد. ضد العرب كسادة وليس كقومية مغايرة. لان العرب كانوا هم السادة، وهم من ادخل هذا البعد القومي في صناعة السيد والعبد، وماسلف من نص الخليفة: (اني كرهت ان يصير السبي سنة على العرب)، ومنعه ذلك بمبرر (ان الله قد وسع وفتح الاعاجم)، يكفي في تأكيد ان العبيد كانوا من غير العرب..

كما ان منطق دعاة قرامطة شيراز في جذبهم الناس بمقولتهم (ان الله يكره العرب لانهم..) هو منطق شعوبي كما هو مفروض. ولكنه لاجل الاستبعاد في حقيقته، حتى وإن ظهر غير ذلك حينما يعلنون كره الله لهم(..لانهم قتلوا الحسين). صحيح انه منطق توهيمي وكاذب، ولكنه يقوم بالدفاع عن شخصية اسلامية وليس فارسية او سنديّة، كما انه يلتجأ الى شخصية اسلامية ثورية مخالفة للاسلام الامبراطوري وقتها. إذن القضية قضية ظلم فحسب وليس قضية شعب وشعب/ قومية.. انها قضية سيد وعبد، وليست قضية جدي وجدك..

12

من جنون البنية الكهنوتية هو انهم يتكلمون عن انتشار الاسلام بهذه الصياغة المفجعة التي لايقول بها احقق نسي حماقته: (فافتح سهلها وجبلها، وقتل خلقا كثيرا من أهلها، ثم اجتمعوا على الطاعة والاسلام، وحسن إسلامهم)¹²⁰..

اي كذبة تلك؟. كيف يمكن ان يسلموا، وهم قد قُتل اهلهم وسبيت نساؤهم ونهبت ارضهم وتلوع اطفالهم. هل يمكن ان يؤمن احد بدين فعل به هذا.. لذا اقطع بان كل الذين اسلموا من الذين احتلت بلادهم وسبيت نساؤهم كانوا يكرهون الاسلام اكثر من اي شيء، حتى وان غدوا مسلمين رسميا. ولايوجد اناس حققت على الاسلام كما حققت تلك الشعوب عليه. بسبب تلك الفتوحات وتراجيديتها لاغير؟. تلك هي الحقيقة، وببساطة قولتي في الاول من جمهورية النبي؛ لابس ان نتصور، ياترى ماذا كانت تقول تلك القوقازية الجميلة عن النبي وهي تسير مسببة باتجاه مدينته باسم احكامه ليستعبدوها ويبعدوها من اهلها وحقلها وحبيب صباها، عن شمسها وارضها، لتكون جارية في يد جلف ميزته فقط هو انه يصلي الخمس..

ماذا تقول تلك التي ترى زوجها يقتل في العراء وتتخذ هي بليلتها يستباح جسدها وما زال طفلها على دمة ابيه. بالتأكيد كانت تقول عن الله مااسوأه من رب. يرسل انبياءه لاستبعادنا. هنا تحق كلمة محمد الغزالي كداعية كره الدعاة؛ (ان انتشار الكفر في العالم يحمل نصف اوزاره متدينون بغضوا الله الى خلقه بسوء افعالهم).

.. لذا من العار الغبي ان نقول ان الاسلام انتشر بالفتوحات، لانه كُره بها، بل اعتبر دينا كافرا في قلوب تلك الشعوب.

لم ارتح بقدر كبير في تحليل انتشار الاسلام الا برؤية ماسينيون، سيما انها تنتمي الى الأس الوجودي في اتباع الناس النبي لوجوده وليس لجبريله.

¹²⁰ ابن الأثير: الكامل 46/3 - ابن كثير: البداية والنهاية 166/7 - النويري: نهاية الأرب 413/19.

¹¹⁹ ليس غريبا ان هؤلاء لم تكن في صفهم كتب التاريخ المدونة كهنوتيا.

.. يرى ماسنيون ان الاسلام لم ينتشر بالفتوحات وانما (بفضل المتصوفة والطرق الكبرى للصوفية، لانه كان النموذج المقنع، الذي ظهر به اولئك من الشخصية الدينية والاخلاقية والزهدية من المتصوفة المسلمون، كما في الهند مع شيوخ الجشتية والشطارية والنقشبندية. سيما وانهم قد تعلموا اللغة الشعبية واختلطوا بحياة عامة الناس. هذا النموذج مثلا هو الذي جعل العديد من الهندوكيين والملايين (سكان الملايو) يعتقدون الاسلام وليس التعصب المستبد للغزاة المسلمين الذين يتكلمون لغة اخرى اجنبية)..... ذلك لان التوفيق بين الظافرين والمقهورين لا يتم الا بواسطة اولئك الذين يعطون ولا يطلبون، ويقرضون ولا يأملون في شيء)¹²¹ ..

يذكر منهم ماسنيون تلامذة مالك بن دينار الصوفي الكبير (ت 127) في نشرهم الاسلام بين المويلا في كرناجور والمالديف. وكذا دخول الدودالا والبنجار الاسلام في كجرات عن طريق الحلاج (ت 309). والداعية نثرشاه (ت 431) مع اللبيين في ترشنبولي. ويوسف الدين السندي مع الموماتا في كوتش. إضافة الى دعاة الاسماعيلية في السند، منهم عبدالله الحراري (ت 460) وتحال عليه اسلام البهرة وغيرهم، ومنهم نور ستجر (ت 535) وصدر الدين (ت 834). إضافة الى دور ناصر خسرو (ت 473) بين قبائل الوكهن والافريديين. وآخرين كثر.. وكذا في اثر ائمة اهل البيت شعبيا، وتلامذتهم، وتفرقهم بين البلاد، بعد ثورات هنا وهناك، واثر الطرق الصوفية من التيجانية والسنوسية والشاذلية في الجانب الافريقي.. ورجالات من قبيل الصوفي كبير في الهند واثره حتى على مذاهب

اخرى وتأسيسها، كما هو تأثيره على الهندوك سيما على نانك مؤسس السيخية. والصوفي فريد شكر كنجي. وآخرين كثر¹²².

ما اراه ابعد في السبب كمدار اساس في الانتشار، ويسبق تلك الشخصيات زمنيا، ويحال على الثوار اكثر من المتصوفة، وهو؛ ان الشخصيات التي خرجت دفاعا عن الجياح والمستضعفين والعبيد ضد اسلام الكهنوت كانت شخصيات اسلامية وليست من ديانة اخرى، مما جدد لديهم حقيقة هذا الدين، ووعي خيانة الكهنوت للنبي، وانه دين ضد الظلم وليس دين الفاتحين. فالزنج امنوا بالاسلام لانه عقيدة ثائرهم محمد بن علي (صاحب الزنج)، رغم انهم لم يؤمنوا قبله بالاسلام. وكانوا اكثر من يكرهونه لانه كان اسلاما اسس عبوديتهم. مع صاحب الزنج الاسلام يرفض عبوديتهم. وليس لان الهة الهه حقيقي. انه امر وجودي محض. وكذا الامر مع جماعة حمدان بن قرمط وابي سعيد الجنابي وعبدالله بن ميمون. فكل هؤلاء دعاة اسلاميين وليس مانويين او مزدكيين او يهود، وايضا من زاوية اخرى مع عين الحلاج، ومع الحسين، و زيد بن علي، وابي السرايا، وغيرهم ممن حارب المسلمين عينهم. ف هؤلاء كانوا مسلمين ضد الاسلام.. اي ان سبب تبني الاسلام منهم هو ان الذي خرج على المسلمين كان مسلما.

سبب اخر، وهو انه القدر اذا اراد شيئا كان ما يريد. خاصة اذا كان قدرا مرتبطا باشخاص يوتوبيين مثل عيسى ومحمد وابو ذر، ومرتبطة بقيمة جمالية كبرى ومثالية انسانية كما هي مثالية الاسلام الحقيقي. حينها لا بد ان يرسخ الامر، مهما وقفت ضده الدنيا بكاملها. اي بخلاصة؛ ان للحقيقة الكبرى قدر يفرض نفسه على الوجود، لا بد ان يشعلها من جديد، مهما حجبته القرون والسيوف والمعابد..

¹²² نفس المصدر.

¹²¹ ماسنيون بحث في النشأة ص 86. بتصرف، عن عبدالرحمن بدوي تاريخ التصوف الاسلامي.

بلال.. فالله كان معروفا قبل النبي ويعين اسمه، ولكن لم يطلبه احد. طلبوه حينما قال به محمد فحسب. وهذه أهم بديهية تؤكد هذه الرؤية.

.. فلا فضل لكتاب من الله على النبي في تصديقه. بل صدق الناس الكتاب لان هذا النبي قال به. وعن هذا اسلفنا في الجمهورية الاولى؛ ليست غاية الله في كتابه ايصال النبي، وانما غاية الله في نبيه ايصال الكتاب. لذا لم يرسله قبل محمد، او مع غيره.. بل غايته ايضا؛ ايصال نفسه بالنبي. إذ لو لا ان محمدا كان لايشك احد - حتى اعدائه - بصدقه ونبأته لما صدق احد القرآن. بينما الكهنوت يقول، بأن القرآن كان معجزا فصدق الناس النبي. أبدا لولا ان محمدا هو محمد لما قبل الناس الله اصلا. فالناس اتت الله بالنبي ولم تات للنبي بالله.. واقطع ان الكثيرين ممن تبعوا محمدا، كان لايهمهم مفهوم الاله او الماوراءيات اصلا.. إتباعهم له كان إتباع مبدأي وليس ديني عبادي لاهوتي¹²³.

2

الحمقى وحدهم من يؤمنون بالنبي عن طريق المعجزات الخارقة. ومعجزة النبي الحقيقية هي ذاته وليس كتابه. معجزة النبي هي تلك النبالة المثالية التي بين جنبيه، وليس الكتاب الذي بين يديه. ولهذه النبالة فحسب، امن الناس به، وليس لانه يملك كتابا..

¹²³ هذا السبب ابرز ماتوضح وجوديته وواقعته ماأشرنا اليه سلفا من حوارية هرقل مع ابي سفيان عن نبوة النبي في بصرى الشام.

سرقة الدرب

(.. يكتبون الكتاب بايديهم، ثم يقولون هذا من عند الله..)
.. الله يتحدث عن الكهنة
(طالما ان دينك مجرد خدعة، فتم..)

.. الرومي

1

حقيقة جد مهمة، وهي ان النبي هو من جعل الناس يؤمنون بالله، وليس الله من جعل الناس يؤمنون بالنبي. النبي في شخصيته المثالية و نقاء قيمه ونبأته وصدقه ونوع وجوده الجمالي والانساني كان يجعل الناس يقبلون بهذا الاله. ولهذا جاءه بلال وأمثال

نعم بعد ذلك امنوا بالله وكتابه¹²⁴. أي إن الناس امنوا بالله ايماناً بالنبى وحياته الانسانية. وبلال آمن بالله ايماناً بالنبى وكذا أبى ذر وغيره.

وجودية هذا الاس هو عينه ما تنحو اليه صيغة (ان الله ممنون كثيرا لباخ). فالله ممتن كثيرا لغاندي ولصاحب الزنج وفي نفس الحين لابي ذر ولمزدك. ليس لان البشرية احبت الله بهم، وانما لانها بهم احبت القيم الانسانية والجمالية الممتلئة (لالوهيته)، ومنحوا ثقة بخلق الله والانسان ووجوده، ولانهم اظهروا شكلا من الوجود لم يقدر عليه غيرهم. كما فعل باخ في موسيقاه واثرها على الروح الانسانية.

هؤلاء لا يملكون معاجز او كتباً حتى يتبعهم الناس ويصدق انهم الهين..كانت تكفي نبالتهم الخارقة للمالوف في تصديقهم. ومحمد لم ينتمي اليه ابو ذر وبلال، لان بيده (كتاب من ربه)، يثبت عقلا انه رسول، لانهم ليس فلاسفة ولا بلاغيين ولا شعراء، وانما لان بيده (رحاب من قلبه) يثبت انه نبيل. بل لم يكن يهمهم انه (نبى)، ماكان يهمهم هو انه (نقى). لذا الذين عرفوا محمدا كان اصحاب القلوب وليس اصحاب العقول¹²⁵. ولهذا نصر ان الدين كيان قلب وليس كيان معرفة.

¹²⁴ قريبا من هذا الاطار كان روسو يقول؛ تخلص من المعجزات وسيق العالم اجمع تحت قدمي يسوع. إشارة الى طرح البعد الانساني لعيسى دون الاعجاز الكهنوتي.. وانكارا لهذا المنطق الاخير كحجة وحيدة في اثبات الهية النبى.

¹²⁵ حوارى النبى لم يكونوا على شاكلة ابن سينا والفارابى، وانما اميين من قبيل ابى ذر وبلال.

اعتقد ان كلمة النبى عن تبجيل الذى سيؤمنون به اخر الزمان بصيغة(آمنوا بسواد على بياض) تقع ايضا في هذا المجال، لانهم لم يروا معاجزا.

النبى لا يحتاج توقيعا من الله بانه نبى. هو نبى سواء بمعجزة او بدونها، بجبريل او بدونه. لان اليوتوبية الانسانية_ التي تتحرك بها ذات النبى _ غير المألوفة وغير المتوفرة مع البشر عادة، تجعله شخصا معجزا وغريبا لدى الناس. ولكن معجزة ذات لا سماء، معجزة اخلاقية لا كونية. اي ان قدر انسانيته تلبيح حد الاعجاز؛ عجز الناس عن الوصول اليها عادة في تاريخ البشرية، سيما ان اليوتوبيا هي اصلا عبارة عن حلم اخلاقي انساني في عالم لنيم. واليوتوبى هو الفرد الذى تعجز البشرية عن تصور قدر المثل التي يقوم بها. تماما كما هو الاطار السيكلوجي لكلمة اينشتاين ؛ (سيأتي زمن لن يصدق الناس انه عاش في هذه الارض شخص اسمه غاندي، قام بأمر كهذه..)

3

ماريد ان اصل اليه هنا، و أوصل له. هو ان هكذا انسان امنت البشرية بالله لاجل مثاليته وانسانيته لايحوز بكل بداهة قبول خبر عنه، يقول فيه شرا. واعتقد ان هذا المنهج يمكن ان يكفي في نفي كل مرجعية تشريعية للشر ينسبها الفقه الكهنوتي للنبى.

هذا عينه مايقوم عليه الفقه الوجودي وعموما منهجية البحث عن الجمهورية النبوية، إذ لا يلاقي الفقه الوجودي مشكلة في غربة النصوص المدسوسة، كما هي ورطة عموم المعرفة الكهنوتية، لان صحة الخبر في الفقه الوجودي يقوم على (القيمة الوجودية للخبر وليس القيمة التوثيقية له)، ولا القيمة النصية اللغوية. فعلى غير الفقه التقليدي، لا يقيس الفقه الوجودي صحة الحديث تبعا لـ(سنده) وانما تبعا لـ(انسانيته) - انسانيته المتاحة فهما من الجميع، طالما ان القلب اعدل قسمة بين الناس وليس العقل - وكذلك

قياسا على كليات النبي في نمط حياته ونبالتها ومبادئها ولو قبل نبوته. فمن غير المعقول ان الله جعل النبي يقبل سوءا بعد النبوة. طالما ان التشريعات كانت بعد النبوة. إذ قبل النبوة لم يكن محمد يقبل سوءا.. هذا مايتفق عليه هرقل وابو سفيان، قبل ان يتفق عليه ابو ذر وبلال..

هذا المنحى هو مايمكن به الحصول على فهم آخر لمأثور معروف؛ (إذا ورد إليكم حديث فاعرضوه على سائر أحكامنا، فإن وجدتم موافقا لها فاقبلوا، وإلا فلا)، وفهم حدود التحريف به، والافتناع بان اصله كان يشير الى قياس كل ماينسب للنبي والاسلام على كلياتهم الانسانية الاساس.. كما ان هذا المنهج هو روح ماتقوله كلمة النبي المؤكدة صدقة لمنهجي؛ (ما قيل من قول حسن فانا قلته). كلمة فرحت بها كثيرا حينما وجدتها، ليس لانها تؤكد مذهبنا اليه منهجيا. وانما تؤكد هذا الاصل الانساني في النبوي. واعتقد ان شيئا من هذا المنهج وروحه هو الذي جعل ابا حنيفة لايقبل الا سبعة عشر حديثا فقط عن النبي في روايات الكهنوت.

الفقه الوجودي يبدا من الوجود وبديهياته الى النص واشكالياته لتحكمه وليس العكس، سواء في وثاقته او في دلالاته. ليس فقط من جهة ان انماط الوجود ملهمة لاشكال التفكير. كما رأى نيتشه. أو ان فهم الشريعة لا يتم منعزلا عن الوجود. وانما لان الوجود هو الذي يحمل بديهيات القلب في الجميل والقبيح والصحيح والخطا والحق والباطل، بشيء من نظرية الحسن والقبح الذاتيين¹²⁶. لذا فالفقه الوجودي يتأسس على ديانة القلب. وفيه فروع الدين تتبع اصول الدين. ومشكلة فروع الدين وفقهه هو انها بعيدة عن اصوله. ولكن ما يهم التنبيه عليه هنا هو ان اصول الدين هي المبادئ الاخلاقية

¹²⁶ لأسماها الحسن والقبح العقلين كما المعتزلة لان القلب يستقل برؤية الذاتيات حسنا وقبحا وليس العقل.

وهو مايتواءم مع ديانة القلب.

العامة التي تتفق عليها البشرية في الخير لاغير، وليس خماسية علم الكلام. اي انها مبادئ انسانية وليس لاهوتية.. تتعلق بالانسان في حياته وليس بالله في كونه.

4

تبعاً لذلك في قياس الاحاديث على كليات النبي وشخصيته الحياتية.. اعتقد ان النبي الذي يقول؛ (ما آمن بي من نام شعبانا وجاره جائع)، يملك من المثالية في ايدولوجية الايمان، ما لايمكن ان يقبل تشريد الناس وقتلهم وسبيهم واستعبادهم وامتصاص خيراتهم¹²⁷.. فلايعد مسلما هنا لدى النبي من يقبل بجوع الاخر، حتى وان صلى وصام وحج، فكيف سيكون لديه من يقبل او يقوم بقتل الاخر واستعباد اولاده والتسري بزوجته؟.

لامناص هنا امام الكهنوت؛ اما ان يكذبوا هم انفسهم، او ان يكذبوا النبي.. اعتقد انهم لايعبأون.

الايمان هنا في نص النبي(ما آمن بي)، هو بكل وضوح امر وجودي حياتي في نوع التعامل مع الانسان وليس مع الله.. كما يتوضح هنا ان (الايمان) في جمهورية النبي هو مبادئ اخلاقية وقيمة انسانية وليس عبادية..

هل الاسلام الذي يعرفه النبي؛ (افضل الاسلام هو نشر السلام بين من عرفت ومن لم تعرف) وان من أسسه؛ (لن يدخل الجنة من احدث ضررا لغيره). هو عينه اسلام كهنوت السبي والقتل والغنيمة والاستعباد والجواري.

ليس لدى النبي هنا؛ لايدخل الجنة من لا يصلي او يصوم او يجاهد او يحج او من يشرب الخمر او نزع الحجاب، وانما من يؤدي الاخر فحسب. هذي هي وجودية الرسالة

¹²⁷ وهو الامر الذي آل الى جوع العالم الاسلامي طوال كل القرون. وليس كما هي الكذبة الشائعة للتاريخ في ان القرون الاسلامية كانت مترفة. لانه ترف مع الحكام والارستقراطيين فحسب. اما الجماهير فكانت على جوع مطلق وكل التواريخ تتفق برواية ذلك ولكنه الكهنوت لايقوله.

المحمدية وهي عينها العيسوية ومع كل المثاليين، بل بهذا الاتجاه وهذا النتيجة يمكن ان نفهم توحيد الاديان، طالما اننا لانقيم الدين على الفروع والعباديات والقطوس وانما الاخلاقيات والانسانويات فحسب.

كان ابن عربي يقول؛ (من كمال الرجل أن يحسن إلى أعدائه).. بلا شك كان النبي يحمل مثالية ونبالة ابعد من ابن عربي بكثير. فكيف يُشرع الكهنوت عن النبي انه يقول بالسبي والقتل لاناس امنين في ديارهم لم يتعدوا على المسلمين وبعيدين عنهم اصلا. بينما ينكر ابن عربي الاساءة حتى للاعداء. إذ بلأزم ذلك سيجعلون من ابن عربي افضل من نبيه، وهو مالا يمكن ان يقوله الكهنوت. علما ان ابن عربي يقبل فقها حكم الفتوحات واستعبادها وقتلها رغم انه يقول بتلك الكلية الاخلاقية مع الاعداء. وهذا الامر ايضا من فضائح البنية الكهنوتية مع عين الاخلاقيين الاسلاميين.

كل الاتجاه الانساني اسلاميا وبالذات المتصوفة وعموم اليسار الاسلامي كانوا يرون عدم الاساءة للعدو من اسس الهوية الايمانية. اقلها ان المحدد المدرسي الاول معرفيا للهوية الاسلامية جعفر الصادق قبل ان يُدس عليه الكثير - سيما من تابعيه والمدعين مذهب - كان يقول؛ (من صفات المؤمن انه لا يظلم اعداءه). والنبي جده ومدرسته ابا عن جد. اعتقد انها صفة تنتسب الى المثاليات التاريخية في الحرب، بينما يبارك الكهنوت تاريخ جحافل المسلمين التي سلبت ونهبت شعوب آمنة. بل يعتبرون ذلك تفضلا، لانهم يجرون الناس الى الجنة بالسلاسل. حسب الحديث المدسوس.. ما اتعسها من جنة تاتي بالاستعباد.

5

النبي، حتى وان تركنا انه "لناس كافة" قرآنيا، فهو بكل الاحوال ليس بطلا قوميا، بل حتى ليس بطلا الهيا، يدافع عن إله، وانما بطلا انسانيا يدافع عن القيم الانسانية سواء اتى الله وجبريل له ام لم يأتوا، هو هو محمد. وانسانيته هي انه ضد الظلم وحسب ؟ فبلال لم يكن من قوميته ولا من عشيرته ولا من بشرته، وكان يحارب كل عشيرته قريش لاجل قيمه في الاسود والابيض. لذا فالنبي لايفرق بين القوقازي والمصري ولا بين قبيلة جنكيز خان وبين قبيلة بني تميم. والا لن يكون نبيا. بينما الكهنوت جعلوه بطلا قوميا مع الفتوحات. والقوم هنا هم المسلمون وليس العرب. بعد ان غدت القومية مفهوم جماعة وتاريخ، وليس لغة وارض.

من غرائب الكهنوت هو أنه حينما يمر على كلمة النبي؛ (يُعْثُ الى الاحمر والاسود) يكون تفسيره لها بكل بساطة، ان كلمة احمر تشير الى الناس، والاسود الى الجن.. ليبين فضيحة المعرفة الدينية وسذاجتها، وأيضا لاشعورها الطبقي هنا. ورغم انه تفسير مضحك لاعتماده على مخيال العربي في ان الجني اسود، دون وعيه ان باقي الشعوب تراه احيانا اشقر. ولكن مايهم تحريفا هو ان ما أرادوه من هذا التعسف المخزي في تأويل الحديث هو ترسيخ الحق المطلق للاسلام على الكل على عكس غاية الحديث تماما، لانه يريد ان الاسلام جاء من اجل الكل لايفرق ولايميز بين احد وآخر، وان مسؤوليته الجميع. فالمفروض ان الحديث يتكلم بوضوح عن اممية النبي ومجيئه لاجل سعادة الكل، دون ميله لعرق او لون.. هكذا كان الكهنوت يسرق مبادئ النبي ويلعب بها ويضيعها ويهدرها في مواخير المصلحة بأسم المعرفة.

النبي الذي قاعدته الاخلاقية (أذل الناس من اهان الناس). يجعله الكهنوت مؤسسا في شرعه لاقصى الهوان مع الاستعباد والسبي وهتك الاعراض وذلة الازواج امام الزوجات،

وهم مستعدون ليس بيدهم حول أو قوة. بينما يروي عين تاريخهم بان رجل مسلم يقال له عثكن حينما نعت عمار ابن ياسر بابن السوداء، طرده النبي من عين الاسلام، وقال حينها كلمته الكبيرة دلالية؛ (قد أقلتك اسلامك فاذهب¹²⁸). فكلمة (أقلتك) هنا تفتح وجهة وجودية للاسلام والانتماء له، جد مفارقة لما هو مألوف. فالنبي لا يستطيع ان يقلل احد من ايمانه وعلاقته مع الله، انه شيء ذاتي جواني داخلي. ولكنه يستطيع ان يقلل احد من جماعته. لان الايمان ليس رتبة عسكرية يلغيها وزير مقرب لملك. لذا فالاسلام جماعة، اما الايمان فشيء اخر. إذن يمكن ان يكون بوذا مؤمناً ببوذا ويلتزم بجماعة محمد والاسلام اكثر من عين المؤمنين بالله واحد احدا. والكلام يتيه في ذلك، لذا نتوقف افضل.

6

لا يمثل الايديولوجيات سيما الدينية والاخلاقية الا الكليات (المبادئ الاس) فيها، كيقين وحيد لهويتها الاصل إزاء الجزئيات التي تبقى لعبة معرفية لتمرير الكثير من صلاة الكهنوت المتوضئة بخطايا التاريخ.

الكلية المعرفية لا يمكن نفيها أو نسخها كما هو ديدن الكهنوت معها في معارفهم اغلب الاحيان، لانها لا تنسخ الا بنسخ الايديولوجيا كلها. اما ان نفتتح بها أو لا. إذ لا تبقى الايديولوجيا هي عينها بعد نسخ كلياتها.

¹²⁸ صحيح مسلم ج1، ص 481. السيرة الحلبية، ج 2، ص 312 .

من جهة اخرى، لا قطع هنالك الا للكلية الوجودية، لانها تكاد تبلغ مرقى البديهية، ليس لانها متصلة بالتجربة الحياتية والشعورية، على عكس الكلية التجريدية في انها نظرية فحسب. وانما لانها شفافة واضحة لاتحتاج الى معرفة؛ فقتل الناس الامنة شر بديها، حتى لو قال جبريل بعكسه، فحينها يكون جبريل عينه متهما، قد يكون حينها وقع بما وقع به ملكا بابل. حينما لم يرجعوا الى السماء. سحرتهم فاتنة او جندهم حمورابي لانعرف. انها أوارق كهنوتية.

كل هذا لان الانسانيات بديهيات لاتجتأحها المعرفة، سلبا او ايجابا. يجتأحها القلب فحسب، لانها معرفة وجدانية. لذا يتساوى فيها العجوز وافلاطون، ولطالما تكون العجوز اولى من افلاطون فيها، سيما إذا أدخلنا مشكلة ان العلم حجاب. فهذه الكليات يشعر بها الجمهور مطلقا كقيم ذاتية متفق عليها اتفاق ضمائري، يدركها سانس الحمار ومؤسس الاقمار على حد سواء.

مثلا، الكلية التي تحملها اية (ان الله لا يحب الفساد). حتما تمثل منطقاً لطرف اخلاقي. بوضوح كلمة فساد بدنيا - لذا فقبولها يكون لذلك وليس لانها قرآن أو لان الطرف هو الله - وان هذا الطرف الذي قالها لا يقبل سلب امرأة لجسدها واستعباد اولادها وقتل زوجها، لانه فساد لا يضاويه فساد. لذا بالتاكيد هذه الكلية عينها تكفي للقطع بنفي نسب الفتوحات لله كونها من اكبر عمليات الفساد تاريخيا. الا اذا غدا القتل بطولة وليس فسادا فحينها يمكن للكلية ان تعتذر من المعرفة.

وهكذا فالكليات النصية لا ياخذها الفقه الوجودي كنص كهنوتي ديني، اي نص متعبد به، كما هو المعتاد من قبل الكهنوت عموما، وانما كنص وجودي محايد، ومبادئ

انسانية عامة فيها حقها وباطلها، وليس دينية تعبدية تؤخذ طاعة للدين او تواضعا للعلم الكهنوتي.

7

اعتقد ان ايدولوجية النبي لا يُعبر عن ألمها مسبقا مع هذي الفتوحات إلا آية ؛ (انا بريء مما تجرمون). سيما ان هذه الآية هي كلمة خطاب لرفاق ايدولوجيا وليس لاعداء. لان الاعداء لا يحتاج الى البراءة منهم اصلا. فاذن هذه الآية تعبر عن اشكالية خيانة ايدولوجيا، لذا فهي تصلح للكهنوت. كما انها تحمل قسوة تعبير ؛ (تجرمون).

الكلية الاولى والاساس التي تفصل في كل كذبة الكهنوت مع تشريع الفتوحات، هو كلية النبي الحاكمة على كل الايدولوجيا الاسلامية والتشريع الاسلامي على حد سواء والمتمثلة بقاعدة تحريم الضرر (لا ضرر ولا ضرار في الاسلام). قاعدة تمثل الروح الاولى للايدولوجيا الاسلامية الحاكمة على قيمة الفعل الانساني. لذا فهي تمثل روح الوجودية الدينية معنا. والتي تعني بكل بساطة؛ ان كل تشريع ضرري على الانسان هو لا ينتمي الى الاسلام، لامن قريب او بعيد. وبما انه لا جدال في انه ما من محنة توازي في ضررها احتلال الشعوب واستعبادها، وقتل الناس وسبيهم في الفتوحات. حينها يكفي وحدها للامر، لانها كلية ايدولوجية لاتقف امامها منهجيا كل التاريخيات. باعتبار ان التاريخي يوازي الشك مطلقا.

رغم ذلك الاكتفاء، يمكن البدء براحة بالكلية القرآنية للنبي (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) كونها كلية عرفية لا فلسفية، الكل يعيها، كما انها ايضا تمثل الكل الرسالي.. اعتقد ان كل ما حصل في غزو الفتوحات لا يختلف على وصفيته اثنان في انه نقمة

لارحمة. فمثلا ان امرأة مسيحية او بوذية تعيش هادئة البال مع عيالها واهلها وجيرتها وقربتها، يُقتل زوجها وتفرق عن اطفالها وبيتها وديارها، ليكبر الاطفال مستعبدين في بيت جندي مسلم ولتجبر هي على متعة اجسادهم. أهذه رحمة زفها الله لها؟. بحجة انها تتعبد بدين اهلها وليس بدين الاسلام.. هل الله يقتل من لايعبده. لا اظن احدا يريد ربا هكذا حاله.. بل حتى ان كانت تلك المرأة ساقطة وملحدة، هل تستحق ذلك عقلايا، ناهيك عنه اخلاقيا.

لامجال مع هذه الكلية، واحدة من ثلاث ؛ اما ان يُنكر انها اية للنبي او ان النبي يسير خلاف الله، أو ان يعترف الكهنوت ان السبي والغنائم والقتل والاستعباد والجواري والعبيد وكل الفتوحات لاتمت بصله الى التشريع النبوي... او لنقل لامجال؛ اما ان الله يكذب او الاسلاميين، لانهما على تعارض تام. كما لا اظن ان محمدا صاحب القرآن وحمولته يقبل ان تكون تلك الفتوحات ممثلة لآيته تلك. بل حتى وان كان فيلسوفا وليس نبيا فهي تناقض ايدولوجي. فكيف والنبوة هي منطقة مبادئ لا معرفة. إذ يمكن ان يخطئ افلاطون من اجل اثينا، ولكن لايمكن ان يخطئ محمدا من اجل مكة¹²⁹. فمكة وسمرقند سواء لدى النبي في جمهوريته.

8

¹²⁹ جمهورية افلاطون كُتبت اصلا من أجل اثينا وتقليدا لاسبارطة، حسرة على وطنه ضد الاوطان الاخرى. فهو يؤسس للاستعباد ولكن حينما يصل الامر الى اليونان، يندد باستعباد اليونان لليونان. هذا المنطق نفسه كان لدى المسلمين، وبدأ حينما جلب احدثهم سبيا من العرب، فاعترض احدثهم ورد هذ السبي وقال كلمته؛ اني كرهت ان يصير السبي سنة على العرب..

الهوية الايمانية تتعدى الى ما هو ابعد مثالية في ايدولوجيتها من الرحمة، بحيث يكون الفرد فيها مسؤولاً عن انقاذ المظلومين من الطغاة، الى حد يكون على المؤمن الموت لاجل المظلوم وسعادته وحريته، وليس قتله وسلب ارضه، والترفيه بماله كما هو في غزو الفتوحات. كلية ذلك المبدأ المثالي هي (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ اهْلِهَا...). بينما ماحلله الفقهاء هو عكس ذلك تماماً. اخراج المستضعفين من الشيوخ والنساء والاطفال من ديارهم وقتل رعاتهم باسم الله ودينه ونبيه.

هؤلاء المطلوب الموت لاجلهم في الآية هم مستضعفين، يعانون من امر وجودي هو الظلم وحسب، ولا يعانون من مشكل لاهوتي في خطأ دينهم. لذا اي تبرير كهنوتي في تصحيح دين هؤلاء هو حكم مسبق سفيه يمنعه مبدأ قرآن الكهنوت نفسه في انكار تدين الناس جبراً؛ (أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين). وهي كلية عتاب قاس لا يمكن تجاوز وضوحها. والمعرفة التي تأول هكذا كلية، انما معرفة تسخر من اللغة ومن المعرفة ومن مفهوم الكلية.

9

ثلاث نصوص كلية قرآنية، تضع اسسا في تحديد العلاقة مع المجتمعات المختلفة ايدولوجيا، دينيا.. نصوص لا تعتمد في فعل العلاقة الا على منحى وجودي في انسانويات السلم والاعتداء لاغير، بعيدا عن مفهوم الدعوة والاله ونوع الدين والهداية والضلال، أولها؛ (... فَإِنْ اغْتَرَلَوْكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا)، فليس لكم عليهم حق طالما انهم مسلمين لامسلمين، مهما كان دينهم، او حتى ان كانوا وثنيين.. واختارها لوقا لتأول في سبيل الله الذين يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ

لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ }، لايجوز اطلاقا قتال الا من يقاتلك/ يبدأك بقتال. وعلى هذا يقوم مفهوم الجهاد الحقيقي لجمهورية النبي، وليس الذهاب الى اناس أمنة في بيوتها لم تتعد على احد، كما هو فعل الفتوحات وكهنوتها.. والثالثة (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرَوْهُمْ وَتُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ). حتى وإن لم يحسن اليك، طالما انه لم يؤذك، يكون الاحسان اليه قيمة اخلاقية للهوية الاسلامية. بينما ننظر الى بنية التفاسير الكهنوتية وبنيتها مع الدلالة القرآنية المسالمة وتشويهاها لاجل التوحش. مثلا حينما يأتون الى آية؛ (وقولوا للناس حسنا). يقولون انها (نزلت في أهل الذمة فنسخها قوله: " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ". فمن كان منهم في دار الاسلام فلن يقبل منهم إلا الجزية او القتل وذرايرهم سبي)¹³⁰. هكذا يلعب الفقه بالنبي والقرآن ومبادئهما بكل عهر رغم كل الوضوح. فبأي شيء يمكن ان يوثق بهكذا معرفة دينية.

مايهم اكثر هو آلاية الوجودية؛ (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ). حيث العلة الاولى في الاذن بالقتال، هو (اخراج الناس من ديارهم). والكهنوت عينه يؤكد ذلك بان هذه الاية مبرر وعلة نزول اية (إِنَّ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بَانِهِمْ ظُلُمًا).. هنا يخطو النص القرآني بوضوح مع وجوديته. حيث كل الالم القرآني والمبرر الوحيد في حق القتال هو الاخراج من الديار بغير حق. بل ان الاخراج لاجل العقيدة هو

¹³⁰ تفسير القمي علي ابن ابراهيم القمي ج 1 ، 321.

العتاب الاكبر؛) الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله). إذ أُعْتَبِرَ هنا اخراج الناس لسبب لاهوتي هو الاسخف دناءة. والغريب هو ان خطئية ذلك واضح دينيا لعقولهم، حتى وان لم تتضح انسانيا لقلوبهم. بينما المسلمون ليس اخرجوا الناس من ديارهم فحسب، وانما قتلوا وسبوا ويتموا ورملوا. وبمبرر ان الاخر يقول بدين اخر.. آه من احجار المعبد لكم كانت كافرة..

10

(ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا..) تهمني هذه الاية كثيرا هنا. لانها تملك عدة مستويات، لا تأويلات. والفارق بينهما هو ان المستويات من الدلالة تنتمي كلها للنص، وليس واحدة منها فقط، كما هو شأن التأويل، في ان واحدا فقط من مجموع التأويلات يصح دون غيره. احيانا تكون المستويات جهات في النص، وحيانا تكون اعماق. وحيانا لا يضبطها شيء، لان اللغة وجودية وليس اعتبارية كما ليس وضعية قصدية¹³¹.

ما هو متوفر في تفسيرها كهنوتيا، هو انها تعني وجوب الاخذ بالظاهر دون الحكم ما وراء ذلك، بمنطق كلمة النبي؛ (هل شققت عن قلبه)، مع حادثة تتعلق بالاية نفسها. وبالتأكيد يبقى الخلف يتبع السلف بهذا التفسير، الذي ينسى كثيرا ما يخجله.

اما وجوديا مع المستويات، والتي لم يقل بها المفسر التقليدي، فهي؛

المستوى الاول والعادي والواضح للنص كمقولة عتاب، هو ان لا يتخذ الايمان ونوع الدين حجة في التعدي على الاخر وايدائه. ولكن الخفي مع هذا المستوى وغير العادي، هو تقرير (ان السلام اكبر من الايمان). السلام وليس الاسلام. وهو اهم ما يمكن ان نقرره هنا، سيما ان اهميته تبرز في انه عين الاس المركزي الذي تقرره المذاهب البوذية المسمى (اهيستا) في عدم الايذاء للانسان. لا بل هو الموازي الكامل لمبدأ (لا ضرر ولا ضرار) اسلاميا، كمركز للتشريع الاسلامي، بالنفي المطلق لاي حكم يكون فيه ضرر يلوح الفرد، أيا كان الفرد، كافرا او مؤمنا.

المستوى الثاني من النص، ينضح عنه تقرير (ان الانسان المسالم مؤمن)، مهما كبر الحاده ونفيه لما وراء السماء. ومبدأ السلم في داخله هو الايمان عينه، لان ما يهم في الايمان ونوعه هو الايمان بالمبدأ وليس بالذات الالهية. وهو المستوى الاكثر وجودية من كل المستويات والاكثر قناعة لدينا في دلالة النص. لذا المخاطبون في اية (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا)، كان قد نفى ايمانهم قرآنيا ليس لجهة عقيدية، في عدم صدق الافتناع بالاله، كما هو في التفاسير، وانما لجهة وجودية حياتية شخصية في اخلاقهم، اي لانهم لا يحملون سلوكا انسانويا. وهذا عينه يؤكد نكتة سالفة كانت اكثر من مهمة. وهي ان الدخول للاسلام كان دخولا للجماعة وليس للدين. والمسلمين ليس هم المؤمنين. انهم جماعة فحسب. واعتقد ان الامر واضح في اني اقصد انهم ليس جماعة عقيدة. وهذا اهم ما يراى هنا.

المستوى الثالث الناضح عن النص؛ لوجود الدعوة الایمانية للناس، وانما هي دعوة السلام والحب. وهو ما ينفي فكرة الداعية والدعوة.

¹³¹ الكلام في ذلك أسلف في اول الجمهورية.

لذا جل مشكلة التاريخ هي الداعية، الكاهن، الفقيه. وهو عينه ماجعني اقول سلفا
برمزية؛ ليس المشكلة ان تكون حمارا، المشكلة هو ان تكون نبيا داعيتك حمار.

فهل يأتي الله الى الناس، بطريقة؛ اما ان يؤمنوا به او القتل. كما هو فعل الدعاة..
كيف قبل العقل الاسلامي هذا المنحى لله. اعتقد ان هذا الامر لا يحتاج الى نبي وانما الى
سفاح. فلماذا ورط به محمد اذن، وهو شخص اخلاقي. فليُكلف به ابا سفيان لانه
سيكون اكثر نجاحا فيه من محمد. بل لذلك نجحت الفتوحات لان كهنوت ابي سفيان قام
بها. بل اقطع لو كان الامر كذلك، لرفض محمد النبوة نفسها.

سرقة الدم

2

اعتقد ان كلمة البيركامو؛ (أما أن تقام معسكرات العبيد تحت راية الحرية، وان تبرر
المجازر باسم الانسان او بالميل الى انسانية متفوقة فهذا لعمري مايغيي..). هي
الوحيدة التي الزم الصمت معها اتجاه الكهنوت في تشريعه للاستعباد والسبي والقتل باسم
الهداية وانسانية جديدة. لانه امر يعيني فعلا. هذا هو اسلام الدعاة في عمق فضيحتة
الاولى؛ يقتل ويستعبد ويسبي بعنوان الرقي والاتجاه بالانسان الى أصله الالهي. بل
خطأهم ليس لانهم بغاة لا دعاة، وان عين مفهوم الداعية هي كذبة دينية، تأسست عن
لاشعورية سياسية/ كونه فردا سياسيا وليس اخلاقيا. وانما لان عين الدعوة لله نفسه
عباديا مهما كانت نقية وصادقة فهي بذاتها خطأ، لانه حينها هو ايضا يدعو الله كحاكم
بيده النار وعقابها، وليس كرمز للخير والحق والجمال. يدعو اليه كعبودية سلطان جلال
بنار، وليس كقيم اخلاقية ومثاليات انسانية.. بل مهما كان بعض الدعاة زاهدين فهم
بكل الاحوال سماسرة لإله، يدعون لسلطته. بينما كان الله يريد لهم للناس. و هكذا خُنق
المعبد وجرح التاريخ.. وسُرِق الله.

(اجل شرّدي انا كما شرّدت إلهي..)

.. طاغور

(لم أَعُدْ بالشهادتين مسلما..)

.. الرومي

1

الم يكن الكاهن مشكلة الدين؟. الم يكن الدين مشكلة الانسان؟. اقلها، مانضمه هو
ان المعبد مشكلة التاريخ.. اراد التاريخ ان يمشي الانسان بعشقه، فخدعه الكهنوت
بمشي المعبد. ومنذ اليوم الذي ترك الانسان العشق لاجل المعبد، اصبح قاتلا، وليس
مصليا.. وفي عقيدتي انه لم يُصلِّ احد من المصلين قط، الا من حمل قلبا استطاع ان
يسمع به آلام الناس اكثر من آلامه. وفرح بسعادة الآخرين اكثر من نفسه.

هذا المنحى مع الدعاة، يجعلني اضمن ان عيسى فعلا قد قال هذه الكلمة؛ (اذا هديت شخصا رُبي على دين اخر، فانك تفسد اخلاقه). لانها فعلا تنفي مفهوم الداعية المعبدية من اصل، بتحويل الانسان من معبد الى معبد. فهم هنا، سماسرة الهة وليس دعاة انسانية. لذا عيسى لم يقبل من تابعيه ان يتحولوا من اليهودية الى منحى اخر، كما يؤكد باحثي تاريخه. فقط اراد من قلوبهم ان تحمل قيما اخرى غير مانتتهت اليها معابد موسى.

علما ان الفتوحات في عين تعريفها اللغوي؛(حروب تبشيرية) يكفي في فضح حقيقتها وانكارها- دون الحاجة لجدل نظري- لاستحالة اجتماع الحرب كشر بالتبشير كمنحى ديني اخلاقي. أي لان لغتها في ذاتها تفرض خطأها. وهو عين الامر في استخدام مفردة جهاد للتبشير. فكلمة جهاد- ناهيك عن كلمة غزو- عينها لاتمت بصلة دلالية مع كلمة تبشير الا في التضاد. لانها تخص رد معتدي على ديار وحق، وليس الذهاب الى اناس امنة مسالمة. بل ان كيرجارد حينما كان يئن؛ (انها وسيلة رديئة تلك التي نقود بها الناس الى الدين المسيحي). كان انينه على المنحى الوعضي الزائف في الكنيسة لعين المسيحيين، وماكان من تشوه له في ذلك. فكيف إذن بوسيلة المسلمين في التبشير مع غيرهم قتلا.

.. هنا تأتي حسرة الله؛(ويمنون عليك ان أسلموا..).

3

فرق كبير بين ان تعترف بالله، وبين ان تؤمن به. وعمل الدعاة كان هو فرض الاعتراف بالله، وليس الايمان به. إذ كثير من الحكام المعاصرين يفرضون على معارضيتهم

الاعتراف بهم رسميا. ويعترفون رغم انهم على الضد منهم، تماما كإعتراف غاليلوا على عكس عقيدته بمركزية الشمس مجبورا بنار الكنيسة. كذلك كان يعترف افراد الشعوب رسميا بالله مجبورين بسيوف الفاتحين، والا فالقتل او الجزية أوالعذابات والاسترقاق، طالما ان فقه الحروف يقول بدس على النبي؛ (امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لاله الا الله، فمن قال ذلك فقد عصم مني ماله ونفسه).¹³² اعتقد ان هذي البنية للمنطق الفقهي تكفي في الاعتقاد بانه ليس هنالك علما او عقلا اسلاميا اصلا. طالما انه يقتنع بهكذا منطق.

سأهمل كل منحى عقلي كعلم كلام، في تسفيه منطق الشهادتين. لان الامر بسيط، ولايروقني في ذلك الا بساطة سخرية الرومي، وبكل وجودية؛(لم اغدو بالشهادتين مؤمنا). فالعقيدة قلب مخمور بمبدأ، كما المخمور بالعشق. وليس كلمة يلوكها اللسان لتدونها السماء. فالسما لا تدون الا القلوب..

أذكر عن امرأة ليل جيدا، كانت لاتقبل ان تنطق كلمة احبك عبثا لمُتيم بها، لانها ترى تلك الكلمة عقيدة، لاتقولها حتى تشعر بها. وحين سخر من كلامها احدهم لانها عاهرة، اجابته؛ (القلب ليس كالفرج في قبوله أيّا كان. القلب لايقبل الا مايشعر به. وانا عاهرة في فرجي وليس في قلبي..). علما ان الفقهاء في فقه الزواج جعلوا القلب كالفرج تماما يقبل كل شيء. فيقبلوا تزويج من لايقبل قلبها.

4

¹³² هذا الاعتراف قائم على النطق بالشهادتين، كبوابة للانتماء الديني، الاديان الاخرى افضل طقوسيا في ذلك، كما هو شان التعميد والختان في المسيحية واليهودية.

مايمكن اختلاسه بأهم من سالفاتها من اخفاءات التراث، لنفي هذا المنطق التعسفي للفقهاء في حلية القتل والسبي والسلب والاستعباد لاجل الشهاداتتين، هو ما يخفيه الكهنوت ويتجاوز في موقف الامام علي ابن ابي طالب وقصته في الامر. رغم انه بالاتفاق، افقه الأمّة معرفيا بالدين. او لنقل من باب دليل سيرة المتشركة، إذا ما أخذ دليلا خامسا للاجتهاد، إذ ان ابرز سيرة متشرك بلا منازع هي سيرة علي ابن ابي طالب. سيما انه المركز الاساس المحدد لمفهوم المثل في الدين الاسلامي لدى حتى العلمانيين ومن الاديان الاخرى.

فمما يلفت بشدة هو ان هذا الانسان لم يشارك في فتح قط، منذ ان بدأت. والمثال المباشر الذي تنقله كل التواريخ هامشيا، هو ان الخليفة وملاؤه اختاروه للقادسية وقيادة جيشها، لقرارهم ان لايقود القادسية الا خبير حرب¹³³ كما هو الامام. ولكنه رفض رغم ترجي القوم له وعلى رأسهم الخليفة. الم يتسأل احد لما ذلك وهو علي الذي لم يعرف انه انكر حربا للدين اطلاقا، وان معارك النبي ومخاطره قامت بسيفه، بل ان الجماعة الاسلامية الاولى لولا سيفه لما بقيت اصلا، سيما في الخندق، ولسار فيها التاريخ بمنعطف آخر.

¹³³ مروج الذهب، ج2، ص309. ايضا التاريخ ينقل انه حينما استشير الامام علي وبعض مقريه في غزو افريقيا، ورفضوا. كان مبررهم؛ خوفا ان تقع افريقيا في ايادي تسيء الى الاسلام ليس الا. الفتوح لابن اعثم، ص126..

بعيدا عن كل ذلك في جدله الكلامي وعن اي وجودية انسانية ومسألة القلب في تحسينه وتقبيحه. الا تفصح تاريخيا وكسنة - على اعتبار ان وجوديات علم الكلام لاتجدي كهنوتيا- قصة الوثيقة التي جمعت النبي وجماعته بيهود المدينة، وهي اكثر من مشهورة في التراث الكهنوتي. إذ حينها لم يجبر النبي اليهود على ترك دينهم ولم يحاربهم على ذلك، فكانت الوثيقة تنص بتوقيع النبي على انه (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم)، ولم يطلب منهم ترك دينهم ولم يخبرهم بين الشهاداتتين او الموت، او الجزية.. بل ما هو اثقل في دلالاته هو ان النبي يكتب في الوثيقة (ان يهود بني عوف امة من المؤمنين)، وكذا الامر مع يهود بني النجار وبني الحارث وبني الاوس.. وفي هذي الكلمة بعدا كبيرا. فهم لديه امة من المؤمنين وليس كفارا تعايش معهم لظرف ما. علما ان قوله هذا ليس له دخل باي بعد لاهوتي. وهو الامر الاهم مع الوثيقة لانها كانت بعيدة كل البعد عن المسائل اللاهوتية، لقيامها فقط على مفهوم الظلم والعدل المدني لذا كان استثناءه عن هذه العناوين منحصرا بامر وجودي متعلق بالاساءة وليس ببعد لاهوتي تعدي، وهو؛ (الا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته). ولاشأن لمثّته وقومه بذلك. وهذا الامر - فيمن ظلم وأثم - يشمل المسلمين وليس اليهود فقط.

لم يكن اليهود، لا اهل ذمة، ولاجزية، ولاغيرها. بل؛ (وان اليهود ينفقون مع المؤمنين مادامو محاربين). وهذي الفقرة ليس اهميتها ان الاتفاق متساوي بين الجمع الذي يعيش على هذه الارض بعيدا عن العقيدة، ليس لان الاتفاق أصالة على المسلمين، وعرضا على اليهود. وإنما لانه اتفاق من اجل الجهاد ضد معتدي يحاربونه سوية. فان كان القتال والجهاد من اجل هداية الناس للاسلام وليس لرفع الظلم، فلايمكن ان يقول النبي ذاك النص، إذ لايعقل من اليهود ان يحاربوا في صف المسلمين كي يصبح الاعداء مسلمين. إذن الكلام هنا عن معتدين غزاه فحسب.. اما كلمته فيها؛ (لليهود الذين يتبعونا). لاتعني الاتباع الديني بكل بداهة، وانما الموافقة على المبادئ الحياتية المدنية للجماعة وليس المبادئ العبادية.

كل التواريخ لم تسأل لما هذا الامتناع، الكل قفز عليه. كما قفزوا على علة ان كثيرا من الاتجاه اليساري الاسلامي كانوا لايقبلون حتى المراقبة بالثغور ولا حتى دفع المال لذلك¹³⁴. جعفر الصادق وابو حنيفة يحملان هذا الموقف ايضا.¹³⁵ و ما ليس غريبا هو ان الشيعة تقول بعكس الصادق، والسنة أيضا يقولون في ذلك بخلاف ابي حنيفة. رغم ان معارضة ابي حنيفة للسلطة والكنهوت - وإعانتته للثورات الداخلية وفتاواه فيها، وعموم فتاواه الخاصة دفاعا عن طبقة العبيد ضد السلطان والكنهوت - سببها هو ان الكهنوت وسلطانيته أخلوا ذاك المنحى من القتل والسبي والسلب، وظلموا الناس وجوعوهم، بمبرر الشهادتين. لذا فأبو حنيفة لم يكن كهنوتيا ولم يكن إتباعيا في المعرفة. عاش متمردا في الكهنوت ومعارفه، ومات متمردا على السلطان ودينه .

6

الله ايضا يتحسر على مايكتبه الكهنوت بإسم الدين.. (ويل لهم مما كتبت ايديهم..).

¹³⁴ التهذيب ج6 ص134. زيد ابن علي وكثير من المتصوفة يرفضون ذلك بقرائن يطول هامشها، ناهيك عن احفاد النبي الحسن والحسين وآخرين، لم يقبلوا فتحا ولم يشاركوا قط. وما قيل عن مشاركتهم في فتح جرجان فهو مفند في كتب التحقيق على اتم وجه.

¹³⁵ ينقل التاريخ في زواياه التي اغفلت عن احد تلاميذ جعفر الصادق وهو عبد الملك بن عمر ان الصادق قال له: (مالي لاراك تخرج الى هذه المواضع التي يخرج اليها اهل بلادك.. فاجاب تلميذه؛ انتظارا لامركم والافتداء بكم.) التهذيب ج6 ص134. اعتقد ان الجواب يشير بوضوح الى ان هذا التلميذ يقول للصادق لانك لاتقبل بذلك. بالتاكيد كان هنالك معرفة واضحة بالرأي الراض من قبل تلاميذه سلفا.

.. افضل مايكذب به الكهنوت في تبريره شرعية الفتوحات كدعوة دينية هو ما تردده كتب الاسلاميون من دعوى؛ (ان المسلمون أرادوا من الفتوحات إزالة الطغاة وفتح الأبواب أمام الشعوب لترى نور الإسلام، وحين إزالة الظلم والطغاة يُتركوا أحراراً ولا يُكرهوا على شيء، بشرط ان يحافظوا على عهدهم مع المسلمين والذي كان يشمل في بنوده.

أ- أن يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

ب- أن لا يكون لهم مكان في بعض الوظائف كالجيش.

ج- أن لا يكونوا جهة معادية للإسلام في شعائره أو عباداته أو شريعته.

د- إذا غير أحدهم دينه السابق، فلا يقبل منه إلا الإسلام.¹³⁶

هنا اقتنع ان الفلاسفة الحقيقيون يضحكون كثيرا، ولكن ليس لهوا، وانما من سخافات المعرفة. لانهم اكثر من يروها. إذ ماذا بقي من الطغيان وهذه البنود هي امه بمحالبها وعهرها وفضيحتها. اعتقد انها دعوى لاتستحي من نفسها، بوضعها قمة المثالية (إزالة الطغاة وترك الناس لحريتهم)- والتي مثالياتها في انها دعوى تحريرية لاتبشيرية، وجودية وليس لاهوتية- الى جنب بنود بربرية بامتياز، تكرر الطغيان الكسروي وتتفوق عليه.. تفرض اتاوات مالية على هذه الشعوب، وتمنعهم من دخول وضائف وطنهم، رغم ان المسلمين هم الاغراب عنه. كما يُفرض خيار العقيدة عليهم. كما تمنعهم من حق الانتفاضة والثورة ضد الطغيان، الممثل بالفتك والنهب والاستعباد الاسلامي. ومن ثم تجعل ذلك باسم الله، برخص رخيص مع مفهوم الحلال فقهيًا لانه تحت مفهوم الجهاد فحسب.. هذه هي بنية الذات الفقهية!.

حيرتي في البنية هنا هو المدون الكهنوتي للدعوى وليس الدعوى. حين يتكلم عن الحرية ببنود طغيان، والقول بتنويريتها دون عارها. اليس تلك هي اسوء صفاقة ترددها المعرفة في العهر. عادة هذه هي المشكلة مع الكاهن انه لا يستشعر قبحه. وهو امر يجعل الفقه في بنيته يعود الى ذات الفقيه وبنيته..

¹³⁶ علي محمد الصلابي، عصر الخلفاء الراشدين. ص99.

اليس مخزيا او مضحكا، ان رجال كسرى هم عينهم رجال امير المسلمين. علما ان هذا الامر يعتبر حكما فقها ورأيا الهيا في المنظومة الان، فقط لان المسلمون كانوا يقومون به حينها.

هذا المبرر كدليل اجتهادي يتضاد مع المبرر الاول في الشهادتين، كدليل اجتهادي اخر، فيتساقطان تساقط كذبات الكذاب، لايشبه الذي كذبه اليوم ماكذبه بالامس، ومافي اول الكتاب ماكتبه في اخره.. ولايقف الامر هنا، بل يمتد الى وجود مبرر وتوجيه شرعي ثالث، بحيث يحار ايا يريدون، وفي هذا ايضا يفضحون معارفهم في غباء الكذب..

المبرر الثالث، والذي يطرحه التنويرين كفضيلة اسلامية بالتأكيد، وكمنطق اسلامي قيمي- دون اي خجل- هو ان المسلمين لهم الحق شرعا ان يعرضوا على عدوهم قبل المعركة واحدة من ثلاث: (الإسلام أو الجزية أو الحرب..).

ورغم ان عين هذ المنطق هو الفضيحة الاخلاقية للاستبداد عموما، وبالتالي هو فضيحة الفقه ودينه ودعواه الانسانية، وانه يبين البنية العامة للفقه في تجاوزه اسم الانساني والحقوقى والاخلاقي، وجعله للمتوحش شرعيا والهيا. الا ان ماحصل كان أسوء من ذلك، بحيث يتمنى معها المغزو تلك الجبريات الثلاث.. لم أقرأ نصا يخبر ان هنالك مبعوثا او مناديا ما بلغ تلك الخيارات الجبرية، وانما هو منطق الحرب القديمة، وارجح مافيها هو المصالحة/ الاتفاق الجبري على اتاوة مالية تدفع سنويا. مع ذلك لاتجد خبرا عُرِضت فيه تلك الخيارات الا نادرا، ويكون بهذه النهاية: (فلقوا عدوا من الأكراد المشركين فدعوههم إلى الإسلام أو الجزية، فأبوا و قاتلوهم و هزموهم و قتلوا و سبوا و قسموا

مايردي، بعيدا عن سخرية البنود، هو ان التاريخ عينه يفضح نفسه بان المسلمين كانوا يبقون في فتوحهم عين اقطاعي وارشراطي تلك البلدان الذي استعبدوا الجماهير في ارضهم ووجودهم سواء قمحهم او نساءهم.. وهذا الابقاء امر مشهور تاريخيا، سيما مع قصة (الدهاقنة) وعموم ارشراطي البلاد المفتوحة واقطاعيتها، ووصل هذا المنحى من الشهرة بمكان هو ان التاريخ لالان يحفض اسماء كثير من ولاية فارس وارشطاطيها واقطاعيتها ايام كسرى ممن أبقي عليهم عمالا للمسلمين في الجبي، وسلب اموال الناس، ومنهم؛ جميل بن بصبهرى دهقان الفلاليج والنهرين، وبسطام ابن نرسى دهقان بابل وخطرنية، والرفيل دهقان العال، وفيروز دهقان نهر الملك وكوثى، وغيرهم من الدهاقين. واستمر اولئك مع كل الخلفاء والسلطين المسلمين..

ولاباس في تقرير البلاذري عن ذلك بوضوح في كتابة فتوح البلدان؛ (وأما الدهاقين فكانوا مع الغالب، ولما رجحت كفة المسلمين تولوا أعمالهم السابقة على الفتح)¹³⁷.. وهذا الامر ابتداء منذ القادسية وقبلها مع جماعة الحمر¹³⁸ واستمر الامر كشيء مألوف ومنطقي في تدبير سلطة المال، بمنطق؛ (دعوا في ارضها تؤدي عنها الخراج).. اي اتركوا الدهاقنة، وهو الاسم الذي يطلق على اقطاعي الفرس. لاحضوا، لم يكن الهم الاسلامي في النص هو الاقطاعيين وظلمهم وانما الخراج من يعنيه فحسب. لذا يروي التاريخ الكهنوتي نفسه بان القائد المسلم لم يعرض للاقطاعيين الفرس ولم يخرج الارض من أيديهم، بل وأزال الجزية عن رقابهم)¹³⁹، ليستخدمهم على الناس.

¹³⁷ فتوح البلدان. ج2. ص323.

¹³⁸ تسمية تطلق على الفرس الاوائل الذين انظموا الى المسلمين باتفاق غنيمة وليس اتفاق عقيدة. في ميسان والبصرة قبل الصعود الى القادسية بعدة اشهر..

¹³⁹ فتوح البلدان. ج2، ص325.

الغنائم¹⁴⁰. بل الحقيقة غالباً ما تكون أكثر مرارة، كما هو في الكثير من الاخبار التي سلف نقلها، باهمالهم خيار الاسلام اصلاً، بل تركهم حتى المصالحة على مال، طمعاً بالسبي من النساء، وباقي الغنائم التي يمنعهم اياها خيار الجزية والمصالحة او الاسلام. لذا يستباحون البلاد في اموالها ونساءها، مهما لزم ذلك من دماء. وهو ما نقلناه عن فتح شاهرنا، حيث (يعطي بعض عبيد المسلمين أماناً لأهل المدينة، فلا يرضى المسلمون، بحجة انه عبد)¹⁴¹. حتى لا يفوتهم السبي والغنائم..

احياناً، بعد الفتح وهدوء الحال كانوا يضربون الجزية حتى على من أسلم من أهل الذمة¹⁴².. ينقل التاريخ في عدة اماكن ان نائب خراسان دعا: (أهل الذمة بسمرقند، ومن وراء النهر إلى الدخول في الإسلام، ويضع عنهم الجزية. فأجابوه إلى ذلك، وأسلم غالبهم، ثم طالبهم بالجزية)¹⁴³. ثم سفتك الدماء بسبب ذلك. رغم انهم لم ينكثوا، هو من نكث.

بل لم يكن يُقبل احياناً من الناس المفتوحة بلادهم دخول الاسلام اصلاً، كي لاتسقط الجزية عنهم، كما سلف مع إصلاحات عمر بن عبد العزيز. وهي اللحضة التي قال فيها

¹⁴⁰ ابن خلدون، العبر، ج2، ص566.

¹⁴¹ المصنف، ج5، ص222 و 223. وسنن البيهقي، ج9، ص94. وينتهي بهم الأمر: إلى أن رفعوا ذلك إلى الخليفة، فكتب: «إن العبد المسلم من المسلمين، أمانه أمانهم. قال: ففاننا ما كنا أشرفنا عليه من غنائمهم..».. مساكين يؤنبهم ضميرهم على الغنائم.. وكأن الامر كان انسانياً، وحينما ظهر حرماً أئبهم جواهرهم..

¹⁴² ابن الأثير، ج4، ص261 و 68 و 225 و ج5، ص111 و 48 و 24. وابن خلكان، ج2، ص277. وأحكام القرآن للجصاص، ج1، ص102.

¹⁴³ البداية والنهاية، ج9، ص259، 260.

كلمته معاتباً المسلمين؛ (ان الله ارسل محمداً هادياً ولم يرسله جابياً). إذن خيار الاسلام كان كذبة من اصله في دعوى الكهنوت، فلم يكن يهم المسلمون ان يتعلم اهل البلاد المغزوة الاسلام ومبادئه او اي قيم اخلاقية علمها النبي سلفاً. انهم قتلوا واخذوا اموالاً وسبوا وعادوا فحسب، لا وجود لموضوع هداية او تغيير اخلاقي او ما شابه من فعل ديني. علماً ان هولاء الفاتحين عينهم يخبر التاريخ عنهم بانهم لم يكن يعرفوا حتى الموضوع، فكيف يمكن ان يكونوا قد عرفوا المبادئ الاخلاقية الكبرى للنبي التي تمثل وحدها الاسلام وحقيقتها وغايته الوحيدة. يذكر التاريخ ان عين الجيش الذي كان على راسه ابو موسى الاشعري في احد الفتوحات، لم يكن احد منهم يعرف (ان الموضوع على من احدث، حتى بعث لهم الاشعري من ينادي فيهم بذلك)¹⁴⁴. اي ان بديهيات الاسلام التي تمثل العوام قبل النخبة مجهولة من عسكر المسلمين فكيف بعقيدته.. إذن هولاء ليسوا مسلمين خائنين وانما لا يمتنون للاسلام بصلة اصلاً. انهم تجار مال ونهب وسلب. انظموا الى الحروب من هنا وهناك شرط الغنيمة. سواء كانوا قبائل او جماعات حضرية او ايا كان.. ويصر الكهنوت على تسميتهم رسل هداية.

بالتأكيد يجعل الكهنوت لتلك الثلاثية سندا نبوياً بدس حديث عليه يوصى به أمير الجيش: (إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى خصال ثلاث، ادعهم إلى الاسلام فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن أجابوك فاقبل وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم)¹⁴⁵.. وكأن الله يريد ذبح الناس.. اذن ما وسخ النخبة التي اسست الحضارة.

¹⁴⁴ كنز العمال، ج2، ص114.

¹⁴⁵ مسلم، الصحيح، ج3، حديث رقم 1357. و أبو داود، السنن 2، 3، 261.

تماما كما هو ظني الآتي عن الكليات الانسانية عموما، لوجود للجزية والخراج في جمهورية النبي اصلا، وفي السلم بالذات، ناهيك عن وجوده في حرب من اجل هدف اخلاقي ديني، إذ حينها يكون الامر اسوء.. الجزية تأسيس كهنوتي محض وخطيئة فقهيه للايديولوجيا الاخلاقية المسماة دينا سجلوها باسم الله للاسلام الامبراطوري. والكلام يطول في تفصيل كذبتها. هنالك منطق مالي يمثل موضوعة تكافل اجتماعي فحسب مع النبي وليس خراج.. قيمة اخلاقية إنسانية لاجل الفقراء وليس لاجل الحكومة كما هو منطق الخراج والراي التقليدي فيه.. لذا منطق النبي في كتابه للعلاء، كان يأمره بان) يأخذ المال من أغنيائهم فيردها على فقراءهم). كما ان هذا الاستيفاء المالي ليس الزاما قانونيا جبريا- على عكس ماكان تاريخيا مع السلطة الاسلامية- وانما الزاما اخلاقيا ذاتيا، لاسلطة للدولة فيها على الفرد، بحيث يبقى الفرد مخير بين ان يعطي او لا يعطي.. والاجمل هو انه يشمل المسلم قبل غيره، كقيمة انسانية عامة لاشأن لها بمعبد وشريعة. انها فرض اخلاقي، والزام مبدئي، وليس فرض قانوني. وهذا مايثبتين بتفصيل مع علي ابن ابي طالب إبان دولته مع وصية¹⁴⁶ له لاحد عماله مازال التاريخ يحفضها

¹⁴⁶ نص الوصية؛ (انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ، و لا تروعن مسلما ، و لا تختارن عليه كارها ، و لا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله ، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ، ثم امض إليهم بالسكنية والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم . و لا تدخج بالتحية لهم. ثم تقول : عباد الله أرسلني إليكم ولي الله و خليفته لأخذ منكم حق الله في أموالكم ، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه ؟ فإن قال قائل : لا . فلا تراجع ، و إن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخفيه أو توعدة أو تعسه أو ترهقه فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه فإن أكثرها له فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه و لا عنيف به . و لا تتفرن بهيمة و لا تفرعها و لا تسوعن صاحبها فيها . و اصدع المال صدعين ثم خيره ، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره . ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره ، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختار ، فلا تزال بذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله

واضح ذكاء الدس في ذيل الحديث مع كلمة (فاستعن بالله). هذا الذكاء ليس كي يجعلوا المعركة تقوم لاجل الله فحسب، وانها إلهية ونبالة وفضيلة. وانما كي يجعلوها تتواءم مع السياقات النبوية في الاحاديث، في الرجوع الى الله بكل شيء..

التهور على الاسماء هنا مع الداس جعلته يعطي للثلاثية المستبددة مصطلح (خصال)، وكأنها منحى اخلاقي انساني وليس استبدادي محصور بين اجبار العقيدة و دفع المال والقتل.

هذا هو المنطق؛ اما ان تدخل في ديني او ان تعطيني مالك بدل ذلك. لا اعتقد انه حتى حكومات الحزب الواحد في الشرق تجبر الافراد بهذا الشكل على حزبها. ولكن الاسلام لم يكن الا حزبا بالنسبة لمسلمي الغنمية، الذي غطوا على مسلمي النبي القلائل جدا، والمغمورين خارج السلطة.

كما انه مااسخفه من خيار لاينسجم اوله مع ثانيه؛ ان لم يكن الاسلام فيعوض عنه بمال. لو كان هنالك اجبار على الاسلام فحسب دون خيار المال، لقلنا انهم اصحاب مبدأ جاد مع العقيدة وحمل الناس عليها حتى ولو قتلا، وانه لامصالح في ثايا المسألة. ومع ذلك فهذا الافتراض التنزلي هو عين الذي تألم منه النبي في كلمته؛ (عجبت من اقوام يريدون ان يدخلوا الناس الى الجنة بالسلاسل). اعتقد اني تكلمت في جمالية وحسرة هذا النص النبوي كثيرا فيما سلف من الجمهورية في اولها.

بأي حق يُجبر الآخرين على احد ثلاثة؛ ترك دينهم او المال او القتل. بينما الله لايجبر حتى على الفضيلة (فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر). بل اين يضع الإجبار على عقيدة من ملامة الاية) افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) او (لاإكراه في الدين) أو) انلزمكم بها وانتم لها كارهون)..

من جهة أخرى اهم، يمكن الانتباه الى ان هذا الاتجاه الثالث في الدليل، يتضاد تماما مع دعواهم السالفة في تبرير الفتوحات بانها لاجل ازالة الطغاة وترك الناس احرار يدينوا بما شاءوا، ولايكرهوا على شيء. لانهم هنا في الثلاثية التخيرية يتكلمون عن فرض عقيدة.. الكاذب لايجل من تناقضه. معذور هو ينسى.

لنا لتوضح مثالية لا يمكن توقعها نسبة لما هو مسطر في دفاتر الكهنوت عن الخراج وفي دفاتر التاريخ من سلوك سلطاني. وفيها يظهر التضاد التام مع المتوفر فقها من الكهنوت الاسلامي حتى مقدسيه مذهبيا، لان الشيعة ايضا تقول بالخراج والجزية على خلاف علي ابن ابي طالب ومثاليته.. لذلك هم من خانوه وليس غيرهم. فالغريب لا يخونك وانما من لديك موثيق معه. إذ حتى الثورة ان تحولت كهنوتا امست تكذب.

11

اظلم الجمهورية ان قلت ان الانبياء يريدون ان تكون جماعتهم جيشا، وانما جماعة معلمين ونبلاء. عراة، للسيوف والجوع على حد سواء. وقلوب عارية للحقيقة وللروح. لا تلقهم معابد ولا عمام.. ما يؤكد ذلك وما يبعد بنية الجمهورية عن بنية الكهنوت حد الكفر بينهما هو نمط النبي في طريقه الدعوي وما اسسه لذلك انسجاما مع الاهداف البيوتوبية للرسالة¹⁴⁷، بمثاليه لم يعدها التاريخ من قبل. وأهم أثر في ذلك هو منطق ما أوصى به الى معاذ بن جبل، حينما بعثه على رأس سرية الى اليمن.. يقول لمعاذ؛ (لا تقاتلوهم حتى تدعوهم، فان ابوا فلا تقاتلوهم حتى يبدؤكم، فان بدؤكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلا). ولا يقف الامر هنا في غرابته. بل؛ (ثم أروهم ذلك القتل ، وقولوا لهم ، هل خير من هذا سبيل). يمنح فرصة اخرى خارج الدماء، دون اي حمية لموت رفيق مسلم، او

في ماله فاقبض حقَّ الله منه فإن استقالك فأقله ، ثم اخطها، ثم اصنع مثل الذي صنعت أولا حتى تأخذ حقَّ الله في ماله . و لا تأخذنَّ عودا ، و لا هرمة ، و لا مكسورة ، و لا مهلوسة ذات عوار ، و لا تأمننَّ عليها إلا من تنق به ، رافقا بمال المسلمين حتى توصله إلى وليهم فتقسمه بينهم ، و لا توكل بها إلا ناصحا شقيقا و أمينا حفيظا غير معنف و لا محجف و لا ملغب و لا متعبد...). نهج البلاغة. الوصايا.

¹⁴⁷ مع البيوتوبيا التي تلون الجمهورية، يكون مفهوم الدين مع النبي موازيا للمثالية في الانسانيات. لذا فالدين هو البيوتوبيا الانسانية وليس المعبد واللاهوت.. او الكهنوت والشرعية.

تمادي من العدو، في انه عدو لئيم لا يقبل المنطق ولا اي عنوان اخر يمكن ان يبرره اي عقلاني انساني في حق القتال. لينتهي الامر ان يذيل وصيته بكلمته المشهورة؛ (فلان يهدي الله بك رجلا واحدا خير مما طلعت عليه الشمس او غربت)¹⁴⁸. كان من المفروض ان يزوه الكهنوت الى صيغة؛ لان يقتل الله بك رجلا واحدا. فهو اقرب الى منطقهم. سيما من جهة انهم يقتلون باسم الله.. هنا النبي لا يريد ان يكون جيشه جيش سيف وانما جيش روح، بل الاعمق مثالية انه لا يريد جيش نصر وانما جيش هزيمة. بمنطق كن مقتولا ولا تكن قاتلا.

المراحل الاربعة، التي تحملها تلك (اللائات) الاربعة في وصية النبي لمعاذ. لاعات جميعها ترتبط بلا تقاتلوهم. ما يهم لديه هو ان تعيد ذات الاخرين انسانيته او بعضا منهم ولو واحدا؛ لان هدى الله بك رجلا واحدا.. والهداية هنا ليس هو ان توحد الله وتشهد الشهادتين، وانما هو ان توحد العدل والقيم بين الناس.

يتأكد هذا المبدأ المثالي واقعا بلحم ودم، مع تلميذه علي ابن ابي طالب. فهذا الرجل الغريب عن الارض لم يبدا قتالا قط مهما كان العدو. وهو امر شائع عنه بين اقرانه. الامر الذي جعل احد الصحابة يقول للخليفة الاول حينما اراد ارسال الامام علي لمحاربة متمردين على المركز؛ (أخاف ان يأبى القوم - المتمردين - القتال فلا يقاتلهم. فلن تجد احد يسير اليهم الا على المكروه منه)¹⁴⁹. هنا الصحابي يُنبّه الى شيء قطعي وليس احتمال، وانه شيء معروف ومتفق عليه وليس رأي شخصي. علما ان كلمة اخاف في

¹⁴⁸ المبسوط للسرخسي، ج10، ص 31.

¹⁴⁹ الفتوح لابن الاعثم، ج1، ص72.

النص، كتعبير عن الاحتمال هي تخص المتمردين وليس عليا، لان عليا لن يبدأ قتالا قطعا في نظر هذا الصحابي.

رغم هذه المثالية الكبرى التي تمثل روح الايديولوجيا الاسلامية في هذا النص عن علي، الذي تنقله امهات الكتب، ولكن الكهنوت يشرع باسم الله ما يشرعه جنكيز خان باسم عشيرته وامبراطوريته. إذ جرت العادة مع معظم الدول الاسلامية وخلفائها امويين و عباسيين، وعثمانيين على استباحة المدن التي تدخلها الجيوش، فيقتل رجالها في مجازر جماعية، وتستباح النساء غداة الحرب بمجازر جنسية لا تختلف عن المجازر الدموية التي تحدث لازواجهن واخوانهن واولادهن وابائهن. وهذا الامر تجريه الجيوش السلطانية، سواء على غير المسلمين او حتى على مسلمين متمردين على السلطان؛ حصل مع مسلمي العراق بسيف الحجاج، وحصل مع مسيحي القسطنطينية كفتح اسلامي عام (827 هـ) حين استباح فيها جند محمد الفاتح النساء بشكل لا يمكن وصفه الا انه جنس جماعي، بل ان السبب الذي يحال عليه الانتصار يمثل فضيحة لتاريخ هذا الدرب. إذ بعد ان يأس محمد الفاتح من دخول الحصن، قام بخطوة مع جيشه تعتبر سبب انتصاره لدى الباحثين، وهو انه (وَعَدَ) الجيش رسميا بعد ان قرعت الطبول والابواق بكامل الانتباه وأقسم بوعده هذا باسم الله وباسم محمد والاربعة الاف نبي قبله وبيروح والده وبيروؤوس اولاده ويسيفه انه سيكون للجيش حق مطلق في النهب والسلب مدة ثلاثة ايام ويكون للجند كل ما هو داخل اسوار القسطنطينية من متاع وحلي وعمليات وكنوز ورجال ونساء واطفال.. ويتخلى هو عن كل شي الا شرف الانتصار.. وحينها يستقبل الجند هذا الوعد باندفاع جنوني وصياح. والغريب ان هتاف فرحتهم بهذا الوعد الوحشي والمشين هو(الله اكبر، الله اكبر).. وهو الامر عينه الذي كان بعد دخوله ظهر يوم النصر. حينما كان اول نزوله عن حصانه مباشرة للصلاة شكرا لله.. اي رب هذا الذي يثيب الناس للقتل. واي دين هذا الذي يصلي فردة بعد جريمة.

لم يكن وعده انهم ان ماتو سيدخلون الجنة، كي يُوجه الامر على ان هذا الجيش جيش رسالي تؤسسه الاخرة وليس الدنيا ولهوها. وانما كان وعده لهم ان القسطنطينية بمالها ونساءها ومافيهها، لهم وحدهم دونه.

بل الغريب ان ائمة للكهنوت والتاريخ كانوا يعيرون بعض الرجال التاريخية من اليسار الاسلامي في انهم لم يقوموا بفتح من الفتوحات ولم يساهموا فيها ولم ينالوا هذا الشرف. لابس ولكن هذه المجازر لم تحصل في الفتوحات فحسب كشرف لديهم ضد الكفار بتسميتهم، وانما مع مدينة النبي عينها في حادثة (الحرّة) مثلا حين قُتل الاسرى في مجزرة جماعية و اباحت النساء لثلاث ايام فضت فيها ثلاثة الف بكر، واستعبد كل الاحياء من بقية المعركة. فهل يعاتب ذاك اليسار انه لم يشارك في اباحة المدينة. او مع بسر بن اوطاة في ما سمي بيوم العورة كونه امر ان يكشف من النساء سوقهن في السوق فتشتري كل امرأة على عظم ساقها¹⁵⁰. علما ان بسر هذا كان صحابيا من جماعة معاوية وراوي حديث. لاعرف كيف يكون صاحب معاوية هو عينه صاحب النبي. الا يكفي هذا الامر في رفع مصطلح الصحابي.

12

حدث ينفع في ان النبي لم يكن إسلامويا. وهو انه مشهور جدا ما قام به خالد بن الوليد مع بني جذيمة، حيث (قتل خالد بن الوليد بني جذيمة في فتح مكة حينما بعثه الرسول حولها في سرايا تدعو إلى الله تعالى ولم يأمرهم بقتال، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ولم يبعثه مقاتلا، فغدر خالد بهم وقتلهم، فانتفى الخبر إلى رسول الله فرفع

¹⁵⁰ الاستيعاب . ابن عبد ربه. م1، ص161. وكأن الساق والسوق لغويا يعودان لملازمة تاريخية ما.

يديه إلى السماء ثم قال: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ " ثلاث مرّات ; ثم أرسل رسول الله عليّاً فودى لهم الدماء وأرضاهم¹⁵¹ .

هنا وضوح تام في ان منطق الدعوى نبويا لايمت الى القتال بصلّة اطلاقا. اقلها يتبين هنا ان القتال شي والدعوى شيء اخر.. ولا اجتماع بينهما. وانهما على تضاد تام في مبدأ الدعوى. لذا أجد قصة الحارث بن مسلم التميمي غير مقبولة في(إن النبي أرسلهم في سرية، قال: (فلما بلغنا المغار استحثت فرسي، وسبقت أصحابي، واستقبلنا الحي بالرنين، فقلت لهم: قولوا لا إله إلا الله تحرزوا؟ فقالوها.. فجاء أصحابي، فلاموني، وقالوا: حرمتنا الغنيمة بعد أن بردت في أيدينا. فلما قفلنا ذكرنا ذلك لرسول الله ، فدعاني، فحسن ما صنعت، وقال: أما إن الله قد كتب لك من كل إنسان منهم كذا و كذا الخ..)¹⁵² لانها تجعل المنطق الاسلامي لدى النبي في الدعوة هو عينه مالدى الكهنوت، وهو انه لا يحسن الانسان الا قول لاله الا الله.. رغم ان كلمة النبي في الحدث تحمل ايعاءات تناسب كل ماجرينا عليه في شخصيته. فلم يكن هم النبي في القصة انهم اسلموا وانما انهم سلموا. ولاهمه ايدولوجية الانسان بقدر ماكان همهم سلامته وعدم اذاءه في حريته وراحته ومعيشته وكرامته وقيمه..

يبين النص ايضا من استباق الحارث لجماعته، هو وعيه مسبقا انهم ليسوا دعاة لدين وقيم ولا دعاة حوار، انهم غزاة فحسب وقتله، لذا يشي شكر النبي للحارث ان النبي كان مبتليا بقومه. لذلك لم نجده يلم قومه وانما شكرا هذا الرجل على فعله القيمي فحسب. وهو الامر الذي يرفع حيرتي القديمة، بانه لماذا لم يحاسب النبي خالد ابن الوليد في قتله بني جذيمة . إذ لا يكفي ودي الناس تعويضا عن نفوس لايعوضها شيء لدى

اهلها. كل القصة هو ان النبي كان مبتليا بالجماعة الاسلامية معه من جهة. ومن جهة اخرى هي الهم. وهو انه كان معلما وليس حاكما. ويشيئ ما من منطق كلمة عيسى ايضا؛(من سمع كلامي ولم يؤمن به فلست انا الذي يدينه..)

تينك الحديث ينقلهما تراث موالى للكهنوت. كما انه هو عينه من ينقل وصية النبي السالفة لمعاذ، ورغم ذلك تجري معارفهم بتلك التشريعات المتوحشة التي تشوه هوية النبي ومبادئه.. ولكن لاغربة في ذلك، فالذي يكذب على الله يكذب على نبيه ويكذب على جماهيره.

¹⁵¹ المغازي للواقدي . 3/ 875 . 884.

¹⁵² كنز العمال ج 15 ص 330 .

عبودية الزواج او الاعراف او المعبد او الافكار. وان نلج على لاهوتية هذا المبدأ قبل وجوديته في قبح الاستعباد ذاتا- لتداولنا القضية هنا مع النبوة وليس مع النبي- والا كل ملامة حينها ستحال على الله، ان قبل هو بالعبودية عينه..

ماذا يمكن ان تُوصف بنية فتوى الفقيه الابق اعلاه، وجرائته ببساطة على هكذا خروج فاقع ضد النبي، بهكذا وجهة؛ في ان الله مع السيد ضد العبد، بمستوى يصل الامر فيه ان الصلاة لاتقبل منه ان ثار ضد عبودية سيده وطغيانه او اقلها تخلص منه فقط واستنقذ حريته. وهل هنالك اصلا عبد يصلي لاله بهذه الشاكلة. ماذا يمكن ان يسمى هذا الدس اللئيم؛ (اذا نصح العبد السيد، واحسن عبادة ربه كان لديه من الاجر مرتين)¹⁵³. التي حين قراءة نص قس يدعى سبيريانوس. (إني لانصحك بالبقاء في الرق، حتى لو عرض عليك مولاك تحريرك، فانك بذلك تحاسب حسابا يسيرا لانك تكون قد خدمت مولاك في السماء، ومولاك الذي في الارض) تشك وكان هذا القس جلس مع ذاك الفقيه وكتبا نصيهما سوية. لا غرابة فكلاهما كهنوت.

2

¹⁵³ المسترشد، محمد بن جرير، ص453. علما ان نص الاستهلال هو ايضا كلام مدسوس على اهم شخصية يسارية في المعرفة، لذا ارجعناها باسم الفقيه الابق وليس باسم تلك الشخصية لانها اصلا دس عليه وللفقيه الابق وليس له.

سرقة الانسان..

(شر الناس من يبيع الناس.)

.. النبي

(ثلاثة لايقبل الله لهم صلاة، منهم، عبد آبق من مولاه، حتى يرجع اليه.)

.. فقيه آبق

1

نبي واحد يعبد الله، والالاف من الكهنة يكفرون به.. هذه طريقة الوجود في التاريخ. ويقولون ليس هناك لامعقول وجودي. لم اجد يوما شبهها بين انبياء الله وكهنة الله.

.. من لا يميز بين النبي وهرون الرشيد، لا يميز في قلب الكعبة بين الله واللات. لذا من الحمافة في فهم ماهية النبوة، ان نرى حلية العبيد والجواري هي من احكام النبي كما هي من احكام هارون الرشيد على حد سواء.. بل من الاساءة للنبوة ان لم نسبق كل مبادئة- اللاهوتية رسميا- بمبدأ تحرير الناس من العبودية، سواء عبودية السيد او

الرسالة وجوديتها الأساس هو ان شرعتها تتأسس على حرام الانسان¹⁵⁴ وليس على حرام الله. الله لا يهدد حرمه، الانسان مهدد في حرمه. او لابس لنقل ان حرمة الله هي الانسان لا غير. وان التعرض الى الانسان معناه التعرض الى الله. تلك التي تجري بها كثيرا مع المتصوفة في اسهم (من خدم الخلق خدم الحق)، والذي يكفي وحده لتأكيد ان النزعة الانسانية في الفكر الصوفي تفوق كل المدارس الرسمية في الانسانية، كما تكفي في ان انقلابها على الكهنوت كان صحيحا.

لم يرفض النبي العبودية لان مسألة السيد والعبد هي المسألة الوحيدة التي ينازع بها الانسان الهة في الوهيته، على اعتبار انه السيد الوحيد الذي يستحق العبودية كما يرى المتكلمين. وهو دليل ينفع ان اهديه لعلم الكلام التقليدي. رغم رفضي هذا العلم وسخريتي منه ومن دليلي المجاني هذا ايضا¹⁵⁵. ولكن فقط لفائدته نفي التشريع العبودية، الزاما بكلامهم. كما ليس لانها تنافي فلسفة خلق الانسان بماهية الحرية، كونها نفي للانسان بما هو انسان. فلا يتعامل النبي باللاهوتيات ولا يهتم بعلم الكلام في ذلك، لذا لم يطرح الدين كعلم كلام ولم يتداوله يوما، ولم يطرح اي نبي انه فيلسوف ايضا. انما رفض النبي العبودية، لانها عبودية وكفى. بحيث من السخافة ان نقول ونفصل ان سخرة استعباد فرد كحيوان يباع ويشترى، وأخذ زوجته جسدا ومتعة، وطفله استخداما هو خطيئة كي يوضح

¹⁵⁴ ولذلك قرية واضحة مع الحديث القدسي ان كرامة الانسان اهم من كرامة الكعبة.

¹⁵⁵ تدوال الخطاب النبوي في رسائله للملوك بتحويل العبودية انسانية الى العبودية الالهية. لم يقصد بالعبودية الالهية منطق السيد والعبد وانما طاعة القيم الالهية، والتي هي في الارض القيم الانسانية فحسب. وهنا في الدليل الكلامي جعلناه الوحيدة الذي يستحق العبودية..لذا لانؤمن به ولكنهم هم من يفرحوا بذلك؟

امرها للقلوب. ناهيك عن انه لا يحتاج الى فكر او وحي او فقه كي يقرر خطيئته¹⁵⁶. فهو والراعي يتساويان بادراك ذلك لانها موضوعة انسانويات، وليس لاهوتيات غيبية و لا تجريدات فلسفية. لذا كان الراعي يصدق قلبه، وليس طاعة لنبي ووحى. وفي هذا نلح ان الرسالة وجودية وجدانية، واضحة للانسان، بلا علم كلام ولا فقه ولا فلسفة. الكهنوت من فرض ذلك وعقد الامور كي يحصر القرار بيده.

3

كل ما قيل من مسألة العبيد والجواري ومنطق السبي والفتوحات هي خيانة للنبي ولاتمت بصله اليه وما هي الا كذبه تاريخية كبيرة على النبي، كذبة تاريخية عمياء. ولكنها تبصرنا دون ان نبصرها. لانها تدرك العار دوننا. هذه مشكلتنا اننا لانرى عارنا، ولاعلم في العار. كذبة رسخت شأنها شأن باقي الاكاذيب التي طوّل بها التاريخ دربه. وهو منطق يؤكد بذاته ظلم الحياة والوجود وغربة سننهما. لذا رغم ان كلمة الطيار مارك توين؛(يمكن لكذبة ان تقطع نصف العالم قبل ان تنتهي للضهور)، هي عمق جميل في السنن المؤلمة للحقيقة، ولكن كأن السنة الاكثر ألما للوجود؛ هو ان الكذبة تقطع نصف التاريخ قبل ان يعترضها احد. كما قطعت كذبة العبيد كل هذا التاريخ، ولا فقيه ولا مثقف يلعنها ويقول بخطيئتها. الكل يقول انها الهية ونبوية وشرعية.

إن سألوم الوجود هنا، انه يعينني اكثر من الفقيه. لان من سننه هو ان الكذب اكثر عمرا من الحقيقة. وان التاريخ وكتبه يحفضان الكذب اكثر من الحقيقة. حتى يكاد ان

¹⁵⁶ قد تجد هذا المنطلق نادرا في التراث مع الفخر الرازي مثلا في كلامه بطريقة وجودية لافقيه عن خطيئة العبودية، بقوله؛ (كون الانسان مملوكا يكون صفة تكدر مقتضى الانسانية)..ولكن كلامه هنا عن حكم تحرير الرقبة وفضيلتها.. ولكنه لا ينفي العبودية شأنه شأن الباقيين.

يكون الامر؛ لا حقيقة للتاريخ الا كذبه!!... لانه مناطق معبد وقصر، ولا يكذب في الوجود الا هما.

اه، ارتاح كثير حينما اردد ان المبغى وحده كان صادقا. وسؤي في الحياة هو اني عاشرت المعبد دون المبغى.

من غير الممكن ان يكون اسبارتوكس ومزدك وصاحب الزنج وقرمط ولنكولن ومارتن كنك الزنجي، وغيرهم يحاربون العبودية والنبي يشرعها.. لا يقبل ذلك على النبي الا مؤمن احمق. هل علي ان الح كثيرا ان الانبياء ياتون من اجل الناس لا من اجل الله. بل انهم يتركون الله لاجل الناس، لو فرضنا حدوث تضاد بينهما (الله والناس) رغم استحالة.. وكلمة علي (الهي ما عبدتك خوفا ...)، تعطي ذلك في كل لوازمها بوضوح، لانه فيها لايعبأ بالجنة والنار في علاقته بالله. وانما يتبع الله لانه مع الناس والحق والعدل والجمال لاغير. لازم ذلك، انه إن لم يكن الله مع الخير يتركه ابن ابي طالب. وهذا ما حلف عليه معرفيا من المساء للصباح..

بل في عين صراحة ابن ابي طالب بمقولته تلك الاعظم لاهوتيا يبدو بكل وضوح ان الله لا يقبل أن يكون الانسان رقا حتى له (.. فتلك عبادة العبيد). لانه يعرض هذا المنطق كأمر معيب من الله نفسه، لا يمكن لاحد ان يتفاخر به امام الله. وهو عينه الذي جعلنا نرفض الدليل المجاني السالف لعلم الكلام في مقدمة النبذة الثانية، لذا يتنزه ابن ابي طالب عنه امام الله. و بمعينة كلمة علي تلك، اقول براحة، انه؛ ما خلق الانسان ليكون

4

رقا حتى للاهوته¹⁵⁷. وكرر للاهوته وليس لكهنوته. اي حتى لله. بينما في الواقع ينحدر هذا الانسان ليكون؛ عبد لكهنوته وليس للاهوته، بل حتى غير المتدين مستعبد في اعرافه بذلك، فهو لا يقتنع مثلا بزواج دون معبد وعمامة. وهنا المصيبة كل المصيبة من قبل ومن بعد.

المهم، لا شك معي في ان اول جهل بالنبي، ووجوده، هو عدم رؤية؛ انه لا يوجد شيء جاء لاجله، مثل هدم الاستعباد في كل اشكاله ووجوهه، الذي يتعدى من سوق النخاسة الى البيت و المذهب و المدرسة و السلطة.. في الحب و العلم و الدين. فهو حينما ظهر لم تكن خطوته التي ظهر بها خطوة لاهوتية - إله وصلاة - تُبشر بالله إزاء اللات والعزة واستبداله بهما، وترسيخ العبودية للسماء، فالصلاة جاءت متأخرة. وانما كانت خطوة انسانية وجودية حياتية تاريخية تبشر بتحرير الانسان من ظلمه، لذا كانت مشكلة ابي جهل وابي لهب وابي سفيان مع النبي لم تكن هي جعل الله الواحد بديلا عن اللات والعزى، وكأن ابا سفيان عاشق ايديوولوجي لللات والعزة. وانما كانت مشكلتهم التي كانوا يرددونها امام قريش حين ظهور النبوة؛ (ان محمدا يريد ان يساويننا بعبيدنا). ولهذا السبب عينه يعترف التاريخ على انهم عرضو عليه؛ ان يعترفوا بنبوته وانه رسول الله، ولكن عليه (ان لا يغير اعرافهم). أي لم يكن هم نبوته اول نزولها هي خطيئة ابي

¹⁵⁷ كان ميخائيل نعيمة في سفره الحكمي؛ مرداد، قد صاغ مقولته؛ (ما ولد الانسان ليكون رقيقا حتى لناسوته) اي لغريزته، وتسلبها عليه. ولكن لم يقل شيئا في ذلك، رغم انه قال لغة توحى اهم شيء. لذا كان على اللغة ان تستنفذ، لنقول؛ ما خلق الانسان ليكون رقا حتى للاهوته. لان كلمة حتى لا تكون في البديهيات المتداولة، وهنا بديهية صوفية؛ ان تكون حرا من سلطة غرائذك.

جهل في عبادته اللات والعزة، وإنما في استعباده بلال الحبشي. (لذلك) كانت قصة بلال هي قصة النبوة، وإن لم تكن قصة النبي. والنبوة هنا أقصد الرسالة وقرار النضال، وليس المنزللة وجبريل.. وبسبب تلك الرؤية النبوية في العبودية فقط وفقط التحق بلال الحبشي بالاسلام.

(شر الناس من يبيع الناس).. هذه هي كلمة النبي، تبرز على الورق بصورة تخترق بها كل الكلمات التي سبقتها في اشكالية الاستعباد. لأنها تقع على مقتل محددات الطيب والخبث واحتيالاتها، سيما مع الاستعباد ومبرراته التي قبل وقال بها عين كثير من اليوتوبيين منذ افلاطون. ولحملها حرجيات سلم القيم من جهة صياغتها. وللبساطة اللغوية التي داست بها العبارة سؤدد المشكلة. ففي نفس لغتها يقوم برهانها. فقط بوجود كلمة (بيع). كونها تُعير البشرية بأن البيع مفردة لاشياء الانسان وليس للانسان.. هنا تقوم النكتة في بلاغة البرهان النبوي وعبارته؛ ان الانسان لا يباع وإنما اشياءه.. من جهة أخرى هو ان المقولة لاتجعل مفردة البيع المطاف الاخير للشر، وإنما المطاف الاخير للناس، فقال (شر الناس) ولم يقل (شر الاشياء).. وبين ذاك وهذا خيط القيمة.

المفروض ان كلمة النبي تلك تكفي لتتفي عنه ماالصقه به الكهنوت من تشريعه للعبودية. وفي نفس الحين تبين خيانات الكهنوت للنبي. وكذبة الفقه الاسلامي وتشريعه. وانه فقه بدون الله ودون نبيه. انه كفر بهما فحسب¹⁵⁸..

¹⁵⁸ ليس من الصدفة ان النبي اودع مقولته هذه (بيع الناس) في اذن ابي ذر وحده. فهي وصلت منه وحده، لم يتشرف غيره بنثرها على الاجيال. لذا مات بها وحده، بعد ان عرف الكل ان ابا ذر هو صاحب التاريخ في الصراع مع الارستقراطية الاسلامية والمنتزعة الاولى على الكهنوت الاسلامي... وهو ماكان يضمه النبي في ايداعها حصرا بابي ذر، كون قصته لم تبدأ الا بعد رحيل النبي..

لايعبأ الكهنوت وفقهه بهذا النص النبوي ويتجاوزوه بوقاحة اجتهدا ما، ويكل بساطة، او يهمله ليحمله نصا من الادبيات العامة، أو يلصق به ازمة السند وانتهى الامر. ولكن لايمكن للكهنوت او غيره الهروب من الزامات الكلية المعرفية مع قاعدة السلطنة؛ (الناس مسلطون على اموالهم وانفسهم). وهو مايصفع الكهنوت بقوة لان كتبهم عينها تتبنى هذا الاس التشريعي للنبي وتتفق عليه. بحيث انه ينفي اي حكم يخالفه. وعمله هو نفي كل ما يسلب من الانسان سلطته على نفسه. وهو ما تبلغ قمته مع (الرقيق). ولكنها شانها شان كثير من مقولات ومبادئ النبي، يقفز عليها الكهنوت بكل صفاقة. كما انه التف عليها بحذف كلمة (وانفسهم) منها، وجعلها محصورة بكلمة (على اموالهم)، رغم ان المصير المعرفي للمقولة يتوقف على كلمة (وانفسهم)، بحيث يكفي معها ان تنتفي مسألة العبيد من راس، عن شريعة النبي وجمهوريته، وان لاوجود لها اصلا، دون الحاجة الى جدل معرفي يرتبط بالتوثيق والتاويل.

هذي القاعدة هي المؤسسة قبل كل شي لمفهوم الحرية في شكله النبوي¹⁵⁹. وهي القاعدة الاهم معرفيا ويوتوبيا إذا ماقورنت مع كل عمل فلاسفة الحرية ومتفقيها وعامتها. سيما مايخص فكرة العقد الاجتماعي مع روسو وهوبنز ومابعدهما. ولكن العرب لم يعطوا هذه القيمة النبوية للغرب، وإنما اعطوا عن النبي انه مؤسس للجواري والعبيد. ليس هذا ماكان يعرفه فولتير وجيله عن النبي والاسلام.

¹⁵⁹ بالتأكيد هذه المقولة تنفع في نفي احكام كثيرة استند بها الفقه وضاع بها المجتمع الاسلامي، واهمها بالذات هو حكم سلطة الاب على البنت في التزويج. رغم انه حكم لايجتاج لذلك. لانه تُفنى من جهات أخرى، كان قد كنس اوساخها كتاب (مبغى المعبد)..

بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَاَنْكِحُوهُنَّ بِاِذْنِ اَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ اُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ..). اي اشتراط اذن اهلهن، ومهر خاص بهن. بينما ملك اليمين في المنظومة الفقهية، يجعل الاذن لسيدها لا لاهلها، والمال له ايضا وليس للفتاه.. وهو أيضا نكاح في تداوله النصي (فلينكح مما ملكت أيمانكم).

الايات الست الباقية¹⁶¹ التي تتعلق بشكل ما بملك اليمين، اصلا لاتحمل اشارة تناسب راي الاسلام التاريخي في حكم الجارية. كما ان الاية الاساسية السالفة تحكم منهجيا باقي تلك الايات الست. لانها آية تقع في حزمة الايات المركزية الخاص في حلية وحرمة الجسد بين الذكر والانثى وجوديا وقيميا. إذن فهي الاية المركزية في قصة ملك اليمين قرانيا. اي انها حاکمة على كل الايات في دلالتها بخصوص ملك اليمين. ولانها من جهة

161. 1. {وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَاتَّوَفُّهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ اللَّهِ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا}.. عقدت هنا تجعل من مفردة ملكت ايمانكم ليس للاماء... 2. {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ}... 3. {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا}... 4. {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}... 5. {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَعْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَكْبَحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}... 6. {لَا يَجِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا}..

دليل ديانة الفقه في حلية العبودية رخيص جدا. باعتماد على تداول القرآن لمصطلح (ملك يمين) فقط، رغم انه مصطلح لا يخص العبيد حصرا، ولم يرسخ بهذه الشاكلة الا متاخرا مع الكهنوت، ومع الالفه التاريخية بمرور الزمن. فمعظم تحوير وتزوير الاسلام كان مجالا تأويليا تفنن به لصوصه. سيما ان النص القراني يتميز بقابليته للانتقال الدلالي، بسبب صياغته الرمزية التي اوصلته الى القدر الذي امتنع عن حجابه ابن ابي طالب بقوله (لا تجادلوهم بالقران فانه حمال وجوه). كما انه هذه الرمزية عينها كانت سببا لجعل ابن ابي طالب يقول (كم من ضلالة زحرفت بأية من آيات الله).

المصطلح المتداول (ملك يمين) لا يشير لدى العرب حصرا الى الاماء والجواري كما هو التداول الفقهي وانما يشير في اصل اللغة والتداول التاريخي مع اهل الجزيرة الى الكناية عن (مطلق حق التسلط)، في اي ملك مادي، إمارة او دار او ابل او خيل او ارض او بستان. لذا كان الاوائل يحتاجون الى قيد لغوي معها للتمييز مثلا بين المرأة الزوجة والمرأة الجارية. فيقولون ملك يمين بالنكاح او ملك يمين بالرقبة. اي ان الزوجة الحرة هي ملك يمين لدى العرب ايضا، وليس العبد فقط¹⁶⁰.

اضافة الى ذلك، وهو الاهم، هو ان مايتحدث عنه القران في خصوص ملك اليمين، يظهر كأمر مفارق للاسلام الكهنوتي في نكاح الجواري بتلك الاباحة، لان القران يتكلم عن منطق آخر للجواري بمقاييس منطق زواج؛ (وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ

¹⁶⁰ انظر مثلا الاستخدام المقيد مع ملك اليمين مع؛ القطب الرواندي، تفسير القران، ج2، ص88.

أخرى هي الآية التي تمثل وضوحا كاملا، تفصيلا وتقبيدا لما هو مجمل ومطلق. وهو الامر التي تفتقده تلك الايات الست المطلقة، والمقيد يحكم المطلق..

بل بعيدا عن ذلك، كل تلك الايات الست تاويلها حاصر ازاء أي تأويل تعسفي. خاصة بعد ان عُرف الاصل الدلالي لعبارة ملك يمين عربيا، وانها لم تكن تشير قبل اسلام الجواري الى الجارية، وانما الى الملك الشخصي. او اقلها يمكن حجاج الكهنوت بان الايات الست ضنية الدلالة بعين رأيه، ولايمكن ان تقف قبال الكليات النبوية السالفة سيما قاعدة السطنة، وهي كليات قطعية الدلالة والاصل.

في تكملة الآية شيء ايضا (... وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تُصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ...) هنا الكلام مع الجواري ايضا بعنوان الاحصان لا السفاح، وأيضا هنالك منع للفاحشة، ومنع اتخذا الاخذان. وهو مخالف تماما للوجه التاريخي لقانون الجواري وشرعته مع الكهنوت؟ حيث فيه يؤجر السيد جاريته لآخر جنسيا، لليلة او ساعة، او لجزء من جسدها، كقبله او بما دون الفرج، حسب اصطلاحهم المثير صراحة.

6

كل الحقيقة ولغزها في قصة العبيد ووجودهم ايام النبي، هو ان مجتمع الرق ايام النبي لم يكن طبقة عبيد وانما طبقة خدم فحسب.. هذا هو كل اللغز التاريخي لشبهة تشريع العبيد، بهذه البساطة. اي انها وضيفة اجتماعية فحسب. الفتوحات جعلتها طبقة جنس، والكهنوت جعلها طبقة عبيد. فالجارية فضة ليست عبدة فاطمة بنت النبي وانما خادمتها،

بل عاملة في الخدمة. لذا كان اسم جارية في اصل المفردة لغويا هو صفة انتزاعية عن السمة الاساس في (جري) الخدمة. إذ هنالك امراة مثلها مثل الرجل كانت تضع نفسها في خدمة آخر، بتعاقد واتفاق. سيما ان الكثير من الجياح كان يقبل اي طعام او منام قبال ما يخدم به، لانه لا يملك سكنا ولا طعاما حتى، وكأنه فقير تكرمته العائلة التي تحيطه، وهو مايمكن فهمه إجتماعيا آنذاك عن كلمة الحسين الى جون مولى ابي ذر، لحضة كربلاء؛ (انما طلبتنا للعافية فانت في حل مني). التي تؤكد منحى ذلك بقوة. واضح الامر في ان جون التحق بخدمة الحسين كي إلتجا له وحاجة إلى نبالته. بينما الكهنوت الشيعي يسيئ للحسين ويجعل له جواريا وعبيدا أيضا. انهم كهنوت ايضا اذن هم يسرقون الوجود ايضا، كما باقي الكهنوتيات.

سرقة الكأس..

(الله يصب الانبياء، والناس تشرب الفقهاء ..)

جمهورية النبي

(يقول الكنافشة ان السماء خلقت الناس ونصبت النبلاء فوقهم.. ولكن لماذا ينبغي اقحام السماء في القضية؟)

التاوي ياوجنغ ين

1

الشيء الاول والاخير الذي يكرهه الله في عباده هو الجبن منه. لذا فالله يحترم الملاحظة كثيرا، لانهم جادين معه. اما الملاحظة الذي حاربو دينه من اجل الانسانية فانهم انبياء لديه، سواء رضوا ام لم يرضوا. الكثير منهم لا يرضى، وذلك يجدد عظمتهم. علما ان الزهد بالنبوة هي صفة صوفية اصلا.

مشكلة المجدد هو انه مؤمن متورط بجبنه. جبن لايسمح له ان يخوض ابعد في الطريق ولا في رفع احجاره. وجبنه في عين إيمانه ذاك، إيمان مغلوط. لانه جبن من الله نفسه وليس خشية منه، وهو عين مارفضه ابن ابي طالب في عبادة الجبناء. إذ كيف مثلا يقبل المجدد على نفسه اتباع اله يقول بالاستعباد فرضا. او اقلها لماذا لا يتسأل؛ لما هذا التضاد الداخلي لايدولوجيا الله. قوله بالخير و بالعبودية في نفس الوقت.

2

لم ينكر ايا من الاصلاحيين شرعية العبودية، او يشككوا في نسبها الى النبوي وفضح كذبة تشريعها الكهنوتي. رغم كل ماعرض سلفا من النبويات المضادة لديانة الفقه في العبودية. ورغم كل ما على عنوان العبودية هذا من شهرة سيئة الصيت، كممثل للعار الايديولوجي الاكبر، الذي اسقط قيمة كل(المدن الفاضلة) نفسها، وكذب مثالياتها، واسقط

باقي الايديولوجيات التي ادعت حلم تلك المدن تاريخيا. ورغم أنه حرام انسانوي لاحتاج الى دليل حرام ديني، وحرمة هي بديهية قلب لاإشكالية فيلسوف.

لذا فالتجديد كذبة ايضا، لانه على هذه الشاكلة دائما. فأني تجديد هذا ان كان الاستعباد مقبولا فيه. انهم يقبلون على النبي مثلبة تكفي وحدها في نفي الله نفسه. وهذا ايضا يعود مع المجددين الى عين بنية المحافظين لاشعوريا. هذه هي بنية الاسلاموي حتى في يساره.

اما الكهنوتيين فقصتهم اخرى مع الجبن، وتماديهم بحلية ذلك، والدفاع عنه، جبننا من التجاوز المعرفي لمن سموا بالعلماء، ومن سطوة الهوية والشكل التقليدي للايديولوجية في العرف الديني والاجتماعي. وحفضا على اسماء التاريخ الممثلين للقومية الاسلامية ممن حللو العبودية وعاشوها.. الله لامدخل له هنا اصلا. خوفا على قوميتهم فحسب.

3

اقصى مايقوله المجددون في تبرير خطيئة العبودية، هو ان النبي كان مُكرها على قبول العبودية، وانه فُرض عليه، لانه كان السائد انذاك.¹⁶². ولكن اليس ان (المبدأ) هو الشيء الوحيد الذي لايدخل عليه مفهوم الظروف والا لايبقى ضمن تسمية مبدأ، وينقلب حينها إلى سياسة ومصلحة.. المبدأ هو ذاك الذي إما ان تحمله او تلقيه. التهاون فيه

¹⁶² لم تكن هنالك كلمة تعبيريه للامر الا كلمة العقاد؛ (ان الاسلام شرع العتق، ولم يشرع الرق). ولكن لم يقصد ان ينفيه فيها للاسف، هكذا اللغة تفارق كاتبها، ولايسمع حتى ماتقوله له.

يرفع اسمه، تماما كما أكدت البشرية باعتمادها جملة (تنازل عن مبدأه)، فهو اما ان ترتديه او تنزعه. لاشكل آخر للثوب. سيما ان كانت ازياء غاندية.

كل القصة ونكتتها، ليس ان النبي كان مكرها، وإنما هو ان النبي لم يكن يقبل ان يجبر الآخرين على عتق عبيدهم، في نفس الوقت الذي كان يعيب ويحرم العبودية ويوضح انها خطيئة كبرى ويردد (شر الناس من يبيع الناس) و(اذل الناس من اهان الناس).. ليس خوفا من الظروف وتهديد نواة دولته الاولن كما يرون. وإنما لسبب بسيط، ولكنه (مبدأ) لذا فهو يحم النبي نفسه، وهو ان منطق كني هو انه معلم فحسب، يعرض حكمة ولا يفرض قانونا¹⁶³. اي كان سبب عدم الاجبار هو عين التزامه بمبدأ المعلم، وليس ظرفا. ومنطق المعلم هو ان تجبر تعاليم كلماته ارواحهم على قيمة، لا ان تجبر اياديهم عليها. هذه كل القصة في وجود العبودية هنا وهناك ايام النبي.

اما حينما تكلم عن العتق فلايعني انه ضمنا احل الرق كما يرون، بل بالعكس. إذ لو كان الموصي بالعتق هو عينه من قام بتحليل عبوديته فحينها سيكون امره عبثيا. ولايلق العبث بحكيم فكيف بنبي. إنما أدخل النبي مسألة العتق كقيمة دينية من بنية الدين الاخلاقية ومن بنيته العبادية، توائما مع كونه معلم روحي يوجه شكل الفعل النبيل للذات الانسانية، ليحاول بذلك محو شيئا من التركة الثقيلة للعبودية حيث اكثر من نصف البشرية مستعبدة.

¹⁶³والا ماذا تتفع اية وادعو الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فحسب.. اصحاب الفتوحات جعلوها بالنار والدمار.

باقي الاسلاميين مازالوا يكتفون في احسن ردودهم على النقودات الانسانية التحررية المتهمة لهذا التشريع في الكهنوت الاسلامي؛ بان الاسلام شجع على تحرير العبيد حتى وان اقره للاسياد الداخليين في الجماعة الاسلامية. ولكن عين هذا الدفاع الاحمق يضحك عليه التاريخ نفسه وليس العقل، لسبب بسيط، وهو؛ ان العبيد الذي كانوا عشرات في مكة ايام البعثة اصبحوا ملايين وملايين في الامصار الاسلامية. وان ماتملكه الجزيرة العربية قاطبة من الرقيق ايام النبي، يملكه فرد واحد في الاسلام الامبراطوري. وان الالف الذي حررها علي ابن ابي طالب بكده خلال اعوام ، سبا المتوكل اضعا فها في يوم واحد.

ليس مؤسفا اني ابحت عن مذهب اسلامي واحد يرفضه، فلم اجد بتاتا. المنبوذون من الامة وحدهم رفضوا ذلك. وابرزهم صاحب زنج وزنجه. فهؤلاء المتمردون رفضوه كحكم الهي للنبوته، وليس فقط رفضا وجوديا كظلم من طبقة السادة. مع ذلك فالرفض الوجودي هو الذي اسس لهم بديهية كذبة تشريعه. فالجميل معرفيا معهم هو انهم يقيسون النبي وجوديا مع الاشياء والافعال؛ مايلق بالنبوته ومالايلق، حسب انسانية الفعل والشيء. فهم يدركون بديهيها، استحالة ان يكون النبي طبقيًا، استعباديا.

بل بسبب بديهية خطأ الطبقة والعبودية، انتقد الكثير النبوته نفسها ممن انطلت عليهم انها تشريع نبوي وليس كهنوتي. وهو عينه مايمكن ان يفسر لي كلمة الداعية القرمطي الاكبر ابي سعيد الجنابي؛ (لدى الانبياء الكثير من الخطل)، حيث احدث بقوة انه يريد بذلك العبودية وباقي الاحكام الطبقيّة المتوقع انها للنبي لدى الجنابي. بل يؤكد التاريخ انه بسبب هذا القول انتمى اليه الناس بكثرة، وبسرعة تفاجا بها عين حمدان بن قمرط، في انه افضل منه كداعية. المؤرخين يعتبرون انه داهية خدع الناس، بينما الحقيقة هو

ان هولاء الناس يشعرون ببديهية ظلم العبودية والطبقية ولا يعلمون ان الحكم كهوتيا وليس نبويا، لذلك فهم من كان ينتظر من يقول كلمة القرمطي هذا. لانه يكلم جراحهم، وليس ربهم.

هذا الامر انطلى على كثيرين في التراث غير ابي سعيد الجنابي، بحيث دخل على عين الدرب الصوفي في بعض اخطائه بعدم عزلهم النبي عن الكهوت. ولكن ما يصدمني هو ان مفكرين معاصرين، اي في فترة تبينت كل الحقيقة، وملمين بالتراث والكهوت وخدائعه من قبيل هادي العلوي يجد نفسه مصدوما ان الاسلام يقر الطبقة. رغم انه يعرف ان الكهوت زور الكثير من الاحكام وفسدها على النبي. بل يكاد يكون اختصاصه هو زور الكهوت والتاريخ فحسب.

4

اتفق الفقهاء وكهوتهم على ان الاسلام يقول بشرعية نظام العبيد والجواري. كما يقول ايضا بشرعية منطق السبي في الحروب واستعباد الاسرى والتسري بالنساء وابعادهن عن اولادهن وازواجهن واهلهن وكل العذابات الانسانية الاخرى، في الفترة التي كان الفقه يطوع للسلطان القرآن ونبيه، فيجعل القبيح جميلا والخبيث طيبا والحرام حلالا¹⁶⁴. وكان سيدا للجواري وليس تلميذا للعلم او رجلا للمبادئ او جيلا للنبي... ثم تاقلموا مع ذلك

¹⁶⁴ يمكن هنا مثلا اخذ الاحكام التي جوز بها الفقهاء للسلطان قتل اخوته حين تسنمه الحكم بكذبة اجتهادية اسماء (الحفاض على الدين). اي دين هذا يُعلم على قتل الاخوة لاجل بقاءه!. هذا الامر حصل مع كثير من سلاطين الدولة العثمانية وابتدئت مع محمد الفاتح نفسه صاحب القسطنطينية واحتلالها.

الشرع، حتى اصبح جزءا من البنية الدينية، التي لها بابها التشريعي المقطوع به، كمسلمة معرفية دينيا او الهيا. حتى تكاد تبلغ معهم عنوان (ضرورة) من ضرورات الدين، يمثل نكرانها خروجا عليه. وهكذا بمجرى كلمة جورج سنطانيا؛ (لا ريب ان الرذيلة بين البشر، حين تغدو شرعية دستورية تصبح فضيلة يقرها العرف وتنعت ببهاءها والثبات والقوة). غدا حكم العبيد امرا غير معيب في المخيال الاسلامي الجماعي، تماما كما فعلت رواية التوراة عن حام بن نوح في الاثر النفسي على قبول استعباد الزنوج كامر طبيعي، لدنوه في سلم البشرية اكثر من سلم دارون، وسلم هتتر. وعموم سلم النبلاء مع فكرة الدم النقي، سيما في الغرب اذبان القرون الوسطى. ناهيك عن الزخم التاريخي لتداول الجواري في العالم الاسلامي كان كبيرا. وبالتأكيد كان يوازيه حضورا (الزخم) التشريعي له في المنظومة الفقهية.

ومما يلفت، هو ان ابواب العبيد في المنظومة الفقهية على كثرتها لاتناقش في مداخلها اصل الحلية كما هي عادة معظم الابواب، وانما احكام العبد مباشرة، وفي زاويا لايعبأ انها ليس في حقوقه وانما في عبوديته ولوازمها. بل الخطاب في الحكم للسيد و ليس للعبد، رغم انه يتعلق به؛ احكام منعه من القضاء وامامة الصلاة، وحق قتله دون قصاص، وعموم التمييز العنصري والطبقي في الزواج وغيره. او مثلا كيف يعاقبه اذا هرب. يسموه حينها بقاء، وهي مفردة إنكارية تجريدية. انهم يعاقبون على التحرر دنيويا ناهيك عن تسجيل عقابه اخرويا كخطيئة دينية رسمية فقهية. بينما ابن ابي طالب يعاتب عين العبد ويعتبر ان جنبه عن التحرر والسكوت على عبوديته هي خطيئته قبل ان تكون خطيئة السيد (لاتكن عبد غيرك وقد خلقك الله حرا). فهل ابن ابي طالب هو رجل غريب عن الدين ومن جماعة فولتير، ام انه رفيق النبي في بناء الدين وقيمه.. او مثلا

يناقشون احكام وحریات البعد الجسدي جنسيا مع الجواري. احكام اقل مايقال عن سوء الاخلاقي الذي وصلته هو انها احكام مواخير لا احكام معابد. بل لاتناسب حتى عين الرجولة العربية الاولى، كما هو مثلا حكم ايجار السيد لقبلة مع جاريته، او ايجارها ليلة او ماشابه. او مثلا اذا حدد له التمتع بسيقانها، فلايجوز الوصول الى صدرها..

بل من مهازل الفقهاء وبنية فقههم هو انهم يؤسسون قاعدة، وياسم جميل؛ اصالة الحرية؛ (إن شكَّ في شخص انه حر ام عبد، فالاصل انه حر). هنا يفتحون حلا وقانونا تدبيريا للمجتمع في سوقهم وحياتهم. ليُفروا ضمنا مجتمع السادة والعبيد. بل ان خطاب القاعدة هو للسادة وليس للعبيد. كما ان فيها ضمنا ترسيخ بديهية ان الناس صنفان عبد وحر، وليس احرارا فقط. المفروض ان نقاش هذا الامر في حد ذاته خطيئة. لاعلم الم يسمعون صراخ علي في اوراقهم؛ (ان ادم لم يلد عبدا او امه. وان الناس كلهم احرار).. انه صراخ كبير؛ ان الناس كلهم احرار.

ليس فاضحا ان امة الكهنوت تتفق على تشريع العبيد وتختلف على تشريع الثورة. بل ان معظم الفقهاء في الاسلام الرسمي يتفقون على تحريم الثورة ضد السلطان الجائر، كما يؤسسون لاجل ترسيخ ذلك قاعدة فقهية لاصل لها، وهي (الحفاض على بيضة الاسلام)، من باب ان الملك يحفض الطقوس والاسم الاسلامي إزاء الصليبيين والوثنيين وغيرهم من الشعوب المجاورة. بينما بديهيات نفي العبودية مثل (شر الناس من يبيع الناس) يتجاوزها دون اي حساب لفضيحة معرفية معها. اليس من السفاهة ان يحمل الفقه في اكبر مباحثه بابا للعبيد هذا يتسع للظلم كله، بينما لاتوجد كوة واحدة للثورة فيه. اليس مريبا ان باب العبيد في المنضومة الفقية الاسلامية يحمل من الزوايا

والاتساع والاهتمام مالم تصل لريعه أي ايدولوجية استعبادية عرفها التاريخ. كيف يمكن ان يوثق بهذا الفقه إذن.

وبالطبع يرون ذلك من جمهورية النبي ومنطقه الالهي في الارض، وقيمه الانسانية. ليجعلوا مدينة النبي مدينة عبيد وامبراطوريات شانه شأن كسرى وهرقل وغيرهم. اعتقد إذن ان القرمطي ابي سعيد الجنابي كان معذورا حينما اخطأ وقال بخطر الانبياء بعد كل مارأه من تلك الامبراطوريات الاسلامية. انه رجل نبيل تحسر على قيمة وجوديا وتجاوز بها الشرع الى ضميره. فأتهم الوحي بالخطأ ولم يتهم قلبه. وهنا كل العظمة

5

لم يعبأ الاسلام الكهنوتي من اقصاه الى اقصاه في ان يشرك بجريمته النبي نفسه، ليدس على سيرته (.. انه اتخذ من الاماء ثلاثا)، على شاكلة ابي جهل والآخرين. لسببين، اهمهما؛ تغطية لحياة الجواري معهم، تزكية بفعل النبي، كي لايتهم دينيا معاوية والرشيد والسلطين الذي حكموا اللهو الاسلامي ..

كل القصة مع كذبة الاماء الثلاث مع النبي، و حقيقتها. تختصر بجملة واحدة هي؛ (ان النبي لم (يتخذ) ثلاثا من الاماء، وانما (تزوج) ثلاثا من طبقة الاماء..). وهذا مالايتحملوه ابدأ؛ بان نبيا ووجيها الهيا او بالاحرى قرشيا، يتصاهر مع طبقة عبيد، لذلك حاولوا سد ذلك بقولهم انهن جواريه وليس زيجاته. وهذا هو السبب الثاني عينه. فزواج الاماء لديهم لايليق بقرشية النبي وطبقته، سيما انه في فترة التدوين بلغ هذا الامر اقصاه في عيبه. فالأمة تُتخذ للتسري بجسدها دون زواج. وللامر جذوره في القبيلة الجاهلية، بان يصل الامر انه حتى وان تزوج من طبقة ادنى يشترط ان يعزل ماءه

عنها، حتى لا ينجب منها ابنا بنسبها، لانها ليس بقدر شرفه وطبقته.. لذا حينما كان مروان بن الحكم يعير الامام زين العابدين بن الحسين على زواجه من امة عبدة، كان العرف يعتبره ايضا عارا. علما ان الامام لم يعبأ بذلك، لان مبادئه من فرضت عليه ذلك في نفي العرقية والطبقية، فليكن مايكن، طالما يسلم مبدأه. بل ان هذا الامر دخل رسميا على الكهنوت ليفرضوا نوع من الحرمة فقهيا بزواج الأمة ان كانت هنالك الى جنبها حرة. المهم هو انهم لا يقبلون على النبي زواجه من طبقة ادنى فقالوا انهن جوارى وليست زوجات. بينما يرون اتخاذ الاماء جواريا فقط للتسري كالأباطرة هو مايليق بالنبوة. هذا هو الكهنوت وهذه هي البنية التي ركلت الرسالة.

لابأس ان ننظر الى نص كهنوتي كيف يشوه النبي بهذا الوصف لحياته؛(انه اتخذ من الاماء ثلاثا : عجميتين وعربية فأعتق العربية¹⁶⁵ واستولد احدى العجميتين، وكان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه : مارية القبطية ، وريحانة بنت زيد القرظية ، أهداهما المقوقس صاحب الاسكندرية ، وكانت لمارية اخت اسمها سيرين فأعطاها حسان فولدت عبد الرحمن فتوفت مارية بعد النبي بخمس سنين ، ويقال انه أعتق ريحانة ثم تزوجها (...) ان النبي اختار من سبي بني قريظة جارية اسمها تكانة بنت عمرو وكانت في ملكه فلما توفي زوجها العباس .)¹⁶⁶.

¹⁶⁵ هنا يظهرون النبي عرقيا لانه لم يعتق الا العربية. تماما كم جاء لاحقا بمنع استرقاق العربية بحجة ان الله وسع في الاعاجم. وكان الله لا يريد عبيدا الا من العجم، اما كرها بهم او حبا بالعرب.. المهم جعلوا الله في ذلك طبقيا.

¹⁶⁶ مناقب ال ابي طالب. ج1. ص 137.

اعتقد انه نص توصيفي لملك وليس لنبي. كل هذا و لايشعر الكهنوت ماذا يفعل بالنبي، انه ايضا بنية اخرى للكهنوت، تلك التي حرت في محدداتها، ولكني اسلفت ان مايهمني هو ان نصل القرف منها فحسب. وها نحن نصل ابعد من ذلك..

علما اني لادافع عن النبي هنا تدينا كنبي وإنما كموقف اخلاقي ثقافي له كإنسان. بل اعي اسا مهما، وهو ان وظيفة الانسان هو الانسان، وليس الله او وكيله. لذا دفاعيا ابدا ليس ايدولوجيا، بقدر ما هو تيقن بان الحقيقة ليست كما هي لدى الامة. ودفاعا عن انسانيته لا عن نبوته، ولنقل اقلها قبل النبوة، لذا في عقيدتي ان النبي اضرته النبوة وعلى اسمه. فلم تأت تلك التهم من هنا وهناك وذلك الدس لولا انه ابتلى بالنبوة.

أصل حكاية المبدأ مع النبي في زواجه من الاماء، هو انه لم تكن لديه المشكلة هي الرق فقط؛ في بيعهم وشرائهم واستعبادهم ومعاناتهم، وانما كانت الطبقة بعنوانها الاكبر، التي يعود لها اصل احتقار مجتمع الرق. إذ حتى وان تحرر العبيد فهم سيقفون طبقة اجتماعية محتقرة ومنبوذة في مجتمع الجزيرة بحيث لايجوز تزويجهم ولا الزواج منهم. لذا لم يكن هم النبي ان يكتفي برفع الاستعباد ومنعه، وانما مساوات طبقتهم مع باقي الطبقات، وتأصيل مسألة وحدة الانسان. إذ حتى وان حرم الاستعباد، ولكن المجتمع القرشي وياقي الطبقات الكبرى بقيت رافضة للتعامل مع العبيد في اجتماعياتها. وهكذا بدأ دربه المعروف في تزويج المقداد واسامة واخرين بفارق طبقي كبير. وقام هو بنفسه بذلك حينما تزوج من ريحانة وجويرية وماريا وصفية. ليس فقط لانهن إماء، بل

ايضا لانهن من اديان واعراق عدة. لتثبيت الاممية ونفي الشعوبية من جهة ولترسيخ وحدة الاديان.

بل ان عين كثرة زيجات النبي تاتي في الوجهة العامة لهذا الاطار التوحيدي، فزوجاته كن من اعراق عدة ومن طبقات عدة ، ومن عشائر عدة ، كي يوجه بهن قيمة كبرى، تتمثل في وحدة الانسان وتوحيد عناوينه. سيما اذ عرفنا ان التوحيد الديني مع النبي كاصل اول هو التوجه الانساني وليس التوجه اللاهوتي، فالموحدون لديه، ليس هم القائلين بالالوهية الواحدة، وانما هم القائلين بالبشرية الواحدة.

هذه اصل الحكاية رماها النبي في قلب الجزيرة وعانى من اجلها كحكاية قيمه ارادها الاسلام، ولكنها انتهت مع الاسلام التاريخي وفقهاءه بان انقلبت الى ضدها. واصبح معها النبي مشرعا لاسلام الرقيق. أعاتب هنا الوجود؛ فلما كل هذا العناء، دون ان يتغير شي. وكان الله زاد الطين بله بانبيائه، والذي قاله من اجل العبيد اصبح عالا عليهم.

علما ان التاريخ في اصوله الكبرى يقول بدقه انه تزوج منهن، ولكن الكهنوت حينما يتكلم عن نساء النبي يصر على تسميتهن جواريه، ويحددن، حينما يأتي ذكرى نساء النبي، بان ريحانة وصفية وجويرية، حتى ماريا¹⁶⁷ ام ابنه ابراهيم، هن جواريه. واحيانا يكون تعديهم اكبر بتوصيفهم ان ماريا وصفية هما سريتان له¹⁶⁸ وليس جوارى. إذ السارية هي للمتعة الجسدية بينما الجارية قد يُكتفى بخدمتها فحسب. بل ان تلك الاصول الكبرى للتاريخ تقول انه كان قد اعتق كل تلك النسوة في طريق تحرير العبيد.

¹⁶⁷ المغني، ابن قدامة، ج8، ص150... البيهقي، السنن الكبرى، ج10، ص346... فتح الباري، ابن حجر ج9، ص253... الطوسي، تهذي الاحكام، ج8، ص41....

¹⁶⁸ مناقب آل ابي طالب - ابن شهر آشوب ج 1 ص 139.

فماريا اعتقها من المقوقس، بينما الكهنوت يقول انه اخذها هدية منه على شاكلة الملوك في اهداء النساء. وكذا الامر مع زوجته جويرية حيث استنقذها من اسارى بني المصطلق بعد انكسارهم.

من جهة اخرى في سبب هذا الدس هو ان بعضهن يهوديات، الاولى ريحانة بنت عمر بن خنافة من يهود بني قريضة، والثانية صفية بنت يحيى بن اخطب من يهود بني النضير. الامر الذي مثل عقدة مع الاوائل بعد النبي وزاد الامر، سيما حين تحول المجتمع الى مجتمع حربي ضد باقي الاديان. وهنا سيكون الدس على النبي بتحويلها من زوجة الى جارية رافعا شرعية زواج نساء باقي الاديان. لذا نجد تحريمات ملحة من قبل بعض الصحابة لنساء الاديان الاخرى.

7

لاعرف كيف بقي النبي نبيا بعد كل هذا الدس عليه؟!، واهم مافي ذلك هو ما يصفونه للنبي في السبي مع صفية بنت حي بن اخطب ليجعلوا له قصة لايقبلها على نفسه حتى المحارب غير الاخلاقي، والمتهتك في حربه، فكيف ان كان نبيا. بينما الكل يردها في كتبهم الداخلة ضمن تسمية الصحاح..

يقول الكهنوت ان صفية هذي يُقتل زوجها وابوها وعمها بأيدي المسلمين، فياخذها النبي، ثم لايلبث الا قليلا بعد المعركة حتى يختلي بها، بل بعناء ان يوقف الجيش لينصب خيمة له معها عدة ايام من اجلها وسط اصحابه. اي بنية للكهنوت سمحت

لنفسها ان تشوهه هكذا. والاهم هو، اي بنية لدى المتنورين والمجددين سكنت على هكذا سوء باسم النبي.

8

يمكن ايضا رؤيه هذا الدس التشريعي والتاريخي، في دين رجل الفقراء والتعساء والعبيد والمتالمين، على ابن ابي طالب، كابرز تلميذ نبوي في طريق الضياع الاسلامي ، وصاحب المقولة الاولى للعبيد في الثورة (لاتكن عبد غيرك وقد خلقك الله حرا) والمختصرة لكل دستور العبيد دون اي مبالغة منبرية، والتي لايمكن ان نجد لها بديلا منذ اسبارتوكس ومزدك مرورا بصاحب الزنج الى مارتن لوتر كنغ، ولن يجدوا.. ليس لانها تؤكد حق الثورة لاهوتيا/ (وقد خلقك الله حرا)، كما وجوديا بانها الماهية والهيئة والحق الاول في اصل الخلق. كما ليس لانها مقولة (ثورية) تحريضية. وانما لان ثورتها على عقل العبد لا على سياط السيد¹⁷¹. بينما من غرابة أمة الفقه في الاستعباد، ليس هو انها تشرع ان يكون هنالك عبدا للسيد. وانما خطيئتها هو انها لا تجيز للعبد الانفكاك عن سيده، وتعتبره حراما نبويا. بل، لا تتركه حرمة الله فقط. وانما تشرع عليه حدا دينيا يضع على ظهره سياطاً باسم النبي ان تحرر من سيده ، وتسميه حينها (آبقا) تجريما له .. هذه امة الفقه، وذاك تلميذ النبي..

هذه الامة تروي مقولة الثورة تلك لعلي وتعرفها جيدا عنه، كما انها عرفت هذا الرجل جيدا، ووصلت حتى الى تأليهه، ولكنها لا تبالي مع عين الكهنوت الشيعي الذي يتخذه

اختصار مايقوله الكهنوت في ذلك تاريخيا: (صارت صفية لدحية في مقسمه، وجعلوا يمدحونها عند رسول الله. ويقولون: ما رأينا في السبي مثلاً.. قال الرواي: فبعث إلى دحية فأعطاه بها ما أراد، ثم دفعها إلى أمي، فقال: أصلحها، ثم خرج رسول الله من خيبر حتى إذا جعلها في ظهره نزل، ثم ضرب عليها القبة¹⁶⁹. او (فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب وقد قُتل زوجها فكانت عروساً فاصطفاه النبي لنفسه، فخرج بها حتى بلغنا سد الصهباء حلت، فبنى بها¹⁷⁰.. كيف دُست على النبي وكيف قُبِل دسها طوال تلك القرون، دون اي غيره عليه. سيما ان من يعرف اساس ماحدث في نفس اليوم من قتل لبني النضير قاطبة من اليهود، وماسيكون في تلك الليلة من عذابات الايتام وبكاءهم على اباؤهم واخوانهم وبيل وامهاتهم اللاتي نمن في تلك الليلة في احضان المسلمين لاضنه يقبل ان يضاجع فتاتهم وهي بتلك العذابات بموت اهلها وضياح بلادها. بل كيف يمكن توقع ان نبي ياتي عن موت ودماء وينام مع الجواري في اول ليلة بعد المعركة. بل ان عين صفية كان قد قُتل ابوها وعمها وزوجها واخوها. لاعتقد ان اي نقي يقبل ان يضاجع امرأة قُتل اهلها للتو. وهي في بحور من الالم. بل كيف ان كان هو سبب قتلهم. بل من أخطاء هذا الكذبة التاريخية، هو انهم فقهاء يسيرون بالف جهد حتى يؤكدوا انه لايجوز مس المسبية الا بعد حيضة، بينما يجعلون النبي اول من يعصي حتى هذا، لان روايتهم تقول انه ضاجعها من اول ليه. مضحك امر هذا الكهنوت.. هذا هو الكهنوت ودسه على النبي وبنيته وعموم ذاته. اي بلوغ هذا للعارررر. لعل تلك الراءات تضيف دلالة ابعد.

¹⁶⁹ . مسند أحمد: 163|3؛ صحيح مسلم: 152|4.

¹⁷¹ تغني في طريق ذلك كلمة البيركامو في المتمرد واصفا اياه ؛ هو ليس مجرد عبد يثور على سيده، ولكنه إنسان يثور على عالم السيد والعبد.

¹⁷⁰ صحيح البخاري: 135|5

مذهباً، ان تقول عنه؛ (انه توفي عن ثمانى عشرة ام ولد)¹⁷². اي وطاهن جميعاً ليتهم قالوا ثمانية عشر جارية، لكننا تأولنا ذلك انهن عشن في كنفه بأيوهين لاجل الفقر، وانه ابو اليتامى والمساكين. او اقلها جاريات خدمة، رغم ان ذلك يكفيهم لتزوير تشريع (الرق) عنه. اما ان يُجعل هذا (الامام) رجل حزمه من الزوجات والجواري ، ومشغول بالنساء. فهو ظُلْمٌ من مدعي مذهبه ومقدسيه لم يظلمه به معاوية عدوه.

علي هذا المدسوس عليه هكذا سوء من عين مقدسيه هو عينه الذي كان يعمل في خدمة خادمه قنبر اكثر من خدمة قنبر له، وياكل اقل من ماكله بكثير، وهو عينه الذي لم تكن هوايته الا عتق العبيد ، فهو الذي اعتق في زمن النبي فقط الفى مملوك مما مجلت يده. و احيانا بفتح جب ليهودي. وهو عينه الذي ورطه الدرهم الذي ساوى به العطاء بين العبد قنبر وبين طلحة والزبير حروباً وحروباً وخروجاً عليه. هذا الادمان في شخصية علي هو ادمان مبدأ لم يقبله ادمان القبيلة من عرب الجزيرة..

ومن عين الكهنوت الشيعي وبنيتة المشوهة لعل اكثر من معاوية، يبرز مثال من خبر لكهنوته يريد به تناول وجهة مذهبية شخصية، ولكنه يبين حماقة المذهبية عينها في عين مصلحته السيئة. خبر طويل نهايته يخاطب به علي النبي؛ (..أن نبوتك هذه سيكون بعدها ملك عضوض، وجبرية، فيستولى على خمسي من السبي والغنائم فيبيعونه، فلا يحل لمشتريه، لان نصيبي فيه، فقد وهبت نصيبي فيه لكل من ملك شيئاً

¹⁷² مستدرك سفينة البحار، علي النمازي، ج4، ص336. لا باس التنبيه ان صياغة الراوي الاساس هي؛(توفي صلوات الله عليه عن ثمانى عشرة ام ولد). ولا بأس الانتباه الى التناقض الداخلي بين تجليه بالصلاة عليه وبين ماينسب له من تشوه.. رواية اقطع لو اراد علي ان يرويه عن رجل يملك هذا القدر من النساء لقال عنه ، توفي لعنه الله عليه عن ثمانى عشرة ام ولد. لانه يعرف انه فعل طغياني ومتوحش وظلم لتلك النسوة بعيداً عن عبوديتهن.

من ذلك من شيعتي، لتحل لهم من منافعهم من مأكّل ومشرب، ولتطيب مواليدهم، ولا يكون..)¹⁷³..علي هنا يجعلوا طامعا بالسبي والغنائم، ومحلالاً لهما، ومتحسر عليهما.. انهم يشوهوه فقط لاجل نجاح صراعهم المذهبي. لايهم لديهم علي، مايهم هو المذهب فحسب. تماماً كما تكلمت عن البنية التي يكون بها حال الشيوعيين؛ لاتهم الشيوعية، مايهم الحزب الشيوعي. وعلى نسقهم كل الاحزاب في فراق الايديولوجيا.

او هذا الخبر في حرب اليمن وعلي عليها؛(... فظهر المسلمون على المشركين ، فقتلنا المقاتلة ،وسبينا الذرية ، فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه، قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد الى رسول الله يخبره بذلك ، فلما اتيت النبي دفعت الكتاب اليه فقرئ عليه ، فرايت الغضب في وجه رسول الله...فقال رسول الله: لا تقع في علي فانه مني وانا منه)¹⁷⁴ ، هنا الكهنوت الشيعي من حيث لا يشعر يجعل علياً محلاً للسبي ومقتنيا للجواري، وابن الوليد هو المعترض.

كذا ماشوه به علي في قصته مع خولة بنت جعفر الحنفية ام ابنه محمد بن الحنفية، رغم زواجه الطبيعي منها ، بل زواج اخذ من الشرعية مالم تاخذه ايا من الزيجات الاخرى. ولكن التاريخ في طرفيه، اصحابه وغيرهم يعتبرونها سبية، مع ان علي كانت ازمته عين تلك التسمية، وكان قلبه ينعصر ، حين شاهد ابن الوليد، وهو راجع بالنساء من الحرب يسميهن سبايا باسم النبي، وكان علي وقتها حكيماً صامتاً ، لا يتدخل بهذا الاسلام في هؤلاء، لان نبي هذا الدين عينه لم ينفع معهم. وتلك هي قصة اعتزاله ما يقارب خمسة وعشرين سنة.

كانت خولة هذه قد جاءت مسبية مع خالد بن الوليد في سبي من عرب الجزيرة. فاستفدّها علي نخوة بعد ان استغاثته. واودعها عند زوجته اسماء، وحينما نوى زواجها،

¹⁷³ تفسير الامام العسكريين ص87.

¹⁷⁴ شواهد التزليل لمن خص بالفضل. الحاكم الحسكاني. ص322.

لم يسمح لنفسه بذلك الا بعد ان انتظر مجيء خالها القاسم بن مسلم عاما كاملا ليخطبها منه، رغم انه في دين النبي لا حاجة لغير اذن المرأة في الزواج، سيما بعمر خولة حينها وبرشدها . الا ان مجيئها من ديارها قسرا ، بعنوان السبي ، حتم عليه ذلك. رفعا لفكرة السبي ونزولا عند مبادئه الاخلاقية لكرامة تلك المرأة . فتزوجها بوجود اهلها، دون صفة ام ولد ولا غيرها من التسميات الطباقية..آه يا علي.. ماذا فعل بك مذهبك.

سرقة العمامة..

(عبادة الله ليست الا سخريه من الله..)

كيركجارد

(وهل رأيت فقيها؟!..)

الحسن البصري

1

لا أضنني يوما رأيت فقيها. كل مارأيت هي عمائم فحسب¹⁷⁵. لا من جهة ان الفقه الحقيقي ليس هو فقها بالدين في نصوصه، وانما هو فقه بالله في انسانيته، وبالانسان في وجوده؛ حياته والامه ومعاناته، لا صلاته وصيامه وحجه. وانه فقه وجود لا نصوص. هذه جهة اتنازل عنها رغم انها الاس الاول.. وانما، لا أضنني يوما رايت

¹⁷⁵ لم يكن يريد الحسن البصري هكذا وجهة.. لذا عملي كان هو ان أقطعها من سياقها البارد كي تجد اللغة هنا نارا..

ففيها، لجهة ان الفقيه التقليدي يحلل ما يرى حرمة وخطيئته بكل وضوح البقال والراعي والعجوز وكل من يستطيع ان يبكي. ولا دليل ابرز على تجاوزه بديهية العجوز، الا قبوله شرع السبي والعبودية؛ حلية اغتصاب امرأة في ليلة مقتل زوجها وابيها واخوتها وجيرتها، وفي لحظة لاتعرف اين اولادها واين بكاءهم، وباقي اهلها. ومايجره الامر من تراجيديات لايمكن للغة ان تختصرها. وهو مما لاتقبله العجوز وترى خطيئته دون حاجة لمعرفة دينية. كل ذلك يحلونه لان لديهم نصا في دليل الجهاد، ونصا في السبي، ونصا في التمتع بهن، ونص في الاستعباد..

لديهم نص، اجل. ولكن لأضن لديهم قلبا. لذا ليس لديهم فقها. حتى تكاد ترسخ معي قاعدة؛ كل من يلف رأسه، ستلف حتما الايام قلبه. تماما كما كان يقول السياسيون النادمون؛ لقد مسنا التاج.

في النصوص كل اللصوص. في القلب كل الله.. بكل جدية معرفية، هذه هي القصة هنا بين الفقيه والبقال؛ إزائية النص والقلب. وهو المدار الذي تلوحه ايضا كلمة البسطامي العابرة؛ تقولون فلان عن فلان واقول قلبي عن ربي.. او كلمة؛ عن قلبي عن ربي حلاجيا.. اللتان تقعان في مركز الوجودية اسلاميا. بين ديانة الفقيه وديانة القلب.

2

من الاسس الاهم، بل التي يقوم عليها كل الفقه الوجودي، والتي تمثل في نفس الحين الدخول على كل العيب المعرفي في اصول اجتهاد الفقه التقليدي وعبثه. هو ان الحرام الانساني الواضح للجميع لا يكون حراما لديهم حتى يكون حراما دينيا. اي يحتاج الى

حرام باجتهاد فقهي نصي تقليدي او عقلي ينتسب الى نص، ضمن وقاحات الادلة والمتمادية في لعبة التاويل والدس. رغم ان الحرام الانساني هو حرام ذاتي و بدهي في عيبه. ومن لا يراه خطيئة بذاته فلا يكفيه الف دليل ودليل شرعي، ولا حتى وحي اخر. فيما الفقه الوجودي. فلهذا كل ما هو غير انساني هو حرام شرعا حتى وان لم يكن هنالك نص، اي دون الحاجة الى تقرير انه حرام ديني بنص او ماشابه. بل في الفقه الوجودي اساس الحرام الديني هو ان يكون حرام انساني، والا لن يكون حراما حتى وان جاء الفقيه بنص صريح بذلك. اي ان الانساني في حرامه هو الذي يحدد الديني في حرامه وحلاله وليس العكس. بحيث الحرام الديني نفسه يحتاج الى دليل في الحرام الانساني كي يصح انه حرام الهي. اعتمادا على اس كلامي وجودي بان الحرام الالهي هو الحرام الانساني دون غيره. وبالتالي الاحكام تابعة للحرام الانساني فحسب.. لان غايات الله اصلا في شرائعه عموما سواء مع محمد او مع عيسى او مع قلب غاندي هو البعد الانساني لاغير. إذن ليس من جهة اولوية الانساني على الديني، وانما لان الديني الحقيقي هو الانساني فحسب. فلاحاجة للتوسل بنص او كتاب.

وان كان ولا بد فيمكن تأكيد اهلية وشرعية هذا الاس للفقه الوجودي بعين اصول الفقه التقليدي المؤودة، مثلا مع قاعدة(الاحكام الشرعية تابعة للمصالح والمفاسد الواقعية) التي تمس واقع الانسان ووجوده وحياته، في كرامته وعزته وفي عبوديته وظلمه، وليس تلك التي تحل قتل الاخرين من اجل مصلحة ومنفعة الذات او باسم مصلحة الحفاظ على بيضة الاسلام. لذا من اللصوصية الكبرى في ذلك هو ان الحرام الاكبر انساني من قبيل الاستعباد والسبي هو حلال ديني. اعتقد ان ذلك وحده يكفي للكهنوت ان يرحلوا عن الفقه..

فقهياً؛ الكهنوت الاسلامي حل وطأ المرأة التي (تشتري)، او تلك التي (تسلب) بالقوة في الحرب، وحل ملكيتها وعموم ارادتها ووجودها، من قبيل انه لا يصح حتى زواجها الا بإذن مالکها. شأنه شأن المنطق البربري الذي حاربه النبي عند استقراتيات الجاهلية العالمية، وبشكل لم يعرفه حتى ابي جهل نفسه، سيما بتلك الصورة التي يضع بها خليفة المسلمين، ثلاث الاف جارية للذته¹⁷⁶، وبحلية اتفاقيه من الكهنوت تشريعا، ومازال الاتفاق على شرعية ذلك الفعل السلطاني دون اى ادانة لذاك الحكم. علما ان عين تلك المرأة المشتراة، هي اصلا كانت قد أخذت من ديارها بالقوة بشكل من أشكالها¹⁷⁷، او ورثت العبودية عن ابوين جرى عليهما ذلك الغصب، فلديهم (ابن العبد عبد)، دون اى حرج. بكل الاحوال تعود المسالة الى المنطق البدائي؛ (القوة والمال). اى منطق القوي والضعيف، والغني والفقير، ليس الا. اذن ما الفرق بين الاسلام العربي والجاهلية العربية ان قبلا كلاهما ذلك..

المؤلم في انسانية المعرفة مع الكهنوت وفقهه هو انه لا أهمية لديهم في حيثيات التشريع لحقيقية أصل هذه المرأة وقصة بؤسها ومجيئها لهذه العبودية؛ أي ظروف واي

¹⁷⁶ هذا الرقم وصل اليه المتوكل العباسي. رقم لم يصله حتى الخلفاء العثمانيين رغم الشهرة التاريخية لمفهوم الحريم في تأسيسه وخروج ظاهرتة معهم.

¹⁷⁷ يشابه الامر بنسبه ما المناط الشرعي في حلية الزواج التقليدي. بحيث يكفي حضورها مع احدهم لرجل الدين، دون معرفة ماوراء قلبها، ماوراء ضروفها، ماوراء قدمها. هل اجبرت اقدامها الظروف ام قلبها جاء بها. لايعاون بذلك اطلاقا. الفقهاء اعداء القلب دائما.

وحشية واي جريمة جاءت بها الى قبضة البائع. رغم انه لانقاش في انها قصة بؤس وظلم. إذ حتى ذلك الذي يبيع نفسه عبدا، كان يبيعها لان وصل حدا من الجوع والبؤس لايمكن تصوره. والا ليس هنالك من يسير لعبودتيه بقدميه.. يمكن وعي بؤس المجيء بماحصل مع عين رابعة العدوية المتصوفة المشهورة، فهي لم تكن مسيية يوما ولم تكن ابنة عبد، وانما كانت هائمة على وجهها بعد ان ماتت امها في عام كان قد اصاب البصرة قحطا ومجاعة، فتفرقت اخواتها هائمات كما هي. وهنالك في تلك اللحظة الحرجة انساني اخذها احدهم، وبكل بساطة، باعها بست دراهم¹⁷⁸.

لاظن ان احدا يستطيع ان يؤمن بالله لهكذا دين اطلاقا. هذا هو الفقه، وهذه هي بنيته الاجتهادية. كيف سمح لهكذا الم ان يجري باسم الله. قلب الملحد لايقبل بذلك. بينما عقل الفقيه قبل هنا. لذا قلب الملحد اقرب الى الله من عقل الفقيه. وليس قلب الغانية فقط. ولكنها الاسماء من تحول دون وعي ذلك، لذلك احب كلمتي كثيرا؛(الحقيقة ليست بعيدة، الاسماء تبعتها).

أس تشتري في حلية التشريع فضيحة بحد ذاته، ولايجل الكهنوت في ذلك من عين كلمة النبي وسط التراث(شر الناس من يبيع الناس) التي كانت فيها كلمة (يبيع) هي أس الخطيئة، علما انه حتى مفردة تشتري في الاس الكهنوتي ذو حقيقة اسوء من

¹⁷⁸ هنا الفقه يتجاوز حتى منطق الشراء والسبي في حلية الاستعباد، ليكون المهم لديهم هو ان تكون المرأة بيد احدهم، سواء كانت تصرخ من ظلامتها او صامتة في قدرها.

دلالتة ولا يملكها اصلا. فمال الشراء لا يذهب للجارية، سيدها يأخذه. لان الجارية ليست طرفا في البيع؛ السيد والمشتري يمثلانه فقط. تماما كما هي ملكية الحيوان وعنصر المال في ملكيته، حيث المال لبائعه وليس للحيوان¹⁷⁹.

كل شيء يعود لسيد المملوكة، وبأسفاف لا تقبله أي قيمة انسانية إطلاقا؛ ان شاء باعها او وطأها او زوّجها او قتلها حتى. فلاحساب عليه في ذلك، إذ(لا يقتل الحر بالبعد) في شرعهم، وهذا الحكم من الفصايح التشريعية للكهنوت ايضا في تبنيه صفة الامبراطوريات القديمة، وتضاده مع المبدأ النبوي في الحقوق وعدم التفريق بين عربي واعجمي أو اسود وابيض - ومن التمردات الجميلة لابي حنيفة على الكهنوت هو تمرده على هذا المنطق ومساواته العبد بالحر في القصاص - او إذا شاء سيدها أجرها ايضا¹⁸⁰ او اجر جزء من جسدها لرجل آخر، ليلة او ليلتين، وبالزلمات جسدية لا ينتمي شيء منها الى زاوية من زوايا الزواج، باعتباره الشكل الاساس للحلية لديهم. فالجارية تنتقل من رجل الى رجل. فرج متنقل ليس الا. وفي هذا كانوا ابرز مشريعي الزنا في اسوء وجوهه التاريخية. ليس فقط لان جنس الجوّاري يخلوا حتى من ديمقراطية المبغي في حرية الفتاة وبيعها لجسدها وقتيا. وانما للاضافات الفقهية المتعسفة التي جاءت مع تنامي الضاهرة وبروز قصة الحريم وما رافقها من فتاوى سادرة في الغي، احلت حجر

¹⁷⁹ لا عجب إذن ان سوق النخاسة في اصل التسمية هو لبيع الدواب. ومن ثم استخدم لبيع الرقيق. لآبأس فافلاطون عينه يسميهم ماشية بشرية. ليس هم افضل منه.

¹⁸⁰ تماما هكذا كانت القوانين القديمة مع السومريون والفراعنة حين كانت تمنح الحق للسيد بان يسلم امته الى المبغي لقاء اجر معين.

الالاف من الجوّاري لرجل واحد. وهو ما يكفي الى الاعتراف بان الفقه وامته تجاوزوا على النبي اكثر مما تجاوز عليه اعداءه.

(مملوكة) هذا هو الاسم الفقهي لشرعية الوطأ. اسم لا يخل المصطلح الاسلامي من وجوده في منظومته، كما لا يخل من اتخاذه اسما شرعيا (للوطأ)، بينما عين اللادينيين، سيما في القرن الثامن عشر وما بعده كانوا يعتبرونه أكبر خطيئة تاريخية للانسان، فكانوا في ذلك اكثر دينا من الدينين اعدائهم. هذا مانجهله؛ إذ كثير من اللادينيين هم اكثر دينا واكثر قربا الى الله من الدينين انفسهم، سيما المتكهنين. لذا، لا اعجب ان الجنة مليئة باللادينيين. بل لاشك انهم الاكثر هناك. جميل ان تجد فولتير اللاديني في اروقة الجنة، بينما هارون الرشيد امير الدين يحرق به من النار.

يقولون شراعوها يكفي لوطأها، ولكن الغاية ايضا تشتري بالمال. فما الفرق بين غني في زمن الرشيد يشتري من النخاسة فتاة ما فيضاجعها ، وبين غني هذه الايام يشتري من مبغي امرأة ليضاجعها...؟؟! لماذا الاول الهى وشرعي وديني، والثاني زنا وعهر وسقوط. هل هنالك من سقوط مثل هذا السقوط المعرفي فقها.

السوء الاكبر للكهنوت التاريخي، هو تشريعه منطق (السبي) بجعله اسرى حرب عبيدا. واحيانا مع اناس لم يحاربوه اصلا، فقط من اجل الغنيمة والاستعباد عينه، واحيانا فقط لحاجة الجوّاري. فيأخذ الرجل المرأة لفرشه بعيدا عن زوجها واطفالها واهلها، سواء قُتل زوجها او تحول الى عبد بيدهم. ويجرها من ديارها الى دياره ، بسوطه وسلاسله، وبضعفها وعذاباتها. هنا العذابات ليست سلاسلها، بقدر ماهو فراقها الديار والحبيب

والاهل والاطفال، وما حل بهم من موت وجوع وتشريد واستعباد. وهو المنطق الذي تنتمي جذوره الى الحقب البربرية في التاريخ، حين تجاوز المحارب فيها قيم الرجولة في النصر والهزيمة. رغم انها القيم الاولى في محددات الحرب وعنوان الفروسية فيها. فمفهوم الفروسية لم يكن مرتبطا بعنوان القوة بقدر ماكان مرتبطا بقيم النبالة مع العدو، وكذا الامر تماما مع مفهوم الرجولة، في انها كانت نبالة مع العدو وليس قوة. تلك التي نراها في الاساطير باشكال عدة بين الاعداء، او اقلها في غير الاساطير مع موقف علي مثلا، حينما يسمح لعدوه في صفين بان يشرب من الماء الذي في ساحتة. رغم ان هذا الماء كان يمثل استراتيجية النصر. ولكن علي يخسر حربه ولايخسر فروسيته ومثله. لذا يُستحق ان يقال عن مواقف علي انها اساطير لان الناس لم تالفها اصلا.

رغم ان الاسس النافية للسبي كثيرة مع النبوة وانسانها، سيما الكليات النبوية التي سلفت في قاعدتي (السلطنة ولا ضرار)، ولكن لايأس الاكتفاء بمفهوم الاسير في قصته النبوية. لم يكن في منظومة النبي فيما يتعلق بالحرب مفهوما باسم (السبي) البته. كان هنالك المفهوم الطبيعي (اسارى). وهو امر معروف في كل المعارك التي حصلت ايامه، وتداول كلمة (الفدية) ومفردتها في حروبه بكثرة تدل على ذلك. كما ان القران يتداول هذه التسمية، بل يجعل الاسير دون غيره الى جانب احبابه اليتامى والمساكين، و يجعل اكرامه من صفات الاولياء؛ (الذي يطعمون الطعام على حبه يتيما ومسكينا واسيرا). بل هنالك عمق اخلاقي آخر في آية؛(قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم). سيما ان كلام الاية منحوت اصلا لاجلهم، وليس للمنتصر. وبصياغة توددية لاتجريميه.

إذن النبي لم يقف على منح العدو المستسلم مفردة اسيرا فحسب، وانما شرع لهذا الاسير اخلاقيات وحقوق، لم تقلها ايا من اليوتوبيات قاطبة. بحيث يكاد يكون مفهوم (الاسير) مع النبي في حقوقه قريبا من مفهوم (الضيف) وصنوا له. بل واكثر من ذلك

مثاليا بمايصدح به التراث مع موقف وكلمة لعلي ابن ابي طالب حينما قدموا له الطعام، وفي رأسه شق من ابن ملجم، ليرفضه ويسأل؛ (هل اطعمتم اسيركم..). للاسير اولوية عليه، رغم انه غادر وليس محارب. اه ياأبا الحسن لم تكن الارض لك.

بينما لنرى كيف يصف مفسر ومؤرخ وفقه حكم الله في الاسرى، وشكرا له انه اسماهم اسرى في منتصف نصه المتوحش هذا؛ (ويعامل الأسرى باحترام، ولإمام أن يحكم فيهم بقبول المفاداة أو المن، بإطلاق سراحهم دون مقابل، أو ضرب الجزية عليهم إن كانوا كتابيين، أو استرقاقهم أو قتلهم مراعيًا في ذلك المصلحة)¹⁸¹. انظر نهاية الفتوى (أو استرقاقهم أو قتلهم مراعيًا في ذلك المصلحة). بدا النص باحترام وانتهى بفتوى قتلهم..يضحكونني هؤلاء المؤرخون والكهنة كثيرا. اي مقارنة يمكن ان تعقد بين كلمتي احترام وقتل..لا افهم. واي مصلحة تلك التي تُقدّم على قتل الناس. بينما دين محمد وجمهوريته تقدم الانسان على الله نفسه(الانشغال بالخلق عن الحق)، سيما بما اسلفنا مع حادثة عمار، فكيف هنا تُقدّم الدولة على الانسان. اذن الدولة اهم من الله في بنية الفقه. ولكنهم يعرفون كيف يخرجون منها ليعلّوا ذلك بانها دولة اسلامية وليس اي دولة، لانها تمثل كلمة الله وفيها تقام شعائره وعبادته. اي عبادة تلك التي تقام بقتل الناس!.

6

لا بد من المرور على الكهنوت وفقهه في دليله والزاوية التي يؤسس عنها السبي ليس لفتح جدل صحة وخطأ ذلك، لانها خطيئة ذاتية لاتحتاج الى دليل، وانما فقط لتبيان البنية الرعنة في الدليل التقليدي وخروجه عن كلمة معرفي اصلا. وهو ديدنا مع كل

¹⁸¹ ابن حجر: فتح الباري 6: 152.

الادلة المعروضة هنا. وبسبب تلك البنية حصل ما حصل في التاريخ لالف واربعمئة عام وتغير على اساسه تاريخ وتاريخ ومجرى ومجرى.

لا يملك الاسلام التاريخي ادلة نبوية او قرآنية في مسألة (السبي) وتشريع وطأهن، رغم كثافة وجودها في المجال الاسلامي، كتاريخ جوالي. كل ما في حوزة الكهنوت وفقه حديث يتيم، وحدث يتيم، أصلا لم يجد احتراما توثيقيا من عين رجالات المنظومة التقليدية. حتى ان ما قاموا به من معاضدة لتقوية جانب الحديث، بزخرفته باية أجبرت على هذا المدار، لم يكن موقفا، لانها كانت قد استخدمت في عناوين ومواضيع اخرى واسباب نزول اخرى من عين المنظومة التقليدية، بحيث لم الحظ تشرذما في التاويل واسباب النزول كما هو معها.

حديثهم الوحيد يرتبط بما حدث غداة (معركة اوطاس). واطاس هي اسم الوادي الذي آل اليه الشق الاول من فلول معركة حنين مع جماعة هوازن. حيث ذهب الشق الثاني الى الطائف، ولحقهم المسلمون الى هناك. وينقلوه عن ابي سعيد الخدري دون اي اخر، انه؛ (أصبنا نساء من سبي أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج ، فسألنا النبي، فنزلت هذه الآية (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمنكم). قال فاستحللنا بها فزوجهن)¹⁸².

الغريب في الحديث هو ان المسلمين (كرهوا) وقرفت قلوبهم وقيمهم ان يحل لهم السبايا، بينما سمح الله بذلك. وكانهم لم يقبلوا بتلك البربرية ، بينما الله حرضهم عليها.!! هكذا يجعل الكهنوت الله.

بل نجدها برواية احمد ابن حنبل وغيره قد تركزت على زاوية (تأثموا)؛ (أن أصحاب رسول الله أصابوا سبايا يوم أوطاس، لهن أزواج من أهل الشرك، فكان أناس من أصحاب رسول الله كفوا وتأثموا من غشيانهن ، فنزلت هذه الآية في ذلك؛ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمنكم)¹⁸³. وكذا كرر ها النسائي؛ (تخرجوا من غشيانهن). إذن هذه الزاوية من التأثم والتخرج والكره لازمة للحديث اينما نقل..

هذا مايجعني اعتقد انه فعلا كانت تلك الكلمات قد قيلت في الحدث وان حادث التخرج والتأثم قد حصل. ولكن باقي القصة غير هذا. وقعت فعلا نساء اسارى بيد المسلمين، واراد بعض مسلمي الغنيمة، ان يقترب منهم على عاداتهم في سبي الجزيرة، فتخرج الآخرون من المؤمنين واعتبروه اثما.. الى هنا الحدث صحيح ولكن أقطع انهم لم يعودوا ويستفتوا النبي. لسبب بسيط، وهو لان الحكم من النبي معروف اصلا لديهم، لانها ليس اول حرب تصادفهم فيها نساء. أذ كون الامر حدث في عام اوطاس هو في ذاته اعتراف ضمني من الكهنوت نفسه يؤكد بانه يحرم لمس المسببات. وهنا يقعون في فخ كذبهم، فأوطاس هي من اواخر الحروب، ولطالما كانت هنالك نساء في ماسبق من حروب عليها. بل في عين المعركة الي سبقتها أي حنين والتي شارك فيها عين جماعة ابي سعيد الخدري كان هنالك ستة الاف من عوائل الاسرى. وبالتالي فالمفروض انهم عرفوا

¹⁸² البداية والنهاية، ابن كثير، ج 4 ، ص 388. معاني القرآن، النحاس، ج 2، ص 57.

¹⁸³ البداية والنهاية - ابن كثير ج 4 ص 389 .

تصرف النبي مع النساء في تلك الحروب السابقة، وشرعه فيهن، وانهم سألوه مسبقا. فلما يسألوه في أوطاس فقط، والمفروض انه يُسأل في اول الحروب. وبالتالي يكون عين استدلال المفسرين على السبي بهذه الحادثة المتأخرة دون الحوادث الاولى هو اكبر دليل على كذبة الدليل وتلفيقه.

بل أعتقد انه لم يجرؤ احد على سؤال النبي في معاركه السابقة عن حلية النساء الاسارى، لانه يمثل امر بديها في اخلاقيات الاسلام، في عدم التعدي على نساء وعدم مشابهة القيم المتوحشة بالتعدي على اعراض العدو. وإلا إن لم يأت الاسلام بهذه القيم فبماذا له الفضل. هل بان الله واحد وليس ثلاثة.. عموما إن تصرف النبي مع الاسرى نساء ورجالا من اول حروبه كان يوجه الامر بتمامه. سيما ان لديهم فعله يغني عن قوله في الدليل التقليدي.

ماحصل هو انه بعد فترة من رحيل النبي، اضاف كهنوت الجواري لهذه الحادثة قضية استفتاء النبي، ومن ثم منحوها اية تناسب بغيتهم، فكانت اية (والمحصنات..) وهو الامر عينه الذي اشار له ابن ابي طالب في مقولته؛ (كم من ظلالة زخرفت باية من القرآن..)

من آلام البنية المعرفية اللانسانية في الفقه، هو انه حينما استدلت جماعة من السلف على حلية زواج الامة المشتركة بهذا الحديث في سبايا أوطاس، وخالفهم آخرون. قال المخالفين؛ ان نساء اوطاس لعلهن أسلمن أو كن كتابيات¹⁸⁴. أي لم تكن ازمة هؤلاء المخالفين هو ظلم وبشاعة وخطيئة استحلال إمراة وهي في ضيم الاسر (الحرام الانساني). وانما هل يمكن الارتباط بمشركة ام لا؟ (الحرام الديني). لاعرف ماذا اقول

عنهم اعيوني. كل مااستطيعه هو اني اكفر بهذا الفقه من السماء الى الارض. وافرح بكفري به.

ثم يدسون كلاما لابن عباس عن سعيد ابن جبير ؛ هو ان كل ذات زوج اتيانها زنا الا ماسبيت¹⁸⁵، تعصيذا للحدث وللاية. وهكذا لديهم ان المرأة تصير ملك يمين في حضن اخر، وزوجها واطفالها وعائلتها يعانون في الاسر والاستعباد والتهجير والتفريق والجوع.

من جهة أخرى، الخبر لم يروه الا رجل واحد، هو ابي سعيد الخدري، ولا ثاني له¹⁸⁶ ، رغم ان الحادثة ليس شخصية بين النبي والخدري، كانوا منعزلين بها، حتى نعذر عدم وصولها عن طرف اخر، وانما هي حادثة جماعية، حادثة جيش الكل طرف فيها. كما ان ابن كثير ومسلم وآخرون احيانا يروون قصة أوطاس في غير موضوع حلية نساء السبي، وانما لزواج التمتع، وعن آخرون غير الخدري..مثلا عن أياس بن سلمة عن أبيه، وقوله : " رخص لنا رسول الله عام أوطاس في متعة النساء ثلاثا ثم نهانا عنه¹⁸⁷"

لايثبتون على حال، سكارى فقه..

¹⁸⁵ انظر؛ الطبري، جامع البيان، ج 5 ، ص 5.. عادة ماتكون طريقة الدس هو بانسابه الحدث او الحديث او الفتوى الى اعظم الشخصيات الانسانية في التاريخ الاسلامي كي تحمل مقبوليتها، فيضيفون؛ (والمحصنات من النساء. قال علي وابن عباس وأبو سعيد الخدري هن ذوات الازواج لا تحل واحدة منهن الا أن تسبي قال عبد الله بن عباس نكاح ذوات الازواج زنا الا أن تسبي وقد كان لها زوج فتحل بملك اليمين وقول آخر أنهم الاماء ذوات الازواج إذا استؤنف عليهن الملك كان فاسخا لنكاحهن روي هذا عن ابن مسعود وأبي بن كعب وجابر وأنس). انظر؛ معاني القرآن - النحاس ج 2 ص 56

¹⁸⁶ احمد ومسلم البخاري والترمذي والنسائي جميعا يروونها لابي سعيد الخدري.

¹⁸⁷ البداية والنهاية، ابن كثير، ج 4، ص 364 :

¹⁸⁴ ن، م، ص 390.

بعض الروايات تقول انه: "نادى منادي رسول الله في الناس يوم اوطاس : أن استبرؤا سباياكم بحیضة¹⁸⁸ .. بحیضة وليس حیضتين. اذن لكم عجلين هولاء المسلمون في فروجهم.

الخبر أيضا ورط نفسه باية اعتبرها نازله فيه. مع ان الكثير يروونها في اسباب نزول اخرى او يفسروها بوجهة بعيدة عن اوطاس والتمتع¹⁸⁹. الهم هو ان هذا النص (والمحصنات من النساء الا ماملكت ايمانكم..) مقطع من اية، وليس اية كاملة. مقطع ينتمي الى اية كبرى، تبدأ وتنتهي الاية بها، كما هي في الهامش¹⁹⁰، والتي تبدأ بـ(حرمت عليكم) وتنتهي بـ(غفور رحيم). وبما اننا اسلفنا مناهجيا بان كل اية هي ليس

¹⁸⁸ تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ص 176.

¹⁸⁹ صاحب البداية والنهاية ابن كثير، يرويها احيانا لسبب نزول في السبي وحيانا لسبب نزول في زواج المتعة . كما ان الكهنوت الشيعي يفسر الاية بدس على رئيس مذهبه جعفر الصادق، هكذا؛ (المحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم " قال سمعته يقول هي ان : تأمر عبدك وتحتك امتك فيعتزلها حتى تحيض فتصيب منها). تفسير العياشي، ج 1، ص 232 .

¹⁹⁰ {حَرَمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتَكُمْ وَبَنَاتَكُمْ وَأَخَوَاتَكُمْ وَعَمَّاتَكُمْ وَخَالَاتَكُمْ وَبَنَاتِ الْأَخِ وَبَنَاتِ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَزَوَّجْتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً}(23) {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَجَلٌ لَّكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً}(24) {وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِّنَ بَعْضٍ فَاذْكُرُوهُنَّ بِإِنْ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ أَنْتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ قَلْبِيْهُنَّ نَصِفْ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(24).

المقطع المرقم حسب التداول التقليدي، وانما المجموعة الاشكالية ذات الوحدة الواحدة، والتي قد تستمر الى اكثر من اية. واية المحصنات في هذا الكل الكامل ترتبط باشكالية أخرى. ولكن المفسرين اجتزؤ هذا النص من وحدة الاشكالية ومن ايتها وأخذت الى عنوان بعيد عن موضوع الاية.

الاية اصلا تتناول طرق الحلية للجسد، في القران بعيدا عن الحرب واهلها. ومن جهة اخرى هي انها من الايات التي لا تنتمي الى مجال اسباب النزول لانها لا ترتبط بإشكال مستحدث، او حدث حصل هنا او هناك لمجتمع المؤمنين، وانما ترتبط بمسالة مركزية في وجود الانسان، والتي لا بد ان يطرحها الاسلام اساسا كشيء من تعاليمه المركزية، لارتباطها بقضية حياتية بين الرجل والمرأة في وجودهما الجسدي. اي انها لا تحتاج الى حدث كي يستدعيها نزولا.

كما ان ابن كثير ومسلم وغيرهم يروون من طريق اخر، بان اية متعة النساء نزلت عشية معركة اوطاس وليس غداته¹⁹¹، سيما ان نص (المتعة) قرانيا ينتمي بالاتفاق سواء شيعيا او سنيا قبل منعه، الى عين اية (والمحصنات ومن النساء)¹⁹².

ايضا مما يمكن به فهم البنية المتوحشة للصوص في الفقه، هو ان نجد استدلالا مغايرا صريحا، في حلية النوم مع المسبيات، يقوم على مبرر الانتقامية. فحينما ياتي احد المفسرين لآية(والمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)، يفسرها

¹⁹¹ البداية والنهاية لابن كثير ج 4 ص 364

¹⁹² {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَجَلٌ لَّكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً}

هكذا؛ (..إذ السبي يقطع صلة الزوجة بزوجها الكافر السابق، فتحلّ نكاح المسيبة، وذلك مقابلة بالمثل لما يفعله الكفار بالمسلمين { كتاب الله عليكم } أي كتب الله ذلك الحكم عليكم كتاباً)¹⁹³. ويجعل هذا التوحش تكليف الهي واجب، من يتخلى عنه يغدو عاصيا.

7

المخزي للإسلام التاريخي في فقهه التشريعي للجسد؛ هو أنه حين تُعقد مقارنة بين جارية وبين غانية سجد الأمر مع الغانيات افضل بكثير حقوقيا وأخلاقيا، وحتى جماليا، لها و لراغبها على حد سواء..

في المقارنة؛

(الغانية) هي التي قررت مهنتها واسمها، سواء مع قهر الظروف او دونها. بينما (الجارية) جيء بها بالقوة لاسمها و مهنتها وعبوديتها..

الجارية لايشترط (رضاها)، كاهم اس في العقود. سيما العقود التي يكون فيها البذل جسدا. كما لايشترط معها مهرا. بينما وصال الغانية يتوفر على شرطي الرضا والاجر؛ إذ للغانية الحق ان ترفض او تختار من يطلبها. فهي مالكة امرها، غير مجبورة على المضاجعة. كما انها تستلم اجرا على فرجها، يشابه حق المهر. حتى انها تستطيع ان تحتاج الفقيه على شرعيتها باية (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ).. كما تستطيع ان تدافع عن شرعها بان ابا حنيفة يقف معها في رايه المشهور انه من

¹⁹³ تبين القرآن ج 1.. 130

وطأ إمراة باجر فلاحد عليه ¹⁹⁴. وهنا يبدو ابو حنيفة بالغيا في جعل الاصل للحقوق والحرية لا للخطيئة.

أما الجارية فمسيكية لوجود لاي حرية معها في انتقالها الى جسد رجل اخر، ولا مال لها إزاء المضاجعة؛ جسدها مسخر لسيدها دون مال. بل يرى الكهنوت انه يمكن لسيداه ان يؤجر جسدها فقط وحينها المال له ايضا.. إذن الغانية هي طرف في العقد، و في الاجر.. بينما مع الجارية فهي ليست طرفا في العقد ولا في الاجر لجسدها.

ماهو الاهون اخلاقيا على الفرد؟. ان يجبر امراة بسلبها من اهلها وارضها وشرفها بالقوة وتحويلها الى الة جنسية، ام ان ينام معها بموافقتها، وبأجرها؟. اعتقد ان السؤال بسيط. ولكنه يفضح الزور الكبير للكهنة.. لذلك عرضت هذا الامر التاريخي المنتهي لتبيين هشاشة وتفاهة وسقوط المنحى المعرفي للتشريع الديني.

الان لو حصلت دولة اسلامية -لاسمح الله- استطاعت ان تغزو العالم واحتلت الدول المسيحية واخذت النساء سبايا. فهل حينها جبر مسيحيات البيت خير ام الافضل اعطاء غواني المسيحيات مالا، والنوم معهن حسب رغبتهن؟..

الغانية تحدد وقت ارتباطها قدر ماتشاء، بينما لايجوز للجارية الخروج عن ساحة مالكةا، والا دخلت في عنوان العبد (الآبق)، ويقام عليها الحد، لمجرد هروبها الى حريتها.

¹⁹⁴ انظر؛ أحكام القرآن - الجصاص ج 2 ص 184

يُقتل الرجل بقتله غانية، بينما يستطيع مالك الجارية ان يقتلها دون ان تقتل به (لا يقتل الحر بالعبد). وفي هذا الزاوية امر غريب وفتوى مخزية ترى ان اللواط بالغلام العبد لا يوجب القتل كما هو اللواط بالغلام الحر، وانما يلحقه التعزير/ عقاب خفيف فحسب. رغم ان الحكم متوجه الى خطيئة اللواط وليس شخصية اللانط والملوط به؛ أكان كافرا ام مؤمنا، عبدا ام سيدا..

لو اراد احد زواج الجارية، فليست لها قرار في الامر؛ قبولاً او رفضاً، الامر عند سيدها، والا فزواجها باطل، وعملها زنا يقتضي جلداً. بينما الغانية شأنها شأن باقي النساء في زواجها. بل الغريب هو ان الطلاق ايضاً بيد سيدها وليس بيد زوجها. والاصالة لديهم للملكية وليس للزوجية. اه ايها الكهنوت ماذا فعلت بالنبي.

الغانية تصنف على باقي الناس في حكم القذف والشتم فيجلد قاذفها ثمانين جلدة، بينما الجارية لاوجود لكرامتها ولاعقاب على من اذاها في ذلك. فمن قذف غير حرة، لا يجلد ثمانين¹⁹⁵.. هذا مايقوله، اشك اني اقرأ..

والتعدي القيمي الاكبر في حلية الجارية، وبما يمثل فضيحة تشريعية كبرى، هو انها حلية، لاتعبأ بان تكون الجارية ذات زوج، فشراءها او سبيها كفيان لشرعة وطأها، حتى وان كانت متزوجة..

..ولايتوقف الظلم الفقهي عند هذا الحد ..

اعتبروا زواجها امراً لا يحبذه الله (مكروها) بالاصطلاح الشرعي، واعتباره نوعاً من اكل الميتة للمضطر الذي يخاف هلاك نفسه فيترخص في اكلها ليحيي نفسه¹⁹⁶. بل يصل مع بعضهم الى تحريمه مع من يستطيع الزواج من حرة¹⁹⁷. مع ان هذا لم يشرع حتى مع الغانية، إذ ان عين اولئك الفقهاء لم يشروطوا في الزواج العفة ابداء، ولم يتحدثوا في هذا بتاتا في مباحث الزواج على طول التراث التشريعي، اما ماتمنوه لعفتها فذاك من امنيات التراث الاخلاقي لا التشريعي. كما انه لو تزوج وفهم الزوج لاحقا انها امة وليست حرة، يكون للزوج حق الفسخ¹⁹⁸، وهو مما لا يكون مع الغانية ان اكتشف زوجها انها غانية بعد الزواج. يبقى له حق الطلاق لا الفسخ.

كما ان الامة ليس لها حق الاستمتاع مع زوجها، وليس لها شراكة مع الزوجة الحرة في واجب التقسيم بين الزوجات. بينما الغانية لها ذلك. علما ان كثير من الزوجات غانيات بجدارة.

ليس للجارية حق في خيار الفسخ ان تزوجها محبوب او عنين كما هو الحق مع الزوجة الحرة¹⁹⁹. علما ان الامة هي فتاة لاتمت بعلاقة للعهر وبيع الهوى في جذورها. الغزاة حولوها الى ذلك، وليست منقطعة عن عائلتها كما هي الغانية عادة. فلايمس ذاتها وطن وحبيب وزوج واطفال واهل..

هنا تهون مصيبة المبيع امام الله، حينما يعرف مصيبة المعبد.

¹⁹⁶ انظر تلك الاراء؛ جامع البيان للطبري، ج 5، ص 23

¹⁹⁷ الام للشافعي. ج 2، ص 10.

¹⁹⁸ تحرير الاحكام للعلامة الحلبي، ج 3، ص 54..

¹⁹⁹ المغني، ابن قدامة، ج 8، ص 150.

¹⁹⁵ تفسير مجمع البيان للطبرسي، ج 3، ص 57

لذلك، لو استطاع المبغي ان يعرض مافعله المعبد. لانتصر عليه امام الله.. سيما ان الاول يعترف بخطيئته، بينما الثاني يقول بالهيته..

الغريب من الفقهاء انهم كانوا يحللون الفا من الجواري لهارون الرشيد ويجدونه اعد اهل الارض في نفس الحين²⁰⁰. ويكفرون عاشقة ضاجعت وحيدا بعشقه ليعتبرونه زنا وكبيرة. وكأن هم الله جسد تلك العاشقة، وليس تلك الارواح التي خفقها الرشيد طوال اعوام.

8

²⁰⁰ بلغ الامر أن فقيهم كان يحلل للخليفة جارية نكحها ابو الخليفة نفسه. رغم ان الجارية عينها تعتزض عليه وتقول له: (لقد طاف بي ابوك). ولا يمتنع ابو يوسف القاضي ان يجد حيلة لذلك، كما حصل مع عين الرشيد هذا حينما تولع بجارية كانت لابيه المهدي، فوطأها ببركة ابي يوسف وفقهه..

الغريب ان الجارية كانت من تستحرم وترفض وليس خليفة الامة وفقهها علما ان الجارية ستخسر خسارة كبيرة برفضها، لماعرف من تقاثل المقربات من الخليفة على الخطوة عنده.. ولاحظوه عنده الا بالجسد..

بعد كتابة هذا النص بفترة وجدت صدفة تعليقه لاحد المتמרدين القدامى على هذه الحادثة وعجبه منها. بقوله؛ فلم ادر ممن اعجب؛ من هذا الذي وضع يده في دماء المسلمين يسفكها دون حساب ثم يتحرج عن حرمة ابيه او من هذه الامة التي رغبت بنفسها عن امير المؤمنين، او من هذا فقيه الارض وقاضيا قال له اهتك حرمة ابيك واقض شهونك وصبره في رقبتي.. عن تاريخ الخلفاء للسيوطي.. ولابأس مجانا؛ من مهازل تلك المباحث رأي يقول ان الجارية ان وطأها اثنان في طهر فالطفل لمولاه.

مايفوق ذلك انحطاطا، هو قول الكهنوت باحكام في لعبة جسد الجارية لايقول بها حتى المتهتك، ليشوه بها طريق النبي الى اقبح الصورة الايديولوجيا تاريخيا، بل صورة لحضارات شاذة اخلاقيا. منها؛

اذا رغب السيد بوطاً جاريته المتزوجة تحت خدمته؛ سواء من عبد او من حر، فيطلب من زوجها عدم مسها زمن حيضيتين، ومن ثم ليتمتع بجسدها ماشاء، حتى اذا فرغ منها رجعت لزوجها، ولا حاجة الى عقد جديد، كما لاحاجة الى طلاق حين عزلها²⁰¹.

كما قالوا ان الجارية المتزوجة إن باعها مالکها- وهو ليس زوجها- حل على المشتري جسدها. بحيث جعلوا عقد الشراء اقوى من عقد الزواج. بل اسسوا اعتبارا قاعدة لذلك تقول ان بيع الجارية هو طلاقها، اي بمجرد ان تباع تبطل زيجتها، رغم ان بائعها ليس زوجها، وانما سيدها.. أي اصبح سيدها اولى من زوجها في طلاقها. ورغم وقاحة هذا الحكم ورفضه بداهة، ولكن اقله، هذا يتناقض مع قاعدتهم (الطلاق بيد من اخذ بالساق) في عين فهمها التقليدي معهم بحصره بالزوج دون غيره، ناهيك عن تناقضها مع الفهم التصحيحي للقاعدة كما سلف في مبعي المعبد، بان النبي اراد بهذه القاعدة- هذا على

²⁰¹ اعتبروا هذا الحكم هو تفسير الآية (والمحصنات من النساء الا ماملكت ايمانكم)، حسب مزاجهم. مسكينة هذه الآية (والمحصنات...) أتعبت كثيرا.. اينما اذهب في التراث ومفارقاته في الجسد الا وجدتها امامي.. والنص في مصدره يقول؛ (معنى "والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم " هو أن يأمر الرجل عبده وتحتة امته فيقول له : اعتزلها فلا تقربها، ثم يحبسها عنه حتى تحيض ثم يمسه، فإذا حاضت بعد مسه إياها ردها عليه بغير نكاح) العياشي، تفسيره، ج1، ص232 .. وفي نص اخر؛(تأمر عبدك وتحتة امتك فيعتزلها حتى تحيض فتصيب منها)، نفس المصدر والصفحة.

فرض انه قائلها - حصر الطلاق بالرجل والمرأة دون غيرهما، باعتبارهما اهل الفراش. قبل ان يزورها الكهنوت بمقاسات اعرافه الذكورية.

من غرائب الفقه الاستعبادي، انه يمكن استتجار او وهب الفرج؛ إذا أحل الرجل لآخيه فرج جاريته فهي له حلال . بل يصل الامر ان يشرع بطريقة لم تصل لها دور البغاء، (إذا أحل الرجل من جاريته قبله لم يحل له غيرها، فان أحل له ما دون الفرج لم يحل له غيره، فإن أحل له الفرج حل له جميعا)²⁰² ليست هذه الزوايا الشاذة اسوء مما الحقوه بالقرامطة في خصوص الاباحية. سيما انا القرامطة ينكرون ذلك بينما هولاء لاينكرونها وهي في صلب تراثهم التشريعي.

ايضا، تعدى الامر الى حلية وطأ الحامل رغم انه لايجوز حتى العقد عليها مع الحرة. او لدى البعض مثلاً؛ اذا تعدى حملها اربعة اشهر وعشر ايام جاز له وطنها في الفرج..

الغريب انه حينما ياتي احد الفقهاء المهمين الى رأي احد ائمة الفقه القدامي ورفضه وطأ الجارية الحامل في الفرج او بمادون الفرج - وهو حكم انساني بلاشك، اقلها لبديهية فقهية كونها حاملا - فلا يتحمل هذا الرأي، ليعلق على هذا الرفض؛ (ان قوله؛ لا يقربها فيما دون الفرج، فمحمول على الكراهية دون الحظر)²⁰³. ليقوم بتحليله. اي انه يجد المنع امر مبالغه به، وان الامر ليس فيه اي مشكل اخلاقي او ضرر انساني.

²⁰² الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي، ج 2 ص 353-354.

²⁰³ تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي ج 8، ص 176

بعض العناوين يرد فيها جواز وطأ البنات الصغار، اللاتي لم يحضن بعد، وحق فض بكارتها. ومن غريب التوحش مع الكهنوت الديني في هذا هو ماينقله هذا النص وفتواه؛(الرجل يشتري الجارية وهي حامل، فما يحل له منها ؟ فقال : ما دون الفرج ، قلت : فيشتري الجارية الصغيرة التي لم تطمئ وليست بعذراء أيسترئها ؟ قال : امرها شديد إذا كان مثلها تعلق فليستبرئها.)²⁰⁴ هنا الغرابة.. إذ ليست ازمة المفتي في الحرام والحلال هنا هو الجانب الانساني في عدم المقبولية مع صغيره ووقاحة ذلك وعذابات تلك الطفلة، وانما هل يمكن ان تحمل او لا، وبالتالي هل من حاجة الى حيضة او لا.. ماواقحه من فقه، يفكر بذلك فحسب بكل صورية تجريدية بعيدا عن ذات الطفلة الصغيرة.

من غرائب الفقه الاستعبادي ايضا، هو ان البعض حلل الجمع بين الاختين في عالم الجواني. وبعضهم اراد ان يكون اقل سوءا، فشرط الا تمس الثانية الا بما دون الفرج..

ايضا من تلك الفضائح؛ هو رغم ان الجارية الجديدة يوجب استبراءها في عين الفقه الكهنوتي، تماما كما المطلقة لايمكن العقد عليها الا بعد استبراءها. ولكن البعض لم يطق ذلك فجوز وطأ الجارية بما دون الفرج قبل استبراءها²⁰⁵.. وهكذا يمكن ملاحظة

²⁰⁴ نفس المصدر والصفحة.

²⁰⁵ يمكن رصد ومراجعة كل تلك الفضائح على مدار الصفحات السابقة بما ارفقناه هنا من مصادرها دون ترتب؛ التبيين للطوسي، ج3، ص109... فقه القران للقطب الراوندي، ج2، ص86... جامع البيان، ج5، ص5... العياشي تفسيره، ج1، ص232... احكام القران للجصاص ج2، ص164.. تفسير القرطبي، ج3، ص90.. تفسير العياشي ج1 ص233.. الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي، ج 2 ص 353-354... تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج 4، ص 285 : مجمع البيان، الشيخ الطبرسي ج 3 ص 57... تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي ج 8، ص 176... كذلك جامع الجوامع وغيره.. المشكلة ان الكهنوت هنا يجعل اراءه على لسان شخصيات انسانية عملاقة كانت تبرء اصلا من الكهنوت والاسلام الامبراطوري، براءة الصادق وابي حنيفة من مذهبيهما.

ان للفقہ مباحثا في العبيد، تدرس فيها فنون اغلالهم الوجودية باسم الله، بما لم ييوب فيها اكثر الايديولوجيات كفرا وقبحا وفسقا. وبما يستحق معها ان يغلق الفقہ كل ملفاته ويضعها جوار جرائم التاريخ الكبرى والخانات الكبرى للمعبد. الا يكفي ذلك للقول ان الفقہ كفر بالله، كما التاريخ كما الدين. وان الاديان من اسست الكفر بالله دون غيرها.. هذه هي مفارقات الوجود، والتاريخ.

9

تلك الحقائق وقرفها هي عينها التي جعلت عمر بن عبد العزيز كفرد متمرد على الاسلام التاريخي، وكنقطة استثناء فيه، يتفوق على كل الفقهاء والمفكرين الاسلاميين، ليخصم مسألة الجواري، بقوله انها ليست الا زنا. وهو من اهم الادلة التي اركان اليها رغم انه ليس بفقہ ولا فيلسوف ولا متكلم، ورغم انه نص يحمل ضنية تاريخية. ولكن شأنه في ذلك شأن ابي ذر في وضوح الدين النبوي معه وانتصاره وانفراده على كل الفقهاء بصحة تفسير اية (الذين يكنزون الذهب والفضة). وما يقويه أكثر هو انه من الاخبار المهمة في التراث الاستدلالي، وكل الحقيقة في المہمل من تراث الشعوب، للرسمي.

ما يرويه ابن عساكر في ذلك، هو ؛ (ان العباس بن الوليد كان عند عمر بن عبدالعزيز وكانت تعرض جواري لامراء بني امية. وكانت كلما تمر به واحدة جميلة تعجبه، حينها يقول لعمر بن عبدالعزيز ؛ يا أمير المؤمنين اتخذ هذه لك...

فلما الح عليه، اجابه بن عبدالعزيز ؛ أتا مني بالزنا..

وهنا خرج العباس فمر بجماعة من الامويين على الباب، فقال لهم؛

ما تعودكم بباب رجل يزعم ان اباءكم كانوا زناة)²⁰⁶..

لم يقل ابن عبد العزيز انه شيء غير لائق او امر معيب مثلا، وانما راه زنا بالتحديد الاسلامي كمفهوم له هوية متفق عليها بالتحديد الاخلاقي، وليس بالتحديد العرفي، والا فالعرف الجاهلي كان يرى الجارية حق طبيعي. لذا فهو يتكلم عن ضاهرة الجواري كجواري بقرينة كلام بن الوليد عنه ؛ ان اباءكم كانوا زناة.. لذا ينفع ايضا رد العباس ابن الوليد في فضح ان قصة الجواري وضاهرتها هي صفة اباءه الامويين، ومن لف لفهم وليس من صفة رجال الاسلام. وهو ما يفضح نشأة الاماء خارج الاسلام والدين كحاجة دنيوية جاءت بها قصة الغنيمة لا غير.

كما ان بن عبد العزيز لولم يكن قاطعا بان النبي لا يملك اماء ولا يحلل الجواري لما قال كذلك والا يكون حينها متهما للنبي نفسه. بينما المعروف انه المصلح والمنقذ لدين النبي.

زاوية ايضا اجدها مركزية رغم انها ايضا تهمل في التراث، شأنها شأن الحدث السالف لعمر بن عبد العزيز. ينقل التاريخ في قصة لجعفر الصادق انه سأل شخصا؛ (هل انت ورع. فاجابه بنعم. قال له؛ ولكن لديك جارية حينما خرجت مسحت على صدرها) فرفض الامام صحبتته. ولازم كلامه هو انه لا وجود لحق جسدي بالجارية، حينما اعتبر مسح صدرها خطيئة دين، فكيف إذن بوطأها. و مفردة الورع هنا في النص هي الالتزام الايديولوجي التي يكون على اساسها تستحق اسم الاسلام ودينه، وتسمية مسلم او لا. إذن المسألة مركزية في الايديولوجيا الاسلامية، بحيث تنفي صحبتته واسلامه وورعه..

²⁰⁶ ابو يوسف الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج1، عمر بن عبدالعزيز.

من جهة أخرى انه خبر لا يخص الجوّاري في أصله وإنما عن الورع، لذا فهو حديث غير متهم في تزويره من ناحية الجوّاري. كما انه أيضا الاخبار المهمة في التراث الاستدلالي. وكل الحقيقة في المهمل.

10

ليس الاشكالية الاخلاقية هنا ضد الاسلام التاريخي، متمركزة في قضية الجسد المستباح مع الجوّاري. وإنما تقع على عذابات تلك الاستباحة وعبوديتها. لان مفهوم (الاخلاق) هنا مع النبي لا يقيم نفسه عند دائرة (الجنس)، كما هو عادة في المدارات الدينية، بقدر ما هو في دائرة (عذابات) العبودية معه. اي ان مفهوم (الاخلاقي) مع النبي، هو ما يرتبط بالانسانوي؛ الظلم وضلامته، وليس الجسد ولعبته. العبودية وليس الجسد. اي ان النبي يوحد بين الاخلاقي والانسانوي وليس بينه والجسدي. وهو ما يمكن اعتباره من الاضافات النبوية الكبرى في التجديد المفاهيمي معه. لذا النبي يرى الازمة الاخلاقية هنا تكمن في العبودية وليس في الفرج، الانسانوية لا الجسدية. اي البعد الاخلاقي هنا لا يقوم على عناوين استباحة الجسد في انه زنا، وليس هو الخطيئة، وإنما الظلم هو الامر اللأخلاقي وهو الخطيئة فحسب. وازمة الجارية هي انسانوية في حياتها، لا اخلاقية في جسدها .

لذا كان رفضنا لحكاية الجارية في التاريخ وتشريعها ليس لاحتلال جسدها، لان بكاهها واساها لم يكن على جسدها وركوبه فقط، وإنما أساها كان انسانويا يعود الى عموم ازمتها الوجودية في زوايا؛ فراقها اهلها، وحبيبها ، وزوجها ، وطفلها ، وديارها.. وإلى احتقارها كسلعة وليس كوجود انساني .

وهنا كل التهمة على التشريع الكهنوتي لتحليله هذا الظلم الكبير، وليس في تحليله فقط الجسد للسيد.

فالنبي حينما يسمع امة خادمة تبكي فيسأل، فيقال له ان ابنتها مباحة في اليمن فيرسل مالا ليجمعهما²⁰⁷، كان لاثّر البعد المعنوي في فراق الاهل وليس لارهاق الخدمة، وان الظلم في الفراق وليس في الخدمة. او مثلا حينما ينقل تلميذ بارز لجعفر الصادق انه جلب له صبية من الكوفة لتخدمه، فذهبت لتقوم في الحوائج فتنهدت: يا اماء ، فسألها الصادق: ألك ام ؟. قالت : نعم. حينها أمر بردها الى امها. وقال حينها: (ما آمنت ان لو ابقيتها ان أرى في ولدي ما أكره).. هذا ايضا لبعد وجودي في عذابات العبيد وليس في الخدمة او عذابات الجهد الاستعبادي. وكذا الامر حينما يستفتي تلميذ استاذ الصادق؛ عن خادمين أخوين. هل يُفرق بينهما ؟. وعن المرأة وولدها ؟ قال : (لا ، هو حرام ، الا أن يريدوا ذلك)²⁰⁸.

²⁰⁷ أتى رسول الله أسارى من اليمن ، فلما بلغوا الجحفة نفدت نفقاتهم ، فباعوا صبية كانت امها معهم ، فلما قدموا على النبي سمع بكائها ! فقال : " ما هذه ؟ " قالوا : يا رسول الله احتجنا إلى نفقة فبعنا ابنتها ، فبعث بشئنا واتي بها الى امها.. قد يقول احدهم لماذا يتعب نفسه لجلب تلك من اليمن لماذا لا يحرر الام ويدعها تذهب لابنتها. ولماذا لم يعاتب اصحابه انهم باعوا انسانا.. كل القصة هو في لعب التراث ونقل الحكايات وماوراءها.

²⁰⁸ انظر هذه البقايا في؛ عوالي اللئالي - ابن ابي جمهور الأحسائي ج 3 ص 228.. يروي احد تلامذة الصادق ايضا بانه اشترى جارية سرقت من ارض الصلح ، فامر الصادق بردها.

بينما في الاسلام الامبراطوري سارت بالجواري قصص يشيب له الرأس. تكفي ان تكون الفضيحة الانسانية الام للكهنوت والناسفة تماما لاخلاقية كل تشريعاته. وتكفي لو قراء هذه النصوص الافارقة الامريكيون احفاد العبودية لتركوا الاسلام بيوم وليلة..

11

بنية اخرى في مناحي الفقه تبين السطحية المخزية للتشريع من جهة، واولوية التعدي على الانساني. فالفقهاء يحرمون بيع الجارية المغنية(القيان). ولكن ليس لاجل الجارية في عبوديتها وعذاباتا فيه، وانما ضد الغناء. اي ضدها ونبذ لها وتطهرها منها. فبيعهما لديهم كجارية حلال، ولكن غناءها حرام.. امرهم غريب، إذ هنا لم يفكروا في ازمة الجارية وجوديا وفي عبوديتها، مغنية كانت او غيرها، وفي ظلاماتها وعذابتها وحرمة عذاب الانسان، وانما همهم هو الغناء وحرمة. اي لم يكن همهم هو حرمة بيع الانسان، وانما حرمة الغناء فحسب. ما اكبرها من حماقة دينية. هل يقبل الله بهؤلاء رجالا لدينه، محال. لانهم سيكونون لصوصه فحسب. سرقوا كل الوجود والحقيقة والاسلام والنبي.

هذي السطحية في حد ذاتها تبين الوحشية المتناهية في عدم الشعور بالم الآخر، وهي تتكرر كثيرا. ومنها ايضا ما نقله القطب اليوناني ببرود بانه (اتفق أن " الظاهر " عندما فتح الفتوحات المشهورة، وغنم الناس الجواري وتسروا بهن، بدون تخميس، ثم شكوا في حرمة ذلك قبل التخميس، ف سئل التاج- مفتي الديار- عن جواز ذلك فرخص في ذلك، وصنف جزءاً في إباحة ذلك من غير تخميس،)²⁰⁹. كان هذا الفقيه يبحث في نصوص

التراث عن حلية مضاجعة تلك النساء المسبيات قبل التخميس. اي ان ازمته التخميس وليس هنك اعراض الناس واغتصابهن وجرحهن من بيت اهلهم وسط كل قتلاهم وفزع الاطفال. يخاف من شرع الله بانه سيكون حرام ان ناموا معهن قبل التخميس، ولا يخشى الله في الامهن.

إلهي، هذا هو الكهنوت. هل خلقت غير البشر بين البشر، لاعلم بدأت اشك.

²⁰⁹ المنهل العذب الروي في ترجمة قطب اولياء النوي.. السخاوي ج1 ص 5